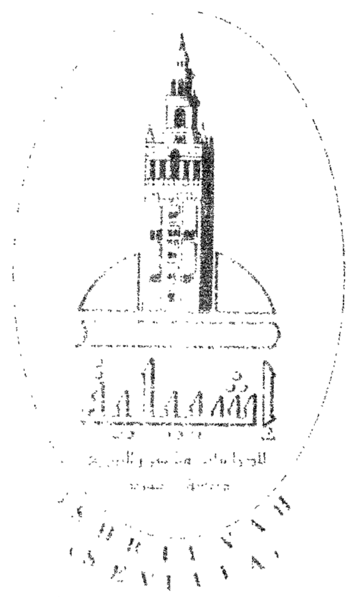


مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

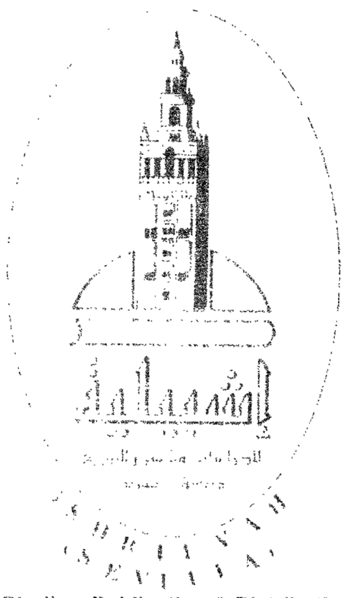
مجلة علمية محكمة



إشبيلية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق - سورية



Studies. Publication & Distribution
DAMASCUS P. O. Box 1363 SYRIA



Studies, Publication & Distribution
DAMASCUS P. O. Box 1363 SYRIA

مجلّة

جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية



مجلة علمية محكمة دورية

المجلد ١٥ ـ العدد الأول ـ ١٩٩٩

شروط النشر في مجلة جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

تقبل المجلة البحوث العلمية المبتكرة في العلوم الإنسانية والتربوية باللغة العربيـــة أو بــإحدى اللغــات الحية، على أن تحقق الشروط التالية:

١- أن يكون البحث جديداً ولم ينشر مضمونه من قبل.

٢- يوضع اسم الباحث وصفته العلمية وعنوانه باللغتين العربية والانكليزيـــة تحــت عنــوان البحــث مباشرة.

٣- يكتب على ورقة مستقلة عنوان البحث واسم صاحبه وصفته العلمية مع ملخصيــن عــن البحــث أحدهما باللغة العربية والآخر بإحدى اللغتين الانكليزية أو الفرنسية على ألاّ يتجــاوز كــل منــهما /١٥٠/ كلمة.

٤- ترسل ثلاث نسخ من البحوث مطبوعة على وجه واحــد مــن الــورق **210 × 297** مــم **(A4)** ومنضدة على الحاسوب (وفق القياس والنموذج المنشور في هذا العدد)، ويرفق مــع هــذه النســخ «الديسك» .

٥ـ يجب ألا يتجاوز عدد صفحات البحث /٣٠/ صفحة بما في ذلــك الأشــكال والرســوم والجــداول والصور والمراجع.

٦- توضع قائمة بالمراجع في آخر البحث على ورقة أو أوراق مستقلة وفق الترتيب الألفبائي لأســماء أسر المؤلفين ودون أرقام.

٧- يُتجنب الاختزال مالم يُشر إلى ذلك.

٨- يقدم كل من أشكال البحث مرسوماً بالحبر الأسود على ورقة مستقلة لاتتجاوز أبعادها أبعاد الصفحة النموذجية.

٩- تقدم الصور واضحة على ورق صقيل بأبعاد بطاقة البريد.

١٠- يُضمَّن البحث المقابلات الأجنبية للمصطلحات العربية المستخدمة مرة واحدة عند ورودها لأول مرة.

١١- تخضع البحوث المقدمة للتقويم لبيان مدى صلاحيتها للنشر.

١٢- لاتعاد البحوث إلى أصحابها إذا لم تُقبل للنشر.

١٣- يحصل الباحث (الباحثون) على ثلاث نسخ من العدد الذي ينشر فيه البحث.

١٤- تتم جميع المراسلات باسم:

مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية

ص.ب: 5735 ـ هاتف: 2215743 ـ فاكس: 2129807

المحتوى

مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي

بحث ميداني عبر حضاري مقارن

د. علي سعد
قسم الصحة النفسية ــ كلية التربية
جامعة دمشق

الملخص

يتطرق البحث في تحديده لموضوعه إلى تاريخية العلوم النفسية عبر الحضارية ومراحل تطورها وانتشار الدراسات التي تعتمد المدخل عبر الحضاري، موضحاً ما ترمي إليه هذه الدراسات والطرائق المستخدمة للوصول إلى المعلومات المطلوبة.

يحدد البحث موضوعه في إطار عنوانه ويبرز أهميته، ويختار عينته من طلبة السنة الثانية والأخيرة من كليات التربية في دمشق والكويت وأدنبرة (بريطانيا). في الإطار النظري يستعرض البحث مفهوم الأمن النفسي ومكانته، ليخلص إلى تحديد مفهومه الخاص للأمن النفسي كظاهرة تكاملية تراكمية نفسية معرفية ــ فلسفية ــ اجتماعية ــ كمية.

ينتقل بعدها للحديث عن عوامل الأمن النفسي في ضوء أطر مرجعية متعددة ويستعرض من ثم الدراسات السابقة في ميدان البحث، ليحدد بعدها أهداف وفرضيات ومنهج البحث وأداته، حيث اعتمد قائمة ماسلو للأمن النفسي.

أما في الإطار الميداني فيعرض النتائج ويحللها ويشير إلى ما آلت إليه الفرضيات من رفض: الأولى (ب، جـ) والثانية (أ) والثالثة (ب، جـ) والرابعة (ب، جـ) والسابعة (أ، ب) والتاسعة (جـ) وقبلت جميع الفرضيات الأخرى.

يقف البحث في طليعة البحوث النفسية عبر الثقافية المقارنـــة فـــي بيئـــة البحث و يتوقع أن يفتح آفاقاً طيبة للمضي في هذه البحوث التي يحتاجـــها الميدان التخصصي لما يلقي من ضوء على أثر الواقع الثقافي في السـلوك الإنساني فهماً وتشخيصاً وعلاجاً.

موضوع البحث وأهميته:

يدخل هذا البحث في إطار ما يعرف بشكل عام بالدراسات عبر الحضارية أو عبر الثقافية، وفي إطار علم النفس عبر الحضاري Cross Cultural Psychology بشكل خاص.

نشط هذا النوع من الدراسات عندما بدأت تتوضح أكثر فأكثر العلاقات المتينة بين أنماط سلوك الأفراد والأطر المرجعية الثقافية التي يعيشونها في سياق الزمان والمكان والشروط الثقافية المعينة، الأمر الذي يمنع معه تعميم القوانين المتعلقة بالسلوك الإنساني بعيداً عن هذه الشروط. ولعل المجال السلوكي الثقافي الذي تتميز به الثقافات يلعب دوراً أساساً في الفروق بين المنتمين لها.

فما يعتقده الناس وما يربطهم من علاقات وما يطمحون إليه فضلاً عن ظلال ماضيهم ومتغيرات حاضرهم والوجدان الاجتماعي والنفسي الذي يسلكون في ضوئه،كلها عوامل تكمن وراء الفروق الحضارية في السلوك البشري، من خلال تنشئة اجتماعية لها قوانينها ومصطلحات حياتها الخاصة.

ولقد بدأ الاهتمام بالدراسات النفسية عبر الحضارية عندما تم اكتشاف عدم فعالية تعميم القوانين النفسية المستخدمة في مجتمع ما على مجتمع آخر دون تعديل أو تقنين هذه القوانين. وعندما بدا أن أعراض السلوك ومظاهره وعوامله في حالة السواء والشذوذ، متميزة ولكل منها هويته وعلامته الدالة عليه.

وكانت البدايات الأولى عندما بدأت المجلات المتخصصة بنشر الأبحاث عبر الحضارية مثل مجلة علم النفس الدولي The International Journal of Psychology ومجلة علم النفس عبر الحضاري، ثم كان تأسيس الجمعية الدولية لعلم النفس عبر الحضاري التي عقدت عدة مؤتمرات عالمية في هونغ كونغ (١٩٧٢)

وفي كندا (١٩٧٤) وفي هولندا (١٩٧٦) وفي المانيا (١٩٧٨) وفي تركيا (١٩٨٦). أما الخطوة التي أقرت الفرع وكرسته بصورة نهائية فكانت خطوة إدخاله في الجامعات على أنه اختصاص أكاديمي منفرد، وكانت البداية في معهد التكنولوجيا في جامعة جيمس كوك وجامعة فلاندرز وجامعة تشارلز في استراليا، وفي جامعة كراتشي وتايلاند وفي بيروت (الجامعة الأمريكية) وجامعات الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك في ليبيريا ونيجيريا.

هذا الانتشار عزز استمرارية مجلة علم النفس عبر الحضاري.

Journal of Cross-Cultural Psychology كما دعم مكانتها الدولية (١-١٩٩٦ ص١٥٥).

ويرصد Joseph G.Ponterotto and others في كتابهم Handbook of Multicultural Counseling بطريقة علمية تاريخية، تطور مفهومات التعددية الثقافية (الحضارية) Multiculturalism التواصل عبر الثقافي الحضاري Cross-Cultural - Communication والتداخل عبر الثقافي (الحضاري) Cross Cultural Intervention مشيرين إلى أن هذه المفهومات الرائجة الآن في استخدام مكثف ومتداخل إلى درجة عدم الوضوح بينها، ترتبط بداياتها بالتاريخ الإنساني. حيث أن مفهومات كهذه كانت معروفة في حضارات الشرق الأوسط القديم ــ وعند الفراعنة ــ وكذلك في روما واليونان ...الخ.

ويتم التركيز في هذا الكتاب القيّم على الإرشاد النفسي عبر الثقافي الذي تنضوي موضوعاته على مفهومات بحثنا الحالي فيتابع التطور التاريخي عبر ثلاثة عقود. عقد الستينات والسبعينات والثمانينات، ليجد أن التسعينات تشهد نقلة نوعية في الكتابة عن الثقافات الأخرى وأنماطها السلوكية وسبل التدخل فيها، إلى الكتابة والاهتمام

والمقارنة بالثقافات الأخرى بـــالقدر نفســه (Joseph G. Ponterotto 1995-٢)
ويحدد محمد عثمان نجاتي (١٩٦٥) هدفين رئيسيين للدراسات عبر الثقافية:

١ ــ محاولة الوصول إلى مبادئ عامة للسلوك الإنساني تنطبق على الناس بوجه عام بصرف النظر عن اختلافات الثقافات والمجتمعات.

٢ ــ معرفة كيف يتأثر السلوك الإنساني بأنواع الثقافات المختلفة التـــي ينشـــط فيـــها الإنسان (٣ ــ ١٩٩٥ ص٤٧).

وإذا كان تعبير عبر حضاري Cross Cultural يشير إلـــى عمليـــة المقارنـــة بيـــن الحضارات وأنماط سلوكها فإنه من المنتظر من هذه المقارنـــات أن تتعـــدى اختبـــار عمومية القوانين السلوكية، لتكتشف خصائص كل حضارة من الحضارات الأخـــرى مما يسهل عملية ربط أشكال السلوك بأسسها النفسية والعرقية والجغرافية والاجتماعية والتاريخية.

وعند دراسة الفروق بين أداء الجماعات المختلفة في الثقافات المتعـــددة فإنـــه يمكـــن اللجوء إلى إحدى الطرائق التالية: (٣ ــ ص٤٨).

الطريقة الأولى: الاعتماد على المعلومات والبيانات التـــي قـــام بجمعـــها أشـــخاص آخرون عن الجامعات أو الثقافات قيد الدراسة.

الطريقة الثانية: جمع البيانات والمعلومات من عينات تمثل هذه الثقافات حيث تحتـــاج البيانات والمعلومات في هذه الطريقة إلى وقت وجهد كبيرين، وإلى عينة كبيرة ممثلـــة لهذه المجتمعات مع الحاجة إلى أكثر من شخص للقيام بهذه المهمة والإلمام بأكثر مـــن لغة، إضافة إلى تكوين العلاقات الاجتماعية الجيدة مع أفراد المجتمع الـــذي ســـوف تجري فيه الدراسة.

اختار هذا البحث الطريقة الثانية، لضبطه شروط هذه الطريقة وتوافر الإمكانات لـها، ولأن في موضوع الأمن النفسي الذي اختار هذا البحث. الخوض فيه لدى عينة من الشباب الجامعي ينتمون إلى ثقافات فيها الكثير من التشابه والاختلاف ما يغري للخوض في مثل هذا الميدان.

فالأمن النفسي ومستوياته، حتى ولو بدا عملية فردية داخلية تتحكم فيها طاقات نفسية حيوية شخصية، فهو نتاج اجتماعي ثقافي بالمحصلة تتحكم فيه متغيرات بيئية محددة في سياق خاص. وينتظر بالتالي عند دراسة المستويات النفسية الوقوف على آثار تلك المتغيرات البيئية ومقارنتها تبعا لإطارها الثقافي.

أما لماذا الشباب الجامعي مجتمعا للدراسة..؟ فلأن أمن الشباب الجامعي النفسي هو أمن للمجتمع، ولمستقبل المجتمع، فشباب اليوم هم قادة المستقبل ومهما قيل عن عوامل خارجية في النمو الاجتماعي، يبقى الحديث عن العوامل الذاتية هو الحديث الجوهري وتبقى المراهنة على صحة الشباب النفسية ومشاعر القوة والطمأنينة لديهم مراهنة محسوبة تصب في مصلحة المجتمع.

كما أن مقارنة مستويات الأمن لدى شبابنا الجامعي العربي في بلدين شقيقين سوريا والكويت وبلد غربي بريطانيا (ادنبرة) تجعلنا كما نأمل من البحث في موقف العارف لجانب هام من جوانب الصحة النفسية، إن لم تكن الصحة النفسية بذاتها، لدى هؤلاء،مقارنة مع مجتمع آخر. مما يرتب معرفة أعمق في كيفية التعامل معهم. وتقديم متطلبات الحياة النفسية بالشكل الأفضل (الأمن النفسي من المفهومات الأساسية في مجال الصحة النفسية/ القوصي ١٩٦٦/، زهران ١٩٧٤/ فهمي ١٩٦٩/ ٤ ـ ص١٣٦).

تأسيسا على ما تقدم فقد تم اختيار موضوع البحث بالتالي:

/مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي/

"بحث ميداني عبر حضاري مقارن بين طلبة

كليات التربية في: دمشق ــ الكويت ــ ادنبرة"

كما تم اختيار المدخل الثقافي المقارن للتعامل مع الموضوع، وتتبع **أهمية البحث** في اعتقاد الباحث من:

١ ــ أهمية تأطير الدراسات عبر الثقافية وتعميقها في تناول الظواهر السلوكية.

٢ ــ أهمية تعرف مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي بما يترتب على ذلك من آثار تربوية تشخيصية إرشادية.

٣ ــ أهمية المقارنة بين أنماط سلوكية تنتمي إلى حضارتين متشابهتين ــ سورية والكويت ــ وحضارتين مختلفتين ــ عربية وبريطانية ــ.

٤ ــ أهمية معرفية تكمن في اضافة أصيلة. (حسب اطلاع الباحث) في موضوع البحث، وما يلبيه في معالجة نقص ملحوظ في مكتباتنا على المستوى المحلي.

الإطار النظري للبحث:

أ ــ الأمن النفسي

يعد مفهوم الأمن النفسي من المفهومات المركبة في علم النفس ويتداخل في مؤشراته مع مفهومات أخرى مثل: (الطمأنينة الانفعالية ــ الأمن الذاتي ــ التكيف النفسي ــ الرضا عن الذات ــ مفهوم الذات الإيجابي ....الخ) مثلما يتبادل المواقع عندما يكون الحديث عن مستواه في الدراسات النفسية مع مفهومات (القلق ــ الصراع ــ الشعور بعدم الثقة ــ توقع الخطر ــ الإحساس بالضغط ــ الإحساس بالعزلة، لدرجة يصعب معها توضيح حدوده بجلاء). ومع إقرار البحث الحالي بحقيقة تقاطع مفهوم الأمن

النفسي مع مفهومات عدة في علم النفس، فإن طبيعة البحث تتطلب القيام بمحاولة إبراز هذا المفهوم من جوانب تخدم البحث.

أولاً : معنى الأمن النفسي في اللغة العربية

يفهم من استعمال لفظ الأمن في اللغة العربية أنه يفيد معنى الاطمئنان وعدم الخوف،فإنه يقال: أمن آمناً وأماناً وآمنه إذا اطمأن ولم يخف فهو آمن وأمين، ويقال أمن فلان على كذا إذا وثق به واطمأن إليه (المعجم الوسيط جـ ١/١٨). (٥ ــ ص ١٧).

أما في لسان العرب: الأمن الأمانة ضد الخوف وآمنته ضد أخفته والأمن ضد الخوف والآمنة والأمن والمأمن موضع الأمن(٥ ــ ص١٧). يشير التعريف اللغوي للأمن إلى مسألة التداخل بين الإحساس بعدم الخوف والأمن النفسي فضلاً عن التقاطع مع مفهوم الطمأنينة وإحساس الفرد بالرضا والراحة النفسية.

ثانياً: مفهوم الأمن النفسي:

الأمن النفسي هو الطمأنينة النفسية أو الانفعالية وهو الأمن الشخصي، أو أمن كل فرد على حدة. وهو حالة يكون فيها إشباع الحاجات مضموناً وغير معرض للخطر وهو محرك الفرد لتحقيق أمنه ولدرء الخطر الذي يهدد أمنه، وترتبط الحاجة إلى الأمن ارتباطاً وثيقاً بغريزة المحافظة على البقاء (٦ ــ١٩٨٩ــ ص٢٩٦ ــ ٢٩٧).

والشخص الآمن نفسياً هو الذي يشعر أن حاجاته مشبعة وأن المقومات الأساسية لحياته غير معرضة للخطر، والإنسان الآمن نفسياً يكون في حالة توازن أو توافق أمني (٦ــ ص٢٩٦).

الأمن النفسي: هو سكون النفس وطمأنينتها عند تعرضها لأزمة تحمل في ثناياها خطراً من الأخطار، كذلك شعور الفرد بالحماية من التعرض للأخطار الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية المحيطة به (٧ــ ١٩٩٥ص٧٠).

أما ماسلو Maslow فقد كان من أكثر علماء النفس اهتماماً بمفهوم الأمن النفسي ويرى الباحث أنه قدم أفضل إسهام في هذا المجال، لأنه من النادر أن يخلو بحث عن الأمن النفسي من الإشارة إلى مفهوم ماسلو أو دراساته في هذا الميدان.

لم يقف (ماسلو) عند محاولة تقليدية لتعريف الأمن النفسي، بل بذل جهوداً طيبة من أجل الوصول وبطرائق علمية عيادية ميدانية إلى تحديد شامل لمفهوم الأمن النفسي في محاولة متكاملة تظهر معها مؤشرات الأمن النفسي في مستويين، مستوى الإحساس بالأمن، ومستوى عدم الإحساس بالأمن. ويفصل بينهما مستويات تتجه باتجاه التوسط. ولأن البحث الحالي سيعتمد مفهوم ماسلو للأمن النفسي ويستخدم الأداة التي عن طريقها توصل ماسلو إلى مفهومه بمؤشراته المتكاملة. فإننا سنتعرض

لهذا المفهوم تفصيلاً معتمدين على الكتيب الذي أعده ماسلو ومساعدوه وهو كتيب خاص باختبار الأمن النفسي (أداة هذا البحث) يتضمن مؤشرات الأمن النفسي مثلما يتضمن مؤشرات عدم الأمن النفسي. يتحدث ماسلو عن أربعة عشر مؤشراً للأمن النفسي. ويقدمها وفق السياق التالي : (٨ ــ ١٩٥٢ ص٣).

١. الشعور بمحبة الآخرين وقبولهم ومودتهم.

٢. الشعور بالعالم كوطنٍ وبالانتماء والمكانة بين المجموعة.

٣. مشاعر الأمان وندرة مشاعر التهديد والقلق.

٤. إدراك العالم والحياة بدفء ومسرة حيث يستطيع الناس العيش بأخوة وصداقة.

٥. إدراك البشر بصفتهم الخيرة من حيث الجوهر وبصفتهم ودودين وخيرين.

٦. مشاعر الصداقة والثقة نحو الآخرين حيث التسامح وقلة العدوانية ومشاعر المودة مع الآخرين.

٧. الاتجاه نحو توقع الخير والإحساس بالتفاؤل بشكل عام.

٨. الميل للسعادة والقناعة.

٩. مشاعر الهدوء والراحة والاسترخاء وانتفاء الصراع، والاستقرار الانفعالي.

١٠. الميل للانطلاق من خارج الذات والقدرة على التفاعل مع العالم ومشكلاته بموضوعية دون التمركز حول الذات.

١١. تقبل الذات والتسامح معها وتفهم الاندفاعات الشخصية.

١٢. الرغبة بامتلاك القوة والكفاية في مواجهة المشكلات بدلاً من الرغبة في السيطرة على الآخرين، الحزم ـ الإيجابية ـ قاعدة طيبة لتقدير الذات الإحساس بالقوة والشجاعة.

١٣. الخلو النسبي من الاضطرابات العصابية أو الذهانية وقدرة نظامية في مواجهة الواقع.

١٤. الاهتمامات الاجتماعية وبروز روح التعاون واللطف والاهتمام بالآخرين وإذا كانت (كما يشير ماسلو) المؤشرات الثلاثة الأولى بمنزلة أسباب أو عوامل فإن المؤشرات الباقية تعد من وجهة النظر نفسها نتائج.

لا تقف مؤشرات ماسلو المذكوره آنفاً عند حدود التعريف بالأمن النفسي ومظاهره بل تتعدى ذلك لتبين مجموعة من المظاهر التي يصلح عدها عوامل تسهم في تكوين المناخ النفسي الآمن وفي الوقت نفسه نتيجة له، فالإحساس بالمحبة والقبول وانتفاء مصادر التهديد والثقة بالنفس وبالآخرين وما يتبعها من انطلاقة آمنة نحو الإنجاز وتحصيل التكيف الاجتماعي والتحرر من مشاعر الشدة وتوفير الطاقات التي يستنفذها الضغط والتوتر، كلها عوامل للأمن النفسي وهي بالضرورة تنتج عنه.

ثالثاً: مفهومنا للأمن النفسي.

الأمن النفسي ظاهرة تكاملية تراكمية نفسية معرفية فلسفية اجتماعية كمية إنسانية.

أ ـ نفسية: تستند إلى قدر من الطاقة النفسية يعبر عنه في مستويات من الكبت والتوتر والسيطرة الإرادية والإدارية للانفعالات والاندفاعات الشخصية. قابل للقياس في ضوء محك للإنجاز الشخصي والاجتماعي حيث يؤثر ويتأثر أمن الشخص النفسي بهما، فضلاً عن أثر نمط الشخصية ومفهوم الذات لديها.

ب ـ معرفيه فلسفية: يتحدد الأمن النفسي أول ما يتحدد بقيمة الأشياء والموضوعات المهددة للذات ومعانيها المعرفية، إذ قلما نخشى أو نُهدد أو يساء إلى اتزاننا ونسلك سلوكاً مادياً يجسد ذلك، قبل أن نكون قد حكّمنا مسبقاً أفكاراً معرفيه فلسفية تشكل جزءاً من منظومتنا المعرفية بطبيعة ونمط السلوك الذي نسلك. إن اتجاهاتنا السلبية أو الإيجابية وتقويماتنا المعرفية الفلسفية لها تلعب دوراً فاعلاً في تحديد آثارهافمشاعر القلق والخوف والإحساس بالرفض ترتبط بشكل أساس بالقيمة الفلسفية التي نقوّم بها أسباب تلك المشاعر. هناك فرق كبير بين شخص يقوّم الحياة بمتغيراتها تقويماً عالياً ويعدها جديرة بالحياة والعمل من أجلها وبين آخر يعدها عبئاً وغير جديرة بأن تعاش.

جـ ـ اجتماعية: فالعلاقة مع المجتمع ليست علاقة خارجية تفرضها ظروف بعيدة عن الذات،عن طريق علاقة ما مع القوانين. والنسيج الاجتماعي المستقل نظرياً عن نسيج هذه الذات، وإنما علاقة تنطبع وفق التنشئة الاجتماعية في وجدان الفرد وخريطته المعرفية وتصبح قادرة على العمل داخل الفرد حتى في غياب عامل المباشرة في العلاقة مع الفلسفة الاجتماعية وتشريعاتها المكتوبة غير المكتوبة، ولذلك يصعب الحديث عن أمن نفسي شخصي دون هوية اجتماعية محددة. فما يهدد الاستقرار النفسي في مجتمع ما قد لا يثير أدنى درجات الاهتمام في مجتمع آخر.

د ـ كمية: ينطوي مفهوم الأمن النفسي على وجود بمقدار كمي له وزن ما يمكن قياسه /يظهر على شكل سلوك أو طاقة/ وهذا ما جعل الحديث عن مستويات الأمن النفسي معقولاً ويستند إليه عمل تشخيصي يصنف أنماط السلوك وكذلك أنماط الشخصيات إلى سلوك آمن بمقدار أو شخصية آمنة بمقدار. هذا الفهم الكمي للأمن النفسي يوفر إمكانية التدخل العلمي على مستوى القياس والتشخيص والعلاج.

هـ ـ إنسانية: فالأمن النفسي سمة يشترك فيها أبناء البشر مهما كانت مراحلهم العمرية أو مستوياتهم الاجتماعية الثقافية أو المعرفية. وبالتالي فهو سمة إنسانية وتحصين هذه السمة والتدخل للتأثير الإيجابي بمستويات عدم أمنها هو مهمة إنسانية تؤدي إلى إنسانية آمنة منتجة ومبدعة.

رابعاً: العوامل في الأمن النفسي:

لمسنا عند تحديد مفهوم الأمن النفسي تداخلاً شديداً ومعقداً بين مجموعة المتغيرات التي تتدخل في هذا التحديد، وأشرنا إلى أن هذه المتغيرات تشكل حيناً عاملاً وحيناً آخر نتيجة، لا نريد الدخول في متاهة البحث عن الوقت الذي يكون فيه المتغير عاملاً أو نتيجة. ولكننا نعتقد خدمة للبحث بضرورة التركيز علي بعض العوامل المركبة التي يركز عليها الباحثون في هذا الميدان، ولهؤلاء الباحثين في تصديهم لتحليل عوامل النمو النفسي بما يرتبه من أمن نفسي مذاهب عدة:

١ ـ الوراثة والبيئة:

من غير الموثوق به الركون إلى دور الوراثة في الأمن النفسي مع غياب دراسات قابلة للتعميم في هذا المجال، والحال سباق بين أنصار البيئة من الباحثين وبين أنصار الوراثة منهم. فقد ذكر (كاتل ١٩٦٦)نتيجة دراساته المعتمدة على التحليل العاملي أن القلق/ وهو أحد محكّات الأمن النفسي/ يرجع ٣٥٪منه إلى الوراثة وأن للبيئة الأثر الأكبر، كما أشارت دراسات كل من (ايزنك Eysenck وسلاتر Slater) إلى أن

لظروف البيئة السيئة الدور الرئيس في تنمية سمة القلق العالي. (١٩٨٨ ــ ٩ ص١١).

لا يمكن الحديث عن دور الوراثة في إطار الاضطرابات الانفعالية دون استخدام كلمات أو مفهومات تشير إلى عدم توافر الثقة الكاملة في النتائج التي تجري في هذا السياق. وغدت كلمات مثل: من المحتمل، من المرجح، من المعتقد، تخمين، كلمات مألوفة في أدبيات الوراثة، وتكفي برأينا للتأكد بأن مقدار الوثوقية في وراثة المظاهر الانفعالية مازال في ضوء التجريب، وركون الباحث النفسي واطمئنانه غير مدركين في هذا السياق(١٠ــ ١٩٩٤ ص٣٤٣).

٢ ــ التنشئة الاجتماعية:

تلعب خبرات الطفولة كما يرى بعض علماء النفس دورا في نمو الشعور بالأمن فمن ذلك يرى فريق أن القلق ومشاعر الخوف ناشئة عن الخبرات والمواقف الخطيرة التي تهدد الفرد في مراحل نموه وما يتعرض له الطفل من إحباطات تتصل بإشباع حاجاته الأولية. بينما يركز فريق آخر من العلماء على دور أساليب معاملة الأطفال على الشعور بالأمن، ويشير إلى أن التسلط والسيطرة وعدم احترام حاجات الطفل الفردية وحرمانه من الحنان أو الحماية الزائدة من أهم مصادر عدم الشعور بالطمأنينة. ومن البحوث التي أكدت أثر خبرات الطفولة على تنمية مشاعر الطمأنينة ما قام به (ميوسن Mussen) وآخرون حيث اتضح أن الذين لم يحصلوا على عطف أسري كاف كانوا أقل أمناً وأقل ثقة بالنفس وأكثر قلقاً وأقل توافقاً من أولئك الذين يحصلون على عطف أسري. وقد وجد (محمود عطا حسين) بعد تناوله لعدة دراسات وتحليلات لعوامل الأمن النفسي (موسى ١٩٨٥ ص١٠٠ــ رحمة من دون تاريخ ١٥٢ تركي ١٩٧٤ــ ص٧٨). (١١ــ١٩٨٧ ص١٠٣ وما بعدها) أن أساليب التنشئة الاجتماعية والعلاقات الأسرية القائمة على الاحترام المتبادل وأساليب التعامل

القائمة على تفهم الطفل وتقبله وإشعاره أنه مرغوب فيه، وأساليب الرعاية المتزنة دون إهمال أو رفض، تعد شروطاً أساسية للطمأنينة الانفعالية عند الأطفال. ولما كانت الأسرة هي المجال الاجتماعي الذي تشبع فيه الحاجة إلى الأمن وتمارس تأثيراتها في الطفل لمدة طويلة، فإن الخبرات الطفلية تعمل على تشكيل الأمن النفسي لدى الفرد. إن تكرار الخبرات الصادمة والمواقف المحبطة والحرمان من الرعاية الأسرية،وأساليب التعامل القائمة على الإهمال أو النبذ أو الرفض أو التسلط، تعد مصادر أساسية للقلق ومن ثم الشعور بعدم الأمن وهذا يؤدي بدوره إلى أشكال مختلفة من الاضطراب النفسي. إن درجة الأمن التي تتحقق للطفل في أسرته وبيئته الاجتماعية لها أثر كبير في قدرته على التوافق النفسي والاجتماعي فيما بعد، وإن الاستجابات الدالة على فقدان الشعور بالأمن نجدها واضحة عند العصابيين والجانحين وسيئي التوافق، في حين تظهر الاستجابات التي تدل على الأمن عند الأسوياء.

إن الفرد الذي يشعر بالأمن في بيئة أسرية مشبعة يميل إلى تعميم هذا الشعور فيرى البيئة الاجتماعية مشبعة لحاجاته. ويرى في الناس الخير والحب ويتعاون معهم ويحظى بتقديرهم فيتقبله الآخرون، وينعكس ذلك على تقبله لذاته لأن هناك علاقة إيجابية بين تقبل الذات وتقبل الآخرين.

ويؤكد (فاروق سيد عبد السلام ١٩٧٩) على دور التنشئة الاجتماعية حين يفسر حالة الأمن النفسي (الإحساس بالطمأنينة الانفعالية وتمتع الفرد بها نتاجاً لعمليات التفاعل الاجتماعي بين الفرد والبيئة الاجتماعية التي عاش ويعيش فيها... إن كون الفرد آمناً من الوجهة النفسية ما هو إلا نتاج لما خبره في بيئته من خبرات ومواقف مختلفة جعلته يشعر بالأمن النفسي حيال هذه البيئة. كما أن كون الفرد غير آمن نفسياً راجع أيضاً إلى ما خبره من البيئة التي عاش فيها التي أصبح يراها على أنها بيئة مهددة ومخيفة ولا تثير لديه إلا مشاعر عدم الأمن والقلق. (٤ــ ص١٢٢).

وللأمن النفسي أبعاد أساسية وثانوية. أما الأبعاد الأساسية فتنطوي على:

- الشعور بالتقبل والحب وعلاقات الدفء والمودة مع الآخرين، ومن مظاهر ذلك الاستقرار والزواج وهو أمن ومودة، ورحمة وألفة وإشباع حاجات والديه ورعاية الأولاد وتربيتهم.
- والشعور بالانتماء إلى الجماعة والمكانة فيها وتحقيق الذات والعمل الذي يدر دخلاً يكفي لحياة كريمة في الحاضر والمستقبل.
- الشعور بالسلامة والسلام / وغياب مهددات الأمن مثل الخطر والعدوان والجوع والخوف.

وأما الثانوية فتنطوي على:

- إدراك العالم والحياة على أنه بيئة سارة دافئة يشعر بالكرامة وبالعدالة وبالاطمئنان والارتياح.
- إدراك الآخرين بوصفهم ودودين أخيار وتبادل الاحترام معهم.
- الثقة بالآخرين وحبهم والارتياح للاتصال بهم، وحسن التعامل معهم، وكثرة الأصدقاء.
- التسامح مع الآخرين (وعدم التعصب).
- التفاؤل وتوقع الخير (والأمل والاطمئنان إلى المستقبل وحسن الحظ).
- الشعور بالسعادة والرضا عن النفس وفي الحياة.
- الشعور بالهدوء والارتياح والاستقرار الانفعالي والخلو من الصراعات.
- الانطلاق والتحرر والتمركز حول الآخرين إلى جانب الذات (والشعور بالمسؤولية الاجتماعية وممارستها).

- تقبل الذات والتسامح معها، والثقة في النفس (والشعور بالنفع والفائدة في الحياة) (٦ ـ ص٢٩٨).

وفي السياق ذاته يذكر حامد عبد السلام زهران ما أطلق عليه "عمليات الأمن النفسي" كأنشطة يستخدمها الجهاز النفسي لخفض أو التخلص من التوتر وتحقيق تقدير الذات والشعور بالأمان، ويضيف:

- يجد الفرد أمنه النفسي في انضمامه إلى جماعة تشعره بهذا الأمن إن الفرد القلق يجد الراحة والأمن في صحبة الآخرين. إنه يحتاج إلى الآخرين ليكونوا بجواره عندما يقابله خطر وعندما تحل به كارثة أو مصيبة. إن وجودهم معه يخفف لخطر وإن لم يمنعه (ليونارد بيركوتيز. BerKowitz 1975) .

والأسرة السعيدة والمناخ الأسري المناسب لنمو أفرادها نموا سليما وإشباع حاجاتهم ولا سيما الحاجة إلى الأمن يؤدي إلى تحقيق الأمن النفسي، وأسرة العمل والانتماء إلى نقابة يزيد الشعور بالأمن النفسي ويقابل هذا أمن الانتماء إلى الوطن (جون باتيسيتا وآخرون Bateseta) وجماعات الرفاق تدعم الأمن النفسي لأفرادها ويتضح ذلك في جماعات العمل في السلم والحرب والإنتاج حيث يعتمد بعضهم على بعض بشكل واضح حتى يشعروا بدرجة أكبر من الأمن. (المرجع السابق ص٣٠٠ـ٣٠١).

ويشير علاء الدين كفافي ١٩٨٩ في دراسة تناولت العلاقة بين تقدير الذات وبعض المتغيرات النفسية والاجتماعية التي يمكن أن ترتبط به ارتباطا عليا وهي التنشئة الوالدية كما يدركها الأبناء والشعور بالأمن النفسي، إلى أن التنشئة الوالدية الصحيحة تؤدي إلى أن يشعر الطفل بالأمن النفسي وهذا يساعد في بناء وتقدير مرتفع للذات والعكس صحيح فأساليب التنشئة الخاطئة لا تجعل الطفل يشعر بالأمن النفسي. (١٢ ـ ١٩٨٩ ص١٠١ وما بعدها).

ركزنا كما هو واضح على دور التنشئة الاجتماعية في تحقيق أو عدم تحقيق الأمن النفسي لدى الأفراد لأن التنشئة الاجتماعية بجوانبها الأسرية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والروحية والسلوكية... الخ تشكل المجال الحيوي الذي يعيش فيه الإنسان مكتسباً لوسائل حمايته النفسية ومقدماً نفسه للآخرين على أنه شخصية فيها من الثبات النسبي من حيث السلوك مايجعل عملية التنبؤ بردود أفعالها ممكنة إلى حد كبير.... وبالتالي فإنه من الممكن القول: إن ما يسبغ على الإنسان خصائصه ويقدمه بتعريف شخصي نفسي بما تنطوي عليه من عوامل الأمن النفسي للآخرين هو أساليب التنشئة الاجتماعية.

غير أن هذا التركيز لم يمنعنا خدمة للبحث من محاولة تقصي مصادر وعوامل الأمن النفسي أيضاً لدى بعض الباحثين والنظريات والاتجاهات العلمية النشطة في ميادين التعامل مع السلوك الإنساني ومستويات سلامته النفسية نمواً أو تشخيصاً أو علاجاً،وهذا ما سنفعله في الأسطر القادمة.

الجشطلتية (بيرلز Perles)،تركز على النظرة الكلية للشخصية، وتستبعد فكرة الاتزان والصحة النفسية في غياب التكامل بين عناصر الكل الشخصي. وبالتالي فإن الصحة النفسية ومظهرها الأساس الأمن النفسي. يبدوان في تحمل المسؤولية وارتباط الحاجات الداخلية والخارجية بأبعادها المكانية والزمانية وبمتغيراتها الاجتماعية والفلسفية والنفسية... الخ ومحك ذلك هو الحاضر وامتداده في المستقبل القريب (راجع R.Nelson -Jones 13-1996) (١٣ ــ ١٩٩٦ص٤٥).

جلاسر (William . Glasser) صاحب نظرية العلاج بالواقع يرى أن تحقق الأمن النفسي مرتبط بتحقيق الفرد لحاجاته الأساسية في البيئة الواقعية، وبأسلوب واقعي مقبول وفق أسس الضبط الاجتماعية، وبتحقيق الاندماج الوجداني مع شخص أو أكثر

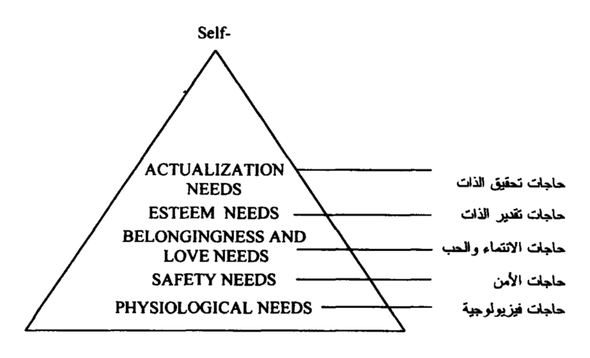
اندماجاً يتجاوز التقبل العادي المتبادل ليشكل سنداً حقيقياً واقعياً في البيئة الوجدانية الشخصية للفرد (راجع ١٤ــ Glasser, W-965) .

أما البرت الليز (A Ellis) فيربط بين أحاسيس الطمأنينة النفسية وبين التفكير العقلاني ويربط ربطاً شديداً بين الانفعال والتفكير بحيث يُخلد كل منهما للآخر. فالتفكير العقلاني يُخلد معه انفعالاً مريحاً يشير إلى الاتزان في مجاله، والانفعال هذا بدوره يعزز التفكير المذكور ويعكس الأمر في حال التفكير غير العقلاني الذي يتبعه الاضطراب السلوكي في ميدانه.

وبذلك فالحياة الشخصية السوية هي حياة تحصّل عن طريق التفكير العقلاني،المنطقي،ولقد أصبحت قائمة الأفكار غير العقلانية التي عممتها أدبيات البرت الليز متداولة على نطاق واسع في ميادين التخصص (راجع ١٥ــ Ellis).-A.1996

الاتجاهات ذات الإطار المرجعي الإنساني تربط بين الأمن النفسي وبين تحقيق الحاجات الإنسانية في إطار معياري يرتبط بالعمر ومتغيرات المجتمع والمكان والطبيعة البشرية. وتشكل الحاجة إلى الأمن إحدى الحاجات المركزية التي تنتج عما قبلها وتؤسس ما بعدها من حاجات.

وغدا هرم ماسلو (الممثل البارز لهذه الاتجاهات) معروفاً جيداً على نطاق أدبيات علم النفس العالمية. هذا الهرم الذي يتضمن آلية الإحساس بالأمن النفسي من خلال العلاقة التكاملية بين حاجاته، وعدّ الحاجة إلى الأمن حاجة قاعدية، أساسية، بالإضافة إلى الحاجة الفيزيولوجية التي تسبقه في الهرم والحاجة إلى الحب والانتماء والحاجة إلى تقدير الذات اللتين تأتيان بعده أما الحاجة إلى تحقيق الذات فقد عدها الهرم حاجة من حاجات النمو.



هرم ماسلو للحاجات (Robertj . Gatchel P 430)

ويفسر فرويد Sigmund Freud مفهوم الأمن النفسي عبر افتراضات نظرية وآراء يدور حولها جدل لم ينقطع. فالبشر بالنسبة لفرويد كائنات حية بمركبات بيولوجية غرائزية دافعية موجهة نحو تحقيق اللذة وتجنب الألم والقلق، باستخدام أشكال من الطاقة النفسية الحيوية الجنسية، وهو لا يضع حدوداً جامدة بين أشكال هذه الطاقة، فالطاقة البدنية قد تتجسد أو تتحول إلى طاقة نفسية، والعكس يحصل، والغرائز هي التي تتولى مهمة هذا التحويل بأشكال مباشرة أحياناً أو غير مباشرة، شعورية أو غير شعورية عن طريق الرمز والتصريح أحياناً أخرى.

يربط فرويد بين الأمن النفسي والأمن البدني وتحقيق الحاجات المرتبطة به. حين يرى الإنسان مدفوعاً لتحقيق حاجاته بغرض الوصول إلى الاستقرار. وعند الفشل تتهدد الذات وتتألم وتحس بالضيق والقلق والهم.

لقد كان فرويد من أبرز الذين أكدوا على مصادر الخطر الداخلية في الإنسان التي تقوده إلى سوء تكيف وعدم استقرار مع محيطه، حينما يؤكد الميول العدوانية والشهوانية الشريرة التي تولد مع الإنسان، وبالتالي فإن الإنسان يحمل في هذا المعنى أسباب عدم أمنه.

ولذلك يفسر فرويد معظم محاولات الإنسانية الحضارية في ضوء رغبة الإنسان في مواجهة عناصر العداء والغرائز في داخله. ولقد أوكل فرويد إلى الأنا (ego) في مدخل بنيوي يشمل بالإضافة إليه ـ الهو ID والأنا الأعلى Super ego مهمة الحفاظ على توازن الشخصية وبالتالي أمنها النفسي والاجتماعي، وافترض أن أي خلل في الدور التنسيقي للأنا سيؤدي حتماً إلى الإحساس بالألم وفقدان اللذة المتوقعة من السلوك المعني وبالتالي إلى الاضطرابات السلوكية.

ويعيد فرويد فشل الأنا إلى ما يتعرض له الفرد من كبت ونشاط لا شعوري،وتصريف غير كاف للطاقة الحيوية والجنسية الذي يؤدي بدوره إلى تثبيت أنماط أولية من السلوك يصعب على الفرد معها التكيف مع مطالب الحياة (١٠ـ ص٧٧).

ويرتبط أمن الإنسان النفسي عند ادلر Adler بمدى قدرته على تحقيق التكيف والسعادة في ميادين العمل والحب والمجتمع. ويتم ذلك من خلال قدرة الإنسان على تجاوز قطبية كلية يتصف بها بني البشر، الشعور بالدونية ينطوي على غائية مناسبة تسهم في تجاوز عقد النقص المعممة على البشر.

وهكذا فالأمن النفسي يتوقف على إدراك حقيقي لمسألة النقص وأسلوب حياة بغائية مناسبة مدعوم بمستوى طموح معقول وتقويم ذاتي مرض.

الدراسات السابقة في مجال موضوع البحث:

لم يقع الباحث على دراسة تناولت موضوع البحث باستخدام الأداة المستخدمة فيه (اختبار ماسلو للأمن النفسي) على عينة من الشباب الجامعي تنتمي إلى ثقافات مختلفة. وإنما تم العثور على دراسات استخدمت الأداة لتقيس الأمن النفسي في ظواهر سلوكية متنوعة. وكذلك على دراسات استخدمت مفهومات متقاطعة مع مفهوم الأمن النفسي في إطار الصحة النفسية التي يعبر عنها الأمن النفسي بدرجاته المعيارية على حد قول صاحب الاختبار ماسلو Maslow، وبالتالي سنستعرض بعضاً من هذه وتلك:

ــ كمال دواني وعيد ديراني، ١٩٨٣، قاما بدراسة صدق الأداة على البيئة الأردنية فعرباه واستخرجا دلالات صدقها وثباتها التي جاءت مشجعة، (١٧ ــ ١٩٨٣ ص٤٧ وما بعدها).

ــ علاء الدين كفافي (١٩٨٩) استخدم اختبار ماسلو للأمن النفسي في دراسته عن تقدير الذات في علاقته بالتنشئة الوالدية والأمن النفسي دراسة في علية وتقدير الذات لدى عينة من الطالبات القطريات وغير القطريات (١٢ ــ ص ١٠٠ وما بعدها). ــ محمود عطا حسين ١٩٨٧، مفهوم الذات وعلاقته بمستويات الطمأنينة الانفعالية،استخدم الأداة نفسها على عينة من طلاب المرحلة الثانوية في مدارس الرياض في المملكة العربية السعودية (١١ ــ ص١٠٣ وما بعدها).

ــ فاروق عبد السلام (١٩٧٨) القيم وعلاقتها بالأمن النفسي، استخدم اختبار ماسلو للأمن النفسي على عينة من طلاب السنة الرابعة في كلية التربية بجامعة الأزهر (٤ ــ ص١١٩ وما بعدها).

ــ سهير كامل أحمد (١٩٩١) بحثت قلق الشباب، دراسة عبر حضارية في المجتمعين المصري والسعودي على عينة من الطلبة الجامعيين في المجتمعين (١٨ ــ ١٩٩١ ص٣٨٧ وما بعدها).

ـ جابر عبد الحميد جابر ١٩٧٨، قام بدراسة مسحية للمخاوف الشائعة لدى عينة من القطريين وغير القطريين من الجنسين (١٨ ـ ص٣٩٢).

ـ كهان راهان علي وكهان نسرات علي Khan - Rahan - Ali & Khan١٩٩٤ - Nusrat - Ali 1994 درسا مشاعر الأمن وعدم الأمن النفسي عند النساء لدى عينة من النساء الهنديات وفق متغيري الزواج والعمل باستخدام اختبار ماسلو (١٩ ـ ص٨٣ ـ ٨٦).

ـ Dekker – Sidney – w – 1995. Aدرس آثار الأمن النفسي في الصحة النفسية. على عينة من العمال الأستراليين (٢٠ ـ ص٥٧ ـ ٦٣).

ـ Duglas and others 1995 –teti درسوا العلاقة بين الاكتئاب الأمومي وأمن لتعلق على عينة من الأمهات في التيمور (٢١ ـ ص٣٦٤ ـ ٣٧٦).

ـ Orpen - Chistopher 1994 درس آثار تقدير الذات والضبط الشخصي في العلاقة بين الأمن المهني والصحة النفسية، على عينة من العمال الأستراليين.

(٢٢ ـ ص٥٣ وما بعدها)

ـ Roskies 1993 وآخرون درسوا طرائق مواجهة عدم الأمن المهني لدى عينة من العمال الكنديين (٢٣ ـ ص٦١٧ ـ ٦٣٠).

ـ Orpen Christopher 1993 درس العلاقة بين عدم الأمن المهني والصحة النفسية لدى عينة من العمال البيض والسود في جنوب أفريقيا (٢٤ ـ ص٨٨٥ ـ ومابعدها).

ـ Singh - Neeru 1990 قارن بين مستويات القلق وعدم الأمن النفسي لدى أمهات الأطفال المعوقين والعاديين، على عينة من الأمهات الهنديات (٢٥ ـ ص١٠٣ ومابعدها).

أهداف البحث

يهدف البحث إلى مايلي:

١. تحقيق مستويات معرفية عبر حضارية أكثر غنى عن واقع الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي.

٢. مقارنة مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي في ضوء أطر مرجعية ثقافية متنوعة ومختلفة.

٣. تشجيع البحوث في ميادين علم النفس عبر الحضاري على أنه اتجاه علمي حديث حقق إنجازات وإساهمات قيمة تخدم ميادين المعرفة والتشخيص والوقاية والعلاج.

٤. تعرف الفروق بين الشباب الجامعي في كليات التربية وعلم النفس حسب الجامعة والجنس في مستويات الأمن النفسي.

٥. تعرف الفروق بين الشباب الجامعي في كليات التربية وعلم النفس حسب الجامعة والسنوات الدراسية في مستويات الأمن النفسي.

فرضيات البحث

حدد البحث تسع فرضيات أساسية لكل منها ثلاث فرضيات فرعية لضرورة المقارنة بين الكليات.

١. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب في كليات التربية وعلم النفس على اختبار الأمن النفسي عند مستوى دلالة ٠,٠٥:

أ ــ دمشق ــ الكويت

ب ــ دمشق ــ ادنبرة

ج ــ الكويت ــ ادنبرة

٢. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب الذكور في كليات التربية وعلم النفس على اختبار الأمن النفسي عند مستوى دلالة ٠,٠٥

٣. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب الإناث في كليات التربية وعلم النفس على اختبار الأمن النفسي عند مستوى دلالة ٠,٠٥

٤. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إجمالي طلاب السنة الثانية في كليات التربية وعلم النفس على اختبار الأمن النفسي عند مستوى دلالة ٠,٠٥ ((الفرضيات الفرعية في الفرضية الأساسية الأولى مكررة في جميع الفرضيات الأساسية الأخرى من ٢ إلى ٩))

٥. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب السنة الأخيرة في كليات التربية وعلم النفس على اختبار الأمن النفسي عند مستوى دلالة ٠,٠٥

٦. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب الذكور في السنة الأخيرة من كليات التربية وعلم النفس على اختبار الأمن النفسي عند مستوى دلالة ٠,٠٥

٧. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب الذكور في السنة الثانية من كليات التربية وعلم لنفس على اختبار الأمن النفسي عند مستوى دلالة ٠,٠٥

٨. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب الإناث في السنة الثانية من كليات التربية وعلم النفس على اختبار الأمن النفسي عند مستوى دلالة ٠,٠٥

٩. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب الإناث في السنة الأخيرة من كليات التربية وعلم النفس على اختبار الأمن النفسي عند مستوى دلالة ٠,٠٥

منهج البحث وأدواته

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لأن البحوث الوصفية في المجالات الاجتماعية والتربوية والنفسية تزودنا بمعلومات حقيقية عن الوضع الراهن للظواهر المختلفة التي يتأثر بها التربويون في عملهم. ومثل هذه المعلومات ذات قيمة عملية تؤيد ممارسات قائمة أو ترشد إلى سبل تغييرها نحو ما ينبغي أن يكون. وهذا هو الهدف التطبيقي. أما ثاني الهدفين فهو الهدف العلمي حيث تقدم هذه الدراسات من الحقائق والتعميمات ما يضيف إلى رصيدنا من المعارف مما يساعد على فهم الظواهر والتنبؤ بحدوثها (٢٦ ــ ١٩٩٢ ص٢٠٠).

أداة البحث

استخدم في البحث اختبار (قائمة ماسلو) للشعور بالأمن وعدم الأمن النفسي Security Insecurity Inventory عرّبه الباحث عن الأصل*. وقد استقر الرأي علي استخدام هذا الاختبار المعرب أداة للبحث بعد التأكد من صدقه حيث تمت الموافقة على استخدامه من قبل محكمين متخصصين في علم النفس والتربية. كما

*- AH Maslow With The other ,manual for security - insecurity inventory - Brandies

طبق على مجموعتين الأولى معروفة باضطراباتها وتنتمي إلى الفئة العمرية الموازية لطلبة الجامعة، في أحد مراكز المعالجة، والمجموعة الأخرى مجموعة منتقاة يفترض أنها على حالة سوية من طلبة الجامعة وقد كشفت النتائج قدرة الاختبار على التمييز بين مستويات الأمن لدى المجموعتين بما ينسجم مع معايير الاختبار.

أما من أجل معرفة ثبات الاختبار فقد استخدمت طريقة إعادة تطبيق الاختبار بفاصل زمني مقبول معياريا فكان معامل الارتباط مشجعا إذ بلغ ٨٢% .

غرض الاختبار:

يتمثل غرض الاختبار الأساس كما يشير ماسلو بتحديد وقياس مشاعر الأمن النفسي التي ووفق ماسلو أيضا تعد (على النحو الوارد هنا) من أكثر موشرات الصحة النفسية أهمية إلى درجة يمكن اعتبارها مرادفة لها. ولكنه يؤكد أن هذا الغرض لا يتضمن قياس سلوك بقدر ما يتضمن قياس الوعي الداخلي للإحساس بالأمن النفسي. والغرض من استخدامه في هذا البحث الحالي يتمثل في كشف مستويات الأمن النفسي بالاستناد إلى المشاعر الداخلية لعينة البحث. لاستخدامها في خدمة أهدافه.

بنية الاختبار

مر الاختبار بمراحل متعددة وطبق على عينات متنوعة في مناطق ممثلة للولايات المتحدة الأمريكية وتحول بعد التجريب ولمرات عديدة من اختبار يتكون من /٣٤٩/ سؤالا إلى اختبار يتكون من /١٣٠/ سؤالا ليصل إلى صورته النهائية (المستخدمة في بحثنا الحالي) والذي يتكون من /٧٥/ سؤالا مقسمة إلى ثلاث مجموعات كل واحدة منها /٢٥/ سؤالا، وزعت على ثلاث صفحات تشكل الاختبار.

ويمكن استخدام كل صفحة منها باستقلالية تامة مع عدم تعريض القدرة على تحقيق الغرض الأساسي للخطر. ولكن يفضل استخدام الاختبار كاملاً وبصفحاته الثلاث. وهذا ما تم فعله في هذا البحث حيث استخدم الاختبار ببنوده الـ /٧٥/.

تستند بنية الاختبار على مؤشرات ماسلو للأمن النفسي المذكورة في الصفحات السابقة من هذا البحث ويصحح بوضع درجة على كل دائرة مسودة حيث يقابل كل سؤال ثلاثة احتمالات للإجابة (نعم ـ لا ـ لا أدري) ويشير مجموع الدرجات إلى مستوى الأمن النفسي وفق الاعشاريات أو الارباعيات الخاصة بالعينة الحالية.

شجع الباحث في استخدامه هذا الاختبار على طلبة الجامعات تطبيق ماسلو لاختباره في الأساس على عينات كبيرة من الجامعات الأمريكية. وبالتالي فإن هذا الاختبار صالح للمرحلة الجامعية وفق متغير العمر والاختصاص والجنس والجنسية. ويشير ماسلو في المرجع المشار إليه في هذا البحث إلى المجالات التي يستخدم فيها هذا الاختبار فيذكر أنه بالإمكان استخدام هذا الاختبار على العينات الكبيرة والصغيرة والأفراد ، في العيادات وكون مؤشرات الأمن النفسي وفق هذا الاختبار تترادف مع مؤشرات الصحة النفسية، يضيف ماسلو أنه يمكن استخدامه في الجامعات والمشافي والمؤسسات الأخرى لفرز تلك الحالات التي تحتاج إلى عناية نفسية وقائية من سوء تكيف وميول انتحارية وعصابية واضطرابات أخرى مماثلة.

كما يستفاد منه في الكليات عند تشخيص الطلاب الذين يحتاجون للعلاج. كذلك يستخدم هذا الاختبار المرشدون النفسيون في كليات الجامعة الذين لا يتعاملون مع ـ المرضى فحسب بل يستقبلون أفراداً قد لا يحتاجون إلاّ لمزيد من الشجاعة في مواجهة مشكلاتهم. وبالتالي فإن هذا الاختبار يمكن استخدامه في حالات الاضطراب والسوية، ولكن ينصح ماسلو باستخدام هذا الاختبار كجزء من بطارية اختبارات أخرى في

مقدمتها اختبارات تقدير الذات، ويؤكد على عدم عده بديلاً عن تشخيصات سـريرية وعن الاختبارات الإسقاطية لأن لكلٍ منها خصوصية وحساسيته.

مجتمع البحث وعينته:

يتكون مجتمع البحث من طلبة السنتين الثانية والأخيرة في كل من كلية التربية في جامعة دمشق وكلية التربية الأساسية في الكويت وكلية علم النفس في جامعة ادنبره ــ بريطانيا المسجلين في العام الدراسي ١٩٩٦ــ١٩٩٧ . وقد تم سحب عينات عرضية بالطريقة الطبقية بنسبة ١٠% من كلية التربية في جامعة دمشق و١٥% من كلية التربية الأساسية في الكويت و١٦% من كلية علم النفس في جامعة ادنبره موزعة كما يلي:

جدول رقم (١) توزيع عينات البحث حسب الجامعة والسنة الدراسية والجنس

الكلية	السنة الدراسية		الجنس		الإجمالي	نسبة التمثيل إلى المجتمع الأصلي
	الثانية	الأخيرة	ذكور	إناث		
تربية دمشق	٥٧	٥٠	٥٠	٥٧	١٠٧	%١٠
تربية الكويت	٧٣	٧٠	٦٣	٨٠	١٤٣	%١٥
علم النفس أدنبرة	١٠٢	٧٤	٥٣	١٢٣	١٧٦	%١٦

الاختبارات الإحصائية المستخدمة في البحث*:

تحقيقاً لأهداف البحث فقد تم استخدام الاختبارات والقوانين الإحصائية التالية:

* ينوه الباحث إلى الاستشارات القيمة التي قدمها الدكتور رمضان درويش المتخصص في الإحصاء ــ في المعالجة الإحصائية ــ كما ينوه إلى مساهمة طلبة د. د. ع. في الإرشاد النفسي في بعض جوانب التطبيق الميداني

١ـ المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتغيرات البحث لإجـراء اختبـار (ت) للفروق بين المتوسطات (٢٧ ـ ١٩٩٧ ص٥٧).

$$م = \frac{مج\ س}{ن}$$

حيث م:المتوسط الحسابي

س:المفردات

ن:حجم العين

$$ع = \sqrt{\frac{مج\ (س - م)^{٢}}{ن}}$$

حيث ع الانحراف المعياري

$$ت = \frac{م_{١} - م_{٢}}{\sqrt{\frac{ن_{١}ع_{١} + ن_{٢}ع_{٢}}{ن_{١} + ن_{٢} - ٢}\left(\frac{١}{ن_{١}} + \frac{٢}{ن_{٢}}\right)}}$$

حيث ت: القيمة المحسوبة للفروق بين المتوسطات $م_{١}$، $م_{٢}$

كما حسب معامل الالتواء $\frac{م - ل}{ع}$

لمعرفة مدى اعتدالية التوزيع (٢٨ ـ ١٩٩٥ ص٢٩٤)

حيث ل: تمثل المنوال

وقد تراوحت قيمة معامل الالتواء من (−٠,٢٨) إلى (+٠,٢٨) وهو التواء ضعيـف يدل على أن التوزيع شبه متماثل مما يسمح لنا باستخدام الإعشـاريات والارباعيـات لدراسة المستويات، لأن الارباعيات والميئنيات تصلح إلى حـد كبـير فـي تحديـد مستويات ومعايير الأفراد في أي اختبـار (٢٩ ـ ١٩٨٦ ص١٤٨) وقـد درسـت

الاعشاريات لكل عينة على حدة لمعرفة نسبة الآمنين نفسياً وإظهار المقارنة بصورة أكثر وضوحاً بين العينات في مستويات الأمن النفسي.

مناقشة الفرضيات والنتائج

جدول رقم (٢) قيم ت للفروق بين المتوسطات

إجمالي العينات دمشق الكويت ادنبره على اختبار الأمن النفسي

العينة المقارنة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	القرار
دمشق	١٠٧	٢٨,١٢	١٠,٨٩	٠,٣٤٦	لا يوجد فروق
الكويت	١٤٣	٢٧,٤٧	١١,٥٩		
دمشق	١٠٧	٢٨,١٢	١٠,٨٩	٢,٦٩	يوجد فروق
ادنبرة	١٧٦	٢٣,٨	١٢,٤٣		
الكويت	١٤٣	٢٧,٤٧	١١,٥٩	٢,٦٩	يوجد فروق
ادنبرة	١٧٦	٢٣,٨	١٢,٤٣		

لدى مقارنة (ت) النظرية المقابلة لمستوى دلالة ٠,٠٥ ودرجات حرية

د.ح = $ن_١ + ن_٢ - ٢$ والبالغة ١,٩٧ مع (ت) المحسوبة. نلاحظ عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين إجمالي دمشق وإجمالي الكويت. كما نجد أن هناك فرقاً ذا دلالة إحصائية في الأمن النفسي بين طلبة كلية علم النفس ادنبرة وكلية التربية الكويت لصالح ادنبره. ويوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين طلبة كلية التربية دمشق وطلاب كلية علم النفس ادنبرة في اختبار الأمن النفسي لصالح ادنبرة.

بالنظر إلى الجدول تبدو المتوسطات متقاربة من بعضها بعضاً وهذا يتكرر في الجداول اللاحقة

جدول رقم (٣)

قيم ت للفروق بين المتوسطات على اختبار الأمن النفسي

ذكور (دمشق ـ الكويت ـ ادنبرة)

العينة المقارنة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	القرار
دمشق	٥٠	٢٩,٢٤	١١,٩٨	٢,١٧١	يوجد فروق
الكويت	٦٣	٢٤,٦١	١٠,٤٧		
دمشق	٥٠	٢٩,٢٤	١١,٩٨	١,٨٤٥	لا يوجد فروق
ادنبرة	٥٣	٢٤,٧٢	١٢,٦١		
الكويت	٦٣	٢٤,٦١	١٠,٤٧	٠,٠٥	لا يوجد فروق
ادنبرة	٥٣	٢٤,٧٢	١٢,٦١		

لدى مقارنة (ت) الجدولية المقابلة لمستوى دلالة ٠,٠٥ ودرجات حرية ن١ + ن٢ -٢ والبالغة ١,٩٨ مع ت المحسوبة.

نلاحظ وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين ذكور دمشق وذكور الكويت لصالح الكويت. وعدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية على اختبار الأمن النفسي بين ذكور دمشق وادنبرة وذكور الكويت وادنبرة.

جدول رقم(٤)

قيم (ت) للفروق بين المتوسطات

إناث (دمشق ـ الكويت ـ ادنبرة) على اختبار الأمن النفسي

العينة المقارنة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	القرار
دمشق	٥٧	٢٧,١٢	٩,٧١	١,٥٢٧	لا يوجد فروق
الكويت	٨٠	٢٩,٩٨	١٢		
دمشق	٥٧	٢٧,١٢	٩,٧١	١,٩٩١	يوجد فروق
ادنبرة	١٢٣	٢٣,٤١	١٢,٣٣		
الكويت	٨٠	٢٩,٩٨	١٢	٣,٧٣	يوجد فروق
ادنبرة	١٢٣	٢٣,٤١	١٢,٣٣		

لدى مقارنة ت المحسوبة مع ت الجدولية المقابلة لمستوى دلالة ٠,٠٥ والبالغة ١,٩٨ نجد عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إناث دمشق وأناث الكويت مع ميل المتوسط لصالح إناث دمشق. ونلاحظ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إناث دمشق وادنبره وإناث الكويت وادنبرة لصالح ادنبرة في اختبار الأمن النفسي.

جدول رقم (٥)

قيم (ت) للفروق بين المتوسطات

تربية سنة ثانية (دمشق ـ الكويت ـ ادنبرة) على اختبار الأمن النفسي

العينة المقارنة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	القرار
دمشق	٥٧	٢٩,١٤	١١	٠,٣٨٢	لا يوجد فروق
الكويت	٧٣	٢٨,٣٩	١١,٠٤		
دمشق	٥٧	٢٩,١٤	١١	٢,٥٠٣	يوجد فروق
ادنبرة	١٠٢	٢٤,١	١٢,٦٧		
الكويت	٧٣	٢٨,٣٩	١١,٠٤	٢,٣١٥	يوجد فروق
ادنبرة	١٠٢	٢٤,١	١٢,٦٧		

يبدو من مقارنة (ت) المحسوبة مع (ت) الجدولية المقابلة لمستوى دلالة ٠,٠٥ والبالغة ١,٩٨ عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين السنة الثانية كويت ودمشق مع ميل المتوسط لصالح الكويت. كما يلاحظ فروقات ذات دلالة إحصائية بين طلاب السنة الثانية ادنبرة ودمشق والكويت وادنبرة لصالح طلاب ادنبرة في اختبار الأمن النفسي.

جدول رقم(٦)

قيم (ت) للفروق بين المتوسطات

تربية سنة أخيرة (دمشق ــ كويت ــ ادنبرة) على اختبار الأمن النفسي

العينة المقارنة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	القرار
دمشق	٥٠	٢٦,٥	١٤,٥٣	٠,٣١٢	لا يوجد فروق
الكويت	٧٠	٢٦,٩٦	٨,٩٩		
دمشق	٥٠	٢٦,٥	١٤,٥٣	١,٢٣٣	لا يوجد فروق
ادنبرة	٧٤	٣٢,٥١	١٢,١		
الكويت	٧٠	٢٦,٩٦	٨,٩٩	١,٩٢	لا يوجد فروق
ادنبرة	٧٤	٢٣,٥١	١٢,١		

نلاحظ من مقارنة (ت) المحسوبة مع (ت) الجدولية المقابلة لمستوى دلالة ٠,٠٥ والبالغة ١,٩٨ عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين طلاب السنة الأخيرة في كلية التربية (دمشق ــ ادنبرة ــ الكويت) مع ميل المتوسط لصالح طلبة ادنبرة.

جدول رقم (٧)

قيم (ت) للفروق بين المتوسطات

تربية سنة أخيرة ذكور (دمشق ــ الكويت ــ ادنبرة) على اختبار الأمن النفسي

العينة المقارنة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	ت للمحسوبة	القرار
دمشق	٢٥	٢٦,١٢	١١,١	٠,٨٧٤	لا يوجد فروق
الكويت	٣٥	٢٣,٨٢	١٠,٩٤		
دمشق	٢٥	٢٦,١٢	١١,١	٠,١٢٦	لا يوجد فروق
ادنبرة	٢٥	٢٥,٧٢	١٠,٩٥		
الكويت	٣٥	٢٣,٨٢	١٠,٩٤	٠,٧٠٦	لا يوجد فروق
ادنبرة	٢٥	٢٥,٧٢	١٠,٩٥		

لدى مقارنة (ت) المحسوبة مع (ت) الجدولية المقابلة لمستوى دلالة ٠,٠٥ والبالغة نلاحظ عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين ذكور السنة الأخيرة في كليات التربية (دمشق ــ الكويت ــ ادنبرة) على اختبار الأمن النفسي مع ميل المتوسط لصالح الكويت.

جدول رقم (٨)

قيم (ت) للفروق بين المتوسطات

تربية ذكور سنة ثانية (دمشق ــ الكويت ــ ادنبرة) على اختبار الأمن النفسي

العينة المقارنة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	القرار
دمشق	٢٥	٣٢,٣٦	١٢,٠٣	٢,٢٢٤	يوجد فروق
الكويت	٢٨	٢٥,٥٧	٩,٧٤		
دمشق	٢٥	٣٢,٣٦	١٢,٠٣	٢,٤٩١	يوجد فروق
ادنبرة	٢٨	٢٣,٢٥	١٣,٨٨		
الكويت	٢٨	٢٥,٥٧	٩,٧٤	٠,٧١١	لا يوجد فروق
ادنبرة	٢٨	٢٣,٢٥	١٣,٨٨		

لدى مقارنة (ت) المحسوبة مع (ت) الجدولية المقابلة لمستوى دلالة ٠,٠٥ والبالغة (٢) نلاحظ وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين طلاب السنة الثانية على اختبار الأمن النفسي في دمشق والكويت لصالح الكويت وفي دمشق وادنبرة لصالح ادنبرة وعدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين ذكور السنة الثانية كويت وادنبرة.

جدول رقم(٩)

قيم (ت) للفروق بين المتوسطات

تربية إناث سنة ثانية (دمشق ــ الكويت ــ ادنبرة) على اختبار الأمن النفسي

العينة المفارنة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	الفرار
دمشق	٣٢	٢٦,٦٢	٩,٣٩	٠,٥٤	لا يوجد فروق
الكويت	٤٠	٢٨,٠٥	١٢,١٤		
دمشق	٣٢	٢٦,٦٢	٩,٣٩	٠,٩٩٨	لا يوجد فروق
ادنبرة	٧٤	٢٤,١٩	١٢,١٧		
الكويت	٤٠	٢٨,٠٥	١٢,١٤	١,٦٠٣	لا يوجد فروق
ادنبرة	٧٤	٢٤,١٩	١٢,١٧		

نلاحظ من مقارنة (ت) المحسوبة مع (ت) الجدولية المقابلة لمستوى دلالة ٠,٠٥ والبالغة ١,٩٨ عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين إناث السنة الثانية على اختبار الأمن النفسي بين إناث (دمشق ــ الكويت ــ ادنبرة) مع ميل المتوسط لصالح طلبة ادنبرة.

جدول رقم (١٠)

قيم (ت) للفروق بين المتوسطات

تربية إناث سنة أخيرة (دمشق ــ الكويت ــ ادنبرة) على اختبار الأمن النفسي

العينة المقارنة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	القرار
دمشق	٢٥	٢٧,٨	١٠,١	٠,٤٤٦	لا يوجد فروق
الكويت	٣٥	٢٩,١٧	١٢,٤٨		
دمشق	٢٥	٢٧,٨	١٠,١	١,٨٦٢	لا يوجد فروق
ادنبرة	٤٩	٢٢,٣٥	١٢,٥		
الكويت	٣٥	٢٩,١٧	١٢,٤٨	٢,٤٣٧	يوجد فروق
ادنبرة	٤٩	٢٢,٣٥	١٢,٥		

لدى مقارنة (ت) المحسوبة مع (ت) الجدولية المقابلة لمستوى دلالة ٠,٠٥ والبالغـــة (٢) نلاحظ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إناث السنة الأخيرة كويت وادنـــبرة لصالح ادنبرة، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إناث السنة الأخيرة دمشـــق وادنبرة، دمشق والكويت مع ميل المتوسط لصالح ادنبرة.

نلاحظ مما سبق أنه قد تم رفض الفرضيات الثانيـــة (أ) والثالثـــة (ب، ج) والرابعـــة (ب،ج) والسابعة (أ، ب) والتاسعة (ج) وقبلت جميع الفرضيات الأخرى.

مستويات الأمن النفسي لدى عينة البحث:

وفقاً لمنهجية البحث الأساسي وتحقيقاً لغرض البحث الحالي فقد استخدمت الاعشاريات لتحديد مستويات الأمن النفسي لدى الطلبة الشباب في العينات المدروسة وكانت النتائج على الشكل التالي:

جدول رقم (١١)

يبين فئات الأعشاريات لدرجات الطلاب في عينات كليات التربية (دمشق ــ الكويت ــ ادنبرة) على اختبار الأمن النفسي

كلية علم النفس	(ادنبرة)		الشعور بالأمن	طبيعة التوزيع
فئات الأعشاريات	التكرار	النسبة		
٤٥ ــ ٦٢	٨	%٤,٥٥	غير آمن للغاية	ملتوٍ قليلاً نحو الاتجاه الموجب (+٠,٣٨) يدل على ميل للأمن النفسي لأن القيم تتمركز أقل من المتوسط
٤٠ ــ ٤٤	١١	%٦,٢٥	غير آمن	
٣٥ ــ ٣٩	١٩	%١٠,٨	ميل لعدم الشعور بالأمن	
٣١ ــ ٣٤	١٦	%٩,٠٩	متوسط	
٢٦ ــ ٣٠	١٩	%١٠,٨	متوسط	
٢٢ ــ ٢٥	١٤	%٧,٩٥	متوسط	
١٧ ــ ١٢	٣٦	%٢٠,٤٥	متوسط	
١٣ ــ ١٦	٢١	%١١,٩٣	ميل للشعور بالأمن	
٧ ــ ١٢	١٩	%١٠,٨	آمن	
٠ ــ ٦	١٣	%٧,٣٨	آمن للغاية	
المجموع	١٧٦	%١٠٠		
حجم العينة	١٧٦			
المتوسط	٢٣,٨			
الوسيط	١٧,٤			
الانحراف المعياري	١٢,٤٣			
مجال العلامات	٠,٦٢			

تابع للجدول رقم (١١)

كلية التربية	(الكويت)		الشعور بالأمن	طبيعة التوزيع
فئات الأعشاريات	التكرار	النسبة		
٤٩ ــ ٦٠	٧	%٤,٩	غير آمن للغاية	ملتو قليلا نحو الاتجاه السالب (-٠,٢٨) يدل على ميل لعدم الأمن النفسي لأن القيم تتمركز فوق المتوسط
٤٤ ــ ٤٨	٧	%٤,٩	غير آمن	
٣٩ ــ ٤٣	١٠	%٦,٩٩	ميل لعدم الشعور بالأمن	
٣٤ ــ ٣٨	١٦	%١١,١٩	متوسط	
٢٩ ــ ٣٣	٢٤	%١٦,٧٨	متوسط	
٢٥ ــ ٢٨	٢٠	%١٣,٩٩	متوسط	
٢٠ ــ ٢٤	٢١	%١٤,٩٦	متوسط	
١٥ ــ ١٩	١٧	%١١,٨٩	ميل للشعور بالأمن	
١١ ــ ١٤	١٢	%٨,٣٩	آمن	
٠ ــ ١٠	٩	%٦,٢٨	آمن للغاية	
المجموع	١٤٣	%١٠٠		
حجم العينة	١٤٣			
المتوسط	٢٧,٤٧			
الوسيط	٢٦,٥			
الانحراف المعياري	١١,٥٩			
مجال العلامات	٠,٦٠			

تابع للجدول رقم (١١)

كلية التربية (دمشق)			الشعور بالأمن	طبيعة التوزيع
فئات الأعشاريات	التكرار	النسبة		
٤٨ ـ ٥٧	٦	%٥,٦	غير آمن للغاية	ملتوٍ قليلاً نحو الاتجاه الموجب (+٠,١١) يدل على ميل قليل للأمن النفسي لأن القيم تتمركز أقل من المتوسط
٤٣ ـ ٤٧	٥	%٤,٦٥	غير آمن	
٣٨ ـ ٤٢	٨	%٧,٤٥	ميل لعدم الشعور بالأمن	
٣٤ ـ ٣٧	١١	%١٠,٢٨	متوسط	
٣٠ ـ ٣٣	١٣	%١٢,١٥	متوسط	
٢٦ ـ ٢٩	٢٠	%١٨,٦٨	متوسط	
٢٢ ـ ٢٥	١٨	%١٦,٨٢	متوسط	
١٧ ـ ٢١	١٢	%١١,٢٨	ميل للشعور بالأمن	
١٣ ـ ١٦	٤	%٣,٧٤	آمن	
٠ ـ ١٢	١٠	%٩,٣٥	آمن للغاية	
المجموع	١٠٧	%١٠٠		
حجم العينة	١٠٧			
المتوسط	٢٨,١٢			
الوسيط	٢٨,١			
الانحراف المعياري	١٠.٨٩			
مجال العلامات	٠,٥٧			

يبين الجدول السابق أن نسبة الآمنين للغاية تميل لصالح طلبة كلية التربية في جامعة دمشق بمعدل ٩,٣٥% تليها كلية علم النفس في جامعة ادنبرة ٧,٣٨% ثم كلية التربية الأساسية في الكويت بنسبة ٦,٢٨% .

أما غير الآمنين للغاية فهي لصالح كلية علم النفس بجامعة ادنبرة بنسبة ٤,٥٥% تليها كلية التربية الأساسية في الكويت بنسبة ٤,٩% ثم كلية التربية بجامعة دمشق

بنسبة ٥,٦% وللمقارنة بصورة أوسع قسمت الاعشاريات إلى ثلاث مستويات كما هو في الجدول التالي:

جدول رقم (١٢)

الكلية	تربية (دمشق)	تربية (كويت)	علم النفس (ادنبرة)	مستويات الأمن
النسبة المئوية	١٧,٧%	١٦,٧٩%	٢١,٦%	غير آمن
	٥٧,٩٣%	٥٦,٦٥%	٤٨,٢٩%	متوسط
	٢٤,٣٧%	٢٦,٥٦%	٣٠,١١%	آمن
	١٠٠%	١٠٠%	١٠٠%	المجموع

يبدو من الجدول أعلاه أن نسبة الطلبة الآمنين تميل لصالح كلية علم النفس في ادنبرة التي بلغت ٣٠,١١% تليها كلية التربية الأساسية في الكويت ٢٦,٥٦% ثم كلية التربية بجامعة دمشق ٢٤,٣٧% وبالمقابل فإن نسبة عدم الآمنين في كلية علم النفس ادنبرة بلغت أعلى معدل ٢١,٦% مقابل ١٧,٧% في دمشق و١٦,٧٩% في الكويت.

أما الطلبة الذين كان أمنهم حول المتوسط فكانت نسبتهم في دمشق ٥٧,٩٣% وفي الكويت ٥٦,٦٥% ثم في ادنبرة ٤٨,٢٩%.

تعليق

قصد البحث الوقوف عند تحليل النتائج دون تفسيرها وفاء منه لمنهجه الوصفي التحليلي من جهة، ولحذره من تعميم تفسير يستند إلى نتائج بدت ديناميـة تبادلية معقدة من جهة أخرى.

ولكي تكون النتائج قابلة للتعميم فلا بد من تضافر المزيد من الجهود لإجراء المزيد من البحوث واستخدام المزيد من أدوات البحث، وهذا ما يدعوا إليه البحث الذي يتمنى أن تكون نتائجه مؤشرات كافية لجذب المزيد من الاهتمام في الدراسات والبحوث النفسية عبر الثقافية المقارنة التي تحتاجها مجتمعاتنا على اختلاف مراحل تطورها ونموها وظروفها البيئية الطبيعية والبشرية. وهذه مسؤولية تقع على عاتق الباحثين الجادين الذين اكتشفوا خطأ تعميم قيم أو مفاهيم سلوكية اجتماعية تخص بيئة ثقافية بعينها على بيئات ثقافية أخرى لها أسس وجود معرفية تميزها هي الأخرى، وفي هذا السياق وبالعودة إلى الإطار النظري والميداني للبحث نجد أن مفهوم الأمن النفسي هو متغير تابع لطبيعة الظروف التي تحيط بنشأة الفرد وتشكل منظومته المعرفية ـ السلوكية التي من خلالها يشعر ويدرك مهددات الذات ويسلك متأثرا بها، مع التذكير مجددا أن أداة البحث تكشف الاعتقاد الداخلي لدى الفرد فيما يتعلق بأمنه النفسي أكثر مما تكشف المسببات الموضوعية الخارجية لأمنه، ولذلك وجدنا في النتائج تبادلية بين عينات الدراسة على مستوى الكل أو الجزء، على مستوى الجنسية أو الجنس أو الاختصاص مما يؤكد صلة مفهوم الأمن النفسي بمدى تحقيق حاجات الفرد (أي فرد) الأساسية أو الثانوية.

المراجع

١. محمد فاروق السنديوني "الطب النفسي عبر الحضاري" مجلة الثقافة النفسية العدد الثاني والعشرون المجلد السادس، نيسان ١٩٩٥ ص١٥٥.

2. Joseph. G & and others. Handbook Ponterotto of Multcultural Counseling .Sage Publications 1995

٣. محمد المرعي محمد اسماعيل، عيسى عبدالله جابر. الدافع إلى الابتكار والدافع للتعليم لدى عينة من تلاميذ المرحلة الثانوية العامة في كل من مصر والكويت، دراسة عبر حضارية، المجلة التربوية، جامعة الكويت العدد الرابع والثلاثون. المجلد التاسع، شتاء ١٩٩٥ ص٤٨.

٤. فاروق عبد السلام "القيم وعلاقتها بالأمن النفسي"، مجلة كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة، العدد ٤، رجب ١٣٩٩هـ ص١٣٦.

٥. أحمد يوسف "أثر العقيدة في تحقيق الأمن النفسي" دار العلوم، جامعة القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ ص١٧.

٦. حامد عبد السلام زهران "الأمن النفسي دعامة أساسية للأمن القومي العربي"، دراسات تربوية، المجلد الرابع، الجزء ١٩، حزيران تموز ١٩٨٩ ص٢٩٦ـ٢٩٧.

٧. صالح ابراهيم الصنيع ، "دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس" دار عالم الكتب، الرياض ، ١٩٩٥ ص٧٠.

8. .A.H .Maslow Manual for security - insecurity inventory - Brandies - University with others assistant - copyright 1952 Board of trustees of the LeLand stanford Junior University 1952

٩. كاظم ولي آغا "القلق والتحصيل الدراسي"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية المجلد ٤ العدد ٦٤ ،حزيران ١٩٨٨ ص١١.

١٠. علي سعد، علم الشذوذ النفسي منشورات جامعة دمشق ١٩٩٤ ص٣٣٣ .

١١. محمود عطا حسين "مفهوم الذات وعلاقته بمستويات الطمأنينة الانفعالية"، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية ، خريف ١٩٨٧ ص١٠٣ وما بعدها.

١٢. علاء الدين كفافي "تقدير الذات في علاقته بالتنشئة الوالدية والأمن النفسي" ، دراسة في علية تقدير الذات، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٣٥ ١٩٨٩ ص١٠١ وما بعدها.

13. Richard Nelson - Jones - The theory and practice of counseling 1996 published by Holt , Rinheart and Winston p 45

14. Glasser ,W,Reality therapy A New Aproach to Psychiatry , New York ,Hrper and Row -1965

15. Albert Ellis . Brief , therapy ,the rational emotive behavior therapy aproach by institute for rational emotive therapy , New York .1996

16. Rubert J.Gatchel and Frederick G mears ST - Martin's press - New York 1982 P430

١٧. كمال دواني وعيد ديراني، مجلة دراسات، المجلد العاشر العدد ٢ كانون أول ١٩٨٣ ص٤٧٠ وما بعدها.

١٨. سهير كامل أحمد قلق الشباب دراسة عبر حضارية في المجتمعين المصري والسعودي. دراسات نفسية، يوليو ١٩٩١ ص٣٨٧.

19. Khan - Rahan Ali and other Journal of Personality and clinical - studies 1994 Mar -Sep Vol 10 (1-2) 83-86

20. Dekker - Sidney -W.A - Australian Psychologist 1995 Mar - Vol 30 (1) 57-63

21. Titi - Duglas and others Developmental - Psychology 1995 May Vol 31 (3) 346-376

22. Orpen Christopher , Social Behavior and Personality 1994 Vol 22(1) 53-55

23. Roskies - Ethel and other , Journal of Organizational Behavior 1993 Dec Vol14(7) 617 - 630

24. Orpen Christopher , Perceptual and motor Sklls , 1993 Jun Vol 76(3,pt1) 885 - 886

25. Singh - Neeru - Journal of Personality and Chincal , Studies 1990 mar Vol 6(1) 103 - 104

٢٦. محمد لبيب النجيحي ومحمد خير موسى البحث التربوي، أصوله ومناهجه عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٣ ص٢٠.

٢٧. امطانيوس ميخائيل التقويم والقياس في التربية الحديثة منشورات جامعة دمشق ــ ١٩٩٧ ص٥٧ وما بعدها.

٢٨. ممدوح عبد المنعم الكناني وعيسى عبد الله جابر القياس والتقويم النفسي والتربوي مكتبة الفلاح بيروت ١٩٩٥ ص٢٩٤ .

٢٩. فؤاد البهي السيد علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري دار المعارف، مصر ط٥ ١٩٨٦ ص١٤٨.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٧/٧/٢٣

أقوال العرب في كتاب سيبويه

د. عوض القوزي
قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب
جامعة الملك سعود

الملخص

يمثل كتاب سيبويه مرحلة متميزة من مراحل الدرس النحوي، وهي مرحلة لا سابقة لها في هذا المجال، إذ ليس ثمة ذكر لمصدر نحوي سابق، وما كانت مصادره إلا المنابع الصافية للغة، إذ كان سماعه مباشراً من الأعراب، وهم ينشدون، أو يتمثلون الأمثال، أو وهم يتخاطبون وفق طبائعهم في لغاتهم.

في (الكتاب) يتمثل سماع سيبويه المشتمل على مشافهة الأعراب الجفاة الفصحاء، والأعراب الموثوق بعربيتهم، والعلماء الثقات ـ من أساتذة أو رواة أثبات ـ ، وقد تجاوزت مرويات سيبويه خمسمائة، وظّفها في الاحتجاج لبعض ما ذهب إليه من قواعد نحوية، أو توجيه لقراءة بعض الحروف القرآنية، أو بيان لخصائص لهجية...

لقد بنى سيبويه نظريته النحوية على الشمول، فدرس العربية من جوانبها المتعددة (نحواً، وصرفاً، وبلاغة، وأصواتاً، ولهجات، ...) مستنداً في ذلك كله إلى (أقوال العرب)، فكان كتابه بحق شاملاً لدرس ماسماه بـ (علم ما الكلم من العربية)؟.

المتتبع لنشأة علم النحو وتطوره، يعلم يقيناً أنه ظهر أول ما ظهر مرتبطاً بالقرآن الكريم، فقد وضع أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٥ هـ) اللبنة الأولى: بنقطه المبين لإعراب كلمات القرآن، وتلاميذه وصلوا إلى مرحلة أخرى في هذا الفن، حيث تمخضت جهودهم عن نقط الإعجام، وهاتان المرحلتان هامتان في حياة هذا العلم، ولايستهين بهما إلا من لا يدرك صعوبات الابتكار في تاريخ العلوم، وهما على خطرهما لم يتجاوزا حدود القرآن إعراباً وإعجاماً، ولم يتعديا علاج اللحن والتصحيف فيه، وسرعان ما تطور هذا العلم، إذ تجاوز القرآن إلى لغة القرآن، يدرسها، ويضع قوانينها، ويصوغ قواعدها، اشتغل أهله بتدبر لغة العرب، فعرفوا مواطن الفصاحة، وراحوا يوثقون مسموعاتهم فيها، وأدركوا الخلاف بين القبائل في لغاتها، ووضعوا مقومات الترجيح، وبنوا على تلك المتابعة قوانينهم العلمية، واحتجوا لما وصلوا إليه من قرارات بما حفظوه عن العرب من الآثار المنظومة والمنثورة، وهم بفعلهم هذا، أخذوا بعلم العربية صوب النضج والاكتمال، مسارعين نحو تحديد أطره، وترسيخ قواعده وقوانينه، راسمين مناهجه في زمن قياسي لم يتجاوز قرناً واحداً من الزمان.

وخروج النحو عن دائرة القرآن إلى رحاب اللغة التي هي وعاؤه، يكتنفه شيء غير قليل من الغموض، ودراسة اللغة نفسها، وتتبعها بالاستقصاء والدرس، بلاشك، من مسلّمات الأمور الرامية إلى خدمة القرآن الكريم، وفهم أسلوبه وحكمته، فكان على علماء العربية أن يجوبوا القفار والوهاد، بحثاً عن اللغة، التي هي سبيلهم إلى فهم الكتاب العزيز وأسراره وإعجازه. ولعّل أول خطوة في هذا المجال كانت متمثلة في جمع هذه اللغة، والاستماع إلى الفصيح منها في مواطن الفصاحة نفسها، وهي مرحلة من أصعب المراحل في بناء هذا العلم، فما أكثر المسموع، بل وما أكثر اختلاف القبائل فيه، وما أصعب تمييز الفصيح من الضعيف المدخول، بل وما أصعب وضع القوانين للغة لم تعرف الكتابة، ولم يحصر معجمها اللفظي، حتى إن بعض الباحثين

المحدثين سمى هذه المرحلة بالحلقة المفقودة [1]. ويمر الزمان سريعا، والجهود العلمية لم تتوقف، بل أخذت تتسابق في تنافس نحو إعلاء البنيان، حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي تسلّم الراية، فقاد علماء العربية نحو قمة هذا العلم في عبقرية نادرة، انعكست في معجمه واختراعاته وإبداعه في مجال العلوم والمعرفة، لكن كتاب سيبويه تلميذه، كان أكبر دليل على عبقرية المعلّم والتلميذ، فالناظر في **(الكتاب)** يرى علما متكاملا في شكله وقواعده، وفي أمثلته وشواهده، ناضجا في المعنى والمبنى، على غير مثال يسبقه، وهذا بلا شك يجعلنا نقرر مطمئنين أن **(الكتاب)** صدى لما وصلت إليه الدراسة النحوية في تلك المرحلة المبكرة.

وإذا كان كتاب سيبويه خلا من التأريخ لحركة هذا العلم، فإنَّ التأمل الفاحص لهذا الأثر، يكشف صراحة قدرة سيبويه على اقتفاء أثر شيوخه في تتبع هذه اللغة ودرسها، فهو يروي عن الأعراب كما رووا، ويتوخى الفصاحة في القبائل، ويضعّف بعض اللغات، ويقوي الأخرى، ويرصد الشاذ والنادر منها، كما فعلوا في عصورهم المختلفة. التفت سيبويه إلى الشعر الفصيح فاستعان به في دعم رأي قاده إليه فكره، واستند كثيرا إلى السماع، فجعله مبدأ من مبادئ البناء العلمي الصحيح، واهتم بهذا الركن اهتماما شديدا، فسمع شعر العرب، واختار منه شواهده، وسمع نثرهم وحديثهم في السعة، واستخدم ذلك كله لتقوية حجته.

وبالرغم من كثرة الدراسات التي تناولت الدرس النحوي قبل سيبويه، وأرخت لرجاله، ولاسيما أولئك الذين وردت آراؤهم في الكتاب، بدءا بعبد الله بن أبي إسحاق (ت ١١٧ هـ)، وانتهاء بيونس البصري الذي لقي ربّه بعد تلميذه سيبويه (ت ١٨٢ هـ) ــ نجد أن البحث لم يصل بعد إلى تحديد لكيفية انتقال النحاة من دائرة القرآن الكريم إلى لغة العرب، تسمع منها، وتستقري وتستنتج وتقعّد لعلم يظهر مكتملا كما في كتاب سيبويه، الأمر الذي دعا بعضهم إلى القول " بأنه لابد أن يكون ثمرة جهود متضافرة لكثير من العلماء" [3]، وهذا القول وإن صدر عن مستشرق فلا أظنه

إلا صدى للمنافسة بين علماء البصرة والكوفة، تلك المنافسة التي نالت من قدرات علماء القبليين، فقد قال ابن النديم: "قرأت بخط أبي العباس ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنساناً منهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل:"[٤]، وقد نقض بعض الباحثين المحدثين هذه المقولة بما لايدع شكاً في بطلانها[٥]، كما نقض القصة التي رواها ابن القفطي وكان مفادها أن أصل كتاب سيبويه هو كتاب أستاذه عيسى بن عمر الموسوم بالجامع[٦].

وبالنظر إلى مرويات سيبويه نلحظ أن أعلاها منسوب إلى عبد الله بن أبي إسحاق، وهذا أستاذ لعيسى بن عمر، كما أن الخليل بن أحمد أخذ عن عيسى بن عمر، والخليل أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل [٧]، وبهذا الإسناد تزداد رواية الكتاب متانة وحصافة ناهيك ما اتصف به سيبويه من أمانة وصدق وقدرة على تحليل العبارة والحكم عليها بالقبح أو الفساد أو الاستحسان.

لقد تنوعت أساليب الرواية عند سيبويه، فمنها ما أسند إلى بعض شيوخه، ومنها ما نقله مباشرة عن العرب، ثم إن منها ما جاء دليلاً على مسألة في اللغة أو النحو، تأييداً أو مخالفة، أو جاء توثيقاً لبعض القراءات القرآنية، أو ليدل على خصوصية لهجة، أو نحو ذلك مما سيتضح بعد قليل.

لقد اتكأ سيبويه كثيراً على "**أقوال العرب**"، وخرج بالنحو من دائرة إعراب القرآن وإعجامه، إلى لغة العرب بسقريها، ويتتبعها من أفواه شيوخه تارة، ومن الثقات من فصحاء القبائل تارة أخرى.

إذا كان الشعر أحد عناصر النحاة في الاستشهاد يتلقفونه بالرغم مما يكتنفه من الضرورة والصنعة- فإن **أقوال العرب** الخلص الموثوق بفصاحتهم لا تقل أهمية عن الشعر في هذا السبيل، وقد أعار سيبويه هذا الرافد اهتماماً كبيراً، وعول عليه كثيراً في البراهين والاحتجاجات التي يسلكها في توضيح رأي، أو توجيه آخر، أو تعليل

حكمة من حكم العربية، فلا يكاد باب من أبواب (**الكتاب**) يخلو من نقل مباشر عن العرب أو عمن نقل عنهم من الثقات، كيف لا وقد خلت هذه الأقوال من كل صنعة، وبعدت عن الضرورة، لأنها من أقوالهم في السعة، لايحكمها إلا الاستعمال وحده دون أي مؤثر آخر.

فكانت أصدق دليل للاحتجاج لتخلصها مما يصيب الشعر من تأثير الوزن أو الصنعة والتنقيح، وبناء القصيدة وفق نظام معين يتحكم فيه التفكير والتدبير بشكل لا يدعو إلى الشك، وفي الوقت نفسه تكون العفوية والسليقة الصافية من أبرز ما يميز (**أقوال العرب**) المنثورة، فهي أقرب إلى روح الاستعمال اللغوي الواسع من غيرها من الروافد.

إذن فلا غرابة أن يوليها سيبويه اهتمامه، ويوثقها من مصادرها المختلفة.

ولما كان القرآن قد نزل بلسان العرب، فإن سيبويه لم يغفل تتبع هذه اللغة في منابعها وأصولها الصافية خدمة لهذا اللسان الذي أكرمه الله بالقرآن، وكما لم يغفل فيما روى ما يقع فيه الجفاة من الأعراب من وَهْمٍ وهُم يحاولون قراءة بعض آيات القرآن الكريم، ولمَّا كان التقديم والتأخير عربياً جيداً في لسانهم، فقد وهموا في قول الله عز وجل: ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾[٨]، فقالوا: ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ كُفُواً لَهُ أَحَدٌ** ﴾[٩] لأن القارئ هذا لا يدري كيف هي في المصحف[١٠]، ثم إن المعنى واحد عنده، لأن تقديم المتأخر، أو تأخير المتقدم في لسانه أمر غير مستنكر.

و لما كانت القراءة سنة، كان لا بد من اتباعها سواء أوافقت لسان القبائل أم خالفته، ومعلوم من قواعد النحاة أن (ما) تعمل عمل (كان) في لسان أهل الحجاز، وبنو تميم لا تعملها، لكن التميمي الذي لسانه الرفع لا يسعه إلا أن يقرأ قوله عز وجل ﴿**مَا هَـٰذَا بَشَراً**﴾[١١]، بالنصب، إلا أن الذي لايعرف كيف هي في المصحف يقرؤها رفعاً[١٢]، وسيبويه حين يثبت مذاهب العرب لايهمل عرض تلك اللغات على القياس، كما أنه لم

يصمت أمام ترجيح بعضها علىّ بعض، أو حين تستوي اللغتان، ففي (مـــا) يـــرى أن القياس يقتضي إجراءها مجرى (أمَّا وهَلْ) لأنها ليست بفعل، وهو ما عليه التميميـون، لكن إذا انتقض معنى (ليس) الذي يراه أهل الحجاز فيها، فعندئذ تستوي اللغتان كما في قولك: "ما زيدٌ إلا منطلق" ومثله قوله عزّ وجلّ ﴿مَا أَنْتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [١٤].

لقد اتخذت **أقوال العرب** الواردة في الكتاب أشكالاً مختلفة، وتصنيفها في فئات متشابهة من الصعوبة بمكان، لكثرتها من جهة ولتنوع الرواية فيها مـــن جهـــة أخـــرى، ثـــم لاختلاف موقف سيبويه منها، وسنحاول تصنيفها في مجموعات يجمع كلاً منها روابط معينة من لفظ أو معنى، وذلك على النحو التالي:

أولاً: أقوال يرويها سيبويه لتأييد رأي معين أو هي دليل على ما يراه حقـــاً، فتـــأتي الرواية مشعرة بذلك لكن بمظاهر مختلفة كما يأتي:

قوله: "من ذلك قول العرب:..."

أوقوله: "ومن ذلك قولهم:..."

أو قوله: "ومثل ذلك قول العرب..."، "ونظير ذلك من كلام العرب...".

أو قوله: " ومثل ذلك قولهم..."

أو قوله: "وذا بمنزلة قول العرب..."

أو قوله: "كما تقول العرب:..."

أو قوله: "نحو قولهم:..."

أو قوله: "ومنه قولهم:..."، أو قوله: "والعرب تقول: ..."

ففي "**باب متصرّف رُوَيْدَ**" يبين سيبويه أن "رُوَيْدَ" تكون في موضع الفعل وقوّى رأيـــه هذا بما رواه عن العرب من قولهم: "واللهِ لَوْ أَرَدْتَ الدَّرَاهم لأعطيتُك رُوَيْدَ ما الشِّعْرِ"،

وفسّر المراد بهذا وأنه كقول القائل: "لَوْ أَرَدْتَ الدَّراهمَ لأعطيتُك فَدَعِ الشِّعر"، ويبين أن "رُوَيْدَ" في موضع الفعل، ثم نقل عن العرب أيضاً استعمالهم "رُوَيْدَ" صفة وهو قولهم: "ضَعْهُ رُوَيْداً" أي وضعاً رُوَيْداً، وضرب مثالاً حياً من قولك للرجل تراه يعالج شيئاً: "رُوَيْداً"، فإنك إنما تريد: "علاجاً رُوَيْداً"[١٥]، وقد شرح أبو سعيد السيرافي مجيء هذا الحرف نعتاً وحالاً، قال: "فإذا جئت بالموصوف فأظهرته كان وصفاً، كقولك "ضَعْهُ وَضْعاً رُوَيْداً"، وإذا لم تجيء بالموصوف كان الاختيار أن يكون حالاً، لضعف الصفة من غير تقدم الموصوف، ويجوز أن يكون صفة قامت مقام الموصوف، تقول: "ضَعْهُ رُوَيْداً" تريد: وضعاً رُوَيْداً[١٦].

وقد نقل الأزهري هذا فيما نقله عن أستاذه المنذري عن سيبويه[١٧].

ثم إن سيبويه أورد رواية أخرى في وجه آخر من وجوه استعمال هذا اللفظ فقال:

"وحدثنا من لانتّهم أنه سمع من العرب من يقول: "رُوَيدَ نفسِهِ" جعله مصدراً كقوله: **﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾** [١٨]، وكقولك: "عَذِيْرَ الحيِّ"[١٩].

قال أبو العباس المبرد في هذا: "وتقول: رُوَيْدَ زَيْدٍ"، كما قال الله عز وجل **﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾**، و"رُوَيْداً زَيْداً" كما تقول: "ضرباً زيداً" في الأمر"[٢٠] وترد أقوال العرب في هذا الباب على نوعين:

أحدهما: كما مر في (رُوَيْدَ) واستعمالاتها، ثم كما في روايته عنهم "ادفع الشرَّ ولو إصْبَعاً"[٢١] فقد جاءت هذه الرواية تأييداً لما ذهب إليه سيبويه من تقدير فعل محذوف عمل النصب في(إصْبَعاً) وكأن القائل قال: "ولو دَفَعْتَهُ إصْبَعاً"، أو على تقدير (كان) المحذوفة واسمها، وكأنه قال: "ولو كان إصبعاً"، أما الرفع فيه فبعيد، لأن تقديره في الرفع: "ولو يكون مما تدفع به إصبع"، لذلك لم يحسن أن يحمل على ما يرفع، وأكثر ما جاء في الكتاب متبوعاً بقوله: "ومن ذلك قول العرب "يندرج تحت هذا النوع من نحو قوله: ومن ذلك قول العرب: أمَّا أنْتَ منطلقاً انطلقتُ معك، وأمَّا زيدٌ ذاهباً ذهبتُ معه"[٢٢]، وقوله: "يندرج تحت هذا النوع من قوله ومن ذلك قول

العرب ": مَنْ أنتَ زيداً"[٢٣]. وقوله: "فمثل ذلك قول العرب: هذا يومُ اثنيــنِ مباركـاً فيه"[٢٤].

وقوله: "فمن ذلك قول العرب في رجل من القبائل: قَبَلِيّ، وقَبَلِيّة للمرأة. ومـن ذلـك أيضاً قولهم في أبناء فارس: بَنَوِي"[٢٥] وقوله في باب إجرائهم صلة (مَنْ) وخبره إذا عنيت اثنين كصلة (اللَّذين)، وإذا عنيت جميعاً كصلة (الذينَ): "فمن ذلك قول العـرب فيما حدثنا يونس: مَنْ كانَتْ أمَّكَ، وأيُّهُنَّ أُمَّكَ، وأيُّهُنَّ كانتْ أمَّك "ألحق تاء التأنيث لمـا عنى مؤنثاً، كما قال: يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ" حين عنى جميعاً[٢٦].

ثم إنه يلاحظ أن لا فرق بين ما يرويه سيبويه عن أحد من شيوخه، وبين ما يرويه هو عن العرب، إذ لا خصوصية فيما يروي عما يتلقى من مسموع غيره؛ لأنه وثقهم مـن جهة، ثم إن تلك الأقوال موافقة لما يعتقد صوابه ويميل إليه من القوانين مـن جهـة ثانية. انظر إليه وهو يدرس "ياء المتكلم" المتصلة بالفعل في نحو (ضَرَبَني)، الواقعـة في محل المنصوب، أو المتصلة بالاسم فتحل محل الاسم المجرور في نحو (غُلامي)، و (بَعْدِي)، ويذكر أن العرب كرهوا أن يسكنوا تلك الياء، لأنها خفية، فبيَّنوها بإلحـاق الهاء بعدها في الوقف، فيقولون: (ضَرَبَنِيَهْ، وغُلامِيَهْ، وبَعْدِيَهْ) قال: "وقد استعملوا فـي شيء من هذا الألف في الوقف كما استعملوا الهاء "واستدل بقول العـرب: (حَيَّـهَلاً)، وأنهم إذا وصلوا قالوا (حَيَّهَلَ بِعُمَر)، وقولهم في الوقف (أَنَا)، فإذا وصلوا قـالوا: (أنَ أقُول ذاك)[٢٧].

الثاني: وترد عبارة سيبويه متضمنة بعض أمثال العرب، لتدل على صواب ما ذهـب إليه، ومعلوم أن المثل واحد من روافد الاستشهاد النحوي، لكنه متأخر الرتبة، لأنه قـد يحكى حكاية وإن خالف قواعد النحو، بالإضافة لما يعتريـه مـن الحـذف[٢٨] وقـد استخدمه سيبويه منبهاً في بعض الأحيان على أنه مَثَلٌ من أمثالهم؛ ففي "باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره.." قال: "وهذه حُجَجٌ سُمِعَتْ من

العرب، وممن يوثق به يزعم أنه سمعها من العرب من ذلك قول العرب في مَثَلٍ من أمثالهم: (اللهم ضَبُعاً وذئباً)، إذا كان يدعو بذلك على غنم لرجل، وإذا سألتهم ما يعنون؟ قالوا: اللهمَّ اجْمَعْ، أو اجْعَلْ فيها ضَبُعاً وذئباً. كلهم يفسر ما ينوي"[٢٩] إلا أن السيرافي روى عن أبي العباس المبرد قوله: "سمعت أن هذا دعاء له لا دعاء عليه، لأن الضبع والذئب إذا اجتمعا تقاتلا، فأفلتت الغنم، وقال: أما ما وضعه عليه سيبويه فإنه يريد ذئباً من هاهنا، وضبُعاً من هاهنا"[٣٠]. وتراه أحياناً يأتي بالمثل دون أن يشير إلى أنه كذلك مكتفياً بقوله: "... ومن ذلك قول العرب ..." على نحو ما جاء في الياءات التي لم تُنصب في موضع النصب في الأسماء المركبة تركيباً إضافياً نحو تلك التي في قولهم: (رأيتُ معديكربِ) و(واجتَمَلُوا أيَادِي سبأ) تشبيهاً لها بألِفِ المثنى في حال تعريتها من الرفع والجر...حيث قال: "ومثل ذلك قول العرب: (لا أفْعَلُ ذاكَ حيْرِي دَهْرٍ)، وقد زعموا أن بعضهم ينصب الياء، ومنهم من يثقل الياء أيضاً"[٣١] وقد تساءل الرماني عن حكم تخفيف الياء بالسكون في هذا المثل، وفتحها، وتشديدها، ثم قال فيه: كأنه قال: (انقلاب دهرٍ) من قولهم (حَارَ يَحُورُ): إذا انقلب بالرجوع ومنه قوله عز وجل ﴿إنَّه ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي لن يرجع إلى الآخرة، فـ (حيْرِيْ دَهْرٍ) بالسكون على قياس (رأيتُ مَعْدِيْ كَرِب)، و(حيريَ دهر) على قياس (رأيت عميَ اليوم) بالفتح على الأصل، و(حيْرِيِّ دهرٍ) بالتشديد للمبالغة"[٣٢].وقد تعرض أبو سعيد السيرافي للغات الثلاث في هذا المثل فقال: "هو منسوب في الأصل (يريد: حِيرِيَّ دَهْرٍ). فمن شدد جاء بياء النسبة على أصلها، ومن سكَّن الياء حذف الثانية من يائي النسب، وبقى الأولى، وهي ساكنة، ومن فتح وخفف حذف الأولى من يائي النسب، ومعناه: لا أفعل ذلك ما حَارَ الدهرُ، أي لا أفعله أبداً"[٣٣].

أما بعض الأمثال التي يستعملها سيبويه فسيارة عند العرب وقد يكون وراءها بعض القصص، أو تضمنها شعرهم، على نحو مارواه عنهم في نصب الأسماء كما تنصب المصادر، ليصير الاسم المنصوب بدلاً من اللفظ بالفعل، ويضمر له حيث قال: "ومن

ذلك قول العرب: (فَاهَا لِفِيكَ) وإنما يريد: الداهية"(٣٤)، على أنه لم يلبث أن استدل عليه بقول أبي سِدْرَةَ الهُجَيْمي:

تَحَسَّبَ هَوَّاسٌ وأقْبَلَ أنَّنِي بها مُفْتَدٍ مِنْ وَاحِدٍ لا أُغَامِرُهْ

فَقُلْتُ لَهُ فَاهَا لِفِيكَ فَإِنَّهَا قَلُوصُ امْرِئٍ قَارِيكَ ما أنْتَ حَاذِرُهْ

ثم إن هناك أقوالاً كثيرة للعرب تتضمن بعض الاستعمالات التي لا يأتي بها إلا فصحائهم، ولا تقبل إلا من خاصَّتهم، وليست من أمثالهم، كاستعمالهم (إنَّ) بمعنى (لَعَلَّ) كقولهم: "إِئْتِ السوقَ أَنَّكَ تَشْتَرِي لَنَا شيئاً" أي لعلَّك[٣٥]، أو جعلهم (مَا) وحدها اسماً، كقولهم: "إنِّي مِمَّا أنْ أصْنَعَ .."[٣٦] فجرّ الاسم (ما) بالحرف (من) أو قولهم: "بِئْسَمَا لَهُ" يريدون: بئس الشيء ماله[٣٧]، أو استعمال (ما) بمعنى (مع) فقد قالوا: إِنَّكَ مَا وَخَيْراً " يريدون: مع خَيرٍ، وقد جاء في الشعر، ومنه قول زياد الأعجم ويقال غيره:

تُكَلِّفُنِي سَوِيقَ الكَرْمِ جَرْمٌ وَمَا جَرْمٌ وَمَا ذَاكَ السَّوِيقُ

على معنى "وما جَرْمٌ مع ذاك السويق"[٣٨] ويرى سيبويه وجمهور البصريين أن (ما) في هذا المثل زائدة، وهي لازمة عوضاً من المحذوف، إذ التقدير: (إنَّك مَا وخيراً مقرونان)، وهي هنا مثل قولهم: (كلُّ إنسانٍ وصنيْعَتُه) أي مقترنان، في حين أن الواو بمعنى (مَعَ) وهي الخبر عند الكوفيين[٣٩].

ولقد وظف سيبويه كلام العرب دليلاً على صواب ما ذهب إليه بعض القراء في قراءة بعض الحروف ففي قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[٤٠].

فقد قرأ نافع وابن عامر: (أو يُرْسِلُ) رفعاً، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي (أو يُرْسِلَ) نصباً[٤١]، ثم وجه سيبويه قراءة الرفع فقال "كأنَّه ــ والله أعلم ــ

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لا يكلمُ اللهُ البشرَ إلا وَحْياً أو يُرسِلُ رسولاً﴾ أي في هذه الحال، وهذا كلامه إياهم كما تقول العرب: تَحيَّتُكَ الضَّرْبُ، وعِتَابُكَ السَّيْفُ، وكَلامُكَ القَتْلُ"[٤٢]

وحيث إن هذا التوجيه موافق لوجه من النحو والقراءة به مسندة[٤٣] رأيت سيبويه لايتردد في تقويته بما روى عن العرب من الأقوال منثورها ومنظومها. وقد بين أبو سعيد أنه لايجوز أن يكون قوله (يرسل) عطفاً على (يكلمه اللهُ)، ولا أن يكون الناصب له (أن) هذه الظاهرة، لأنه حينئذ سيفسد المعنى ولكنه محمول على ما بعد (إلاّ)..[٤٤]

ثم إنك تجد من بين (**أقوال العرب**) هذه ما يتعلق بلفظ خالف القياس لعلة كقولهم: (أتت النَّاقَةُ على مَضْرَبِهَا) يريدون زمان ضرابها، والعلة في النصب أن (المفْعَل) كان (حيناً) هنا، فجرى النصب فيه، وقياسه الكسر، قال ابن منظور: جعلوا الزمان كالمكان[٤٥] أو جرى فيه الحذف لكثرة الاستعمال مع علة أخرى موجبه كقولهم: "مَازِ رَأْسَكَ والسَّيْفَ)، فقد صار المفعول الأول بدلاً من اللفظ[٤٦] أو كان حرفاً يجري مجرى التوكيد والتخصيص واستغنوا به عن لفظ التوكيد كالكاف في قولهم: (النجاءَكَ) أو قولهم: (هَاءَ وهَاءَكَ، وهَاْ وهَاْكَ)[٤٧] أو كان القول مما يجري في السعة والإيجاز وذلك لكثرة الاستعمال وعلم المخاطب بالمعنى المراد، كقولهم: "بنو فلان يَطَؤُهُمُ الطريقُ" وإنما يطؤهم أهل الطريق، أو قولهم: "هذه الظُّهرُ أو العَصْرُ أو المَغْرِبُ" وهم يريدون صلاة هذا الوقت أو قولهم: "أَكَلْتُ بَلْدَةَ كَذَا وكَذَا، وأَكَلْتُ أرضَ كَذَا وكَذَا" إنما يريد (القائل): أكل من ذلك وشرب وأصاب من خيرها[٤٨]، أو كان تصرفهم في حركات اللفظ طلباً للخفَّة، كما كانت تفعل بكر بن وائل وبعض بني تميم في تسكين وسط الثلاثي المتحرك فعلاً كان أو اسماً، حيث قالوا في (فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفي كَبِدٍ: كَبْدُ وفي عَلِمَ: عَلْمَ وفي رَجُلٍ: رَجْلٌ) وهكذا، لكنهم لا يسكِّنون إذا توالت الفتحتان في الثلاثي، فهم يقولون: (جَمَلٌ، وحَمَلٌ) لكن الكلمة إذا زادت عن ثلاثة عاملوا جزءاً منها معاملة الثلاثي متحرك الوسط، كما في قولهم: (أراكَ مُنْتَفِخَاً) فإنهم يسكِّنون الفاء التي

بعد النون معاملين ما بعد النون معاملة (كَبْدٍ وفَخْذٍ) ونحوهما فيقولون (مُنْتَفْخاً)، مثل ذلك قولهم في (انْطَلِقْ): (انْطَلْقَ) بفتح القاف لئلا يلتقي ساكنان، قياساً على (أيْنَ) وأشباهها، وقد استأنس سيبويه بسماع العرب وهم يتخلصون من الساكنين في مثل هذا الموضع، مضيفاً إلى سماعه هذا ماروا شيخه الخليل بن أحمد من إنشادهم:

عَجِبْتُ لَمولُودٍ ولَيْسَ لَهُ أبٌ وذَي ولَدٍ لَم يَلْدَهُ أبَوانِ

حيث فتحوا الدال كي لايلتقي ساكنان، لأنهم حين أسكنوا موضع العين حركوا الدال[٤٩]. (حركوا لام الكلمة وموضعه السكون)

لقد استعمل سيبويه بعض الأمثلة التعليمية لبيان وجه القاعدة التي يعلّمها في الباب، وهذه الأمثلة غير افتراضية ولا بعيدة الحدوث، ثم إنه وهو يشرح وجهة النظر العلمية، للوصول إلى القاعدة النحوية، تراه يستعين بضرب الأمثلة من كلام العرب مما اتضحت الرؤية في استخدامه وإن كان لفظاً مفرداً، ففي قول القائل:(ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ) يرى سيبويه جواز أن يكون (إلا زيدٌ) بدلاً من (أحد)، أو يكون صفة، والسبب في هذا وجود النفي، ثم إنه قد ذكر قبله ما يصلح أن يكون موصوفاً، والفرق بين الوجهين هو أن البدل يوجب إثبات الفعل لما بعد (إلاّ)، والصفة لا توجيه في ذلك؛ لأنها بمنزلة قولك: (جاءني مثلُ زيدٍ).

وفي الوقت نفسه لايجوز أن تقول: (ما أتاني إلاّ زيدٌ) وأنت تريد أن تجعل (إلا وما بعدها) بمنزلة (مثل)، إنما يجوز ذلك صفة لأن (إلا وما بعدها) إنما تكون صفة إذا كان قبلها اسم موصوف مذكور كما أن قول العرب (أجمعين) لا يكون إلا نعتاً للأسماء المذكورة قبله، كما أنه لا يكون إلا تابعاً، ولا يقام مقام المنعوت كما هو حال (مِثْل وغيْر) لأن هذين الأسمين يتصرفان تصرف الأسماء نحو قولك: (مَرَرْتُ بمِثْلِ زَيْدٍ) و(مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مِثْلِ زيْد)[٥٠]، قال أبو علي: "إلاّ" لا يكون وصفاً إلا في الموضع الذي يكون فيه استثناء"[٥١].

وفي ما جرى على الموضع استشهد سيبويه بأقوال العرب حين قالوا: "لا مَالَ له قليلٌ ولا كثيرٌ" وقولهم: "لا مِثْلَهُ أحدٌ" وقولهم: "لا كَزَيْدٍ أحدٌ" فالرفع في هذه الأقوال على المحل لا على الحرف، لأن الحمل على الحرف يوجب النصب[٥٢]. وهناك أقوال للعرب في النسب وفي القسم يجريها سيبويه مجرى الدليل على صحة الفكرة التي يبحثها في الباب مستشهداً بها لتقوية حجته، مثلها مثل استشهاده بالقرآن أو الشعر أو أمثال العرب.

ثانياً: السماع عن العرب:

للسماع منزلة كبيرة عند النحاة وأهل اللغة، فهو ينقض القياس[٥٣] وهو أحد الأسس التي قامت عليها الدراسة النحوية، وكتاب سيبويه أعار هذا الجانب اهتماماً كبيراً فتراه يلون حديثه عن ذلك، وقد تنبه بعض الباحثين لهذا الأسلوب وتتبعه في الكتاب[٥٤] الأمر الذي يجعلنا في حلّ من الاستقصاء، لكن ذلك لايعفينا من توجيه الضوء إلى بعض هذه السماعات التي وردت ملونة الأساليب كما يأتي:

قوله: "سمعنا من يوثق به من العرب يقول:..." ج١، ص٢٦، ج٢، ص١٩٩، ٣٠٣، ٣٠٤.

أو قوله: "سمعنا العرب الفصحاء يقولون:..."ج١، ١١١

أو قوله: "وسمعت من أثق به من العرب يقول:..."ج١، ص١١٧.

أو قوله: "سمعناهم يقولون:... سمعنا ذلك من فصحاء العرب لايعرفون غيره" ج٢، ص٢٠.

أو قوله: "وسمعنا بعض العرب يقول:... وسمعنا أيضاً من العرب الموثوق بهم من يقول:..." ج١، ص١٥٦.

أو قوله: "وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال له:...فيقول:..." ج١، ص١٦١.

أو قوله: "وسمعنا   العرب الموثوق بهم يقولون:..." ج١، ص١٦٦.

أوقوله: "يقال:... سمعنا ذلك ممن يوثق به من العرب" ج١، ص٢٠٢.

أو قوله: "وسمعنا الثقة من العرب يقول... كما قال بعضهم:..." ج١، ص٣٣١.

أوقوله: "تقول:... سمعت ذلك ممن يوثق بعلمه..." ج٢، ص٤١.

أو قوله: "بلغني عن العرب الموثوق بهم أنهم يقولون:..." ج١، ص٣٨١.

أو قوله: "...سمعنا ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم..." ج١، ص٣٧١.

أو قوله: "وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول:..." ج١، ص٣٧٥، ج١، ص٢٦٣.

أو قوله: "وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول:..." ج٢، ص٢٦١، ج١، ص٢١٠، ج٢، ص٢٤٠.

أو قوله: "وسمعت من يوثق بعربيته من العرب يقول:..." ج١، ص٧٧، ج٢، ص٢٩٥.

أو قوله: "... وهذا قول جميع من نثق بعلمه وروايته عن العرب" ج٢، ص٥٣ـ٥٤.

أو قوله: "وسمعنا فصحاء العرب يقولون:..." ج١، ص٤٧٧.

أو قوله: "وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول:..."ج٢، ص٢٨٨.

أو قوله: "وحدثني من أثق به أنه سمع عربياً يقول:..." ج٢، ص٦٩، ٢٨٣.

أو قوله: "وحدثني أبو الخطاب أنه سمع من يقول: قد أَرْاهُمْ، يجيء بالفعل من (رأيت) على الأصل من العرب الموثوق بهم" ج٢، ص١٦٥.

وفي إنشاد بعض الأبيات أحال إلى سماعه فصحاء العرب تنشده بطريقة معينة (ج٢، ص٢٦٩، ج٢، ص١٦٧، ١٤٧، ج٢، ص٢٩٠، ج١، ص٢٧٢)، يضاف إلى ذلك مالقفه من حديث بعض أساتذته عمن يوثق به من العرب (ج١، ص٦٣، ٤٨ ــ ٤٩، ج١، ص٣٧٢، ٣٧٩، ٢٧٥، ٢٥٨). وهناك نوع آخر من السماع يتعلق بتغيير بعض الحركات في بعض الحروف لدى بعض العرب الموثوق بهم (ج٢، ص١١٠، ١٢٩/١، ٢٧٦/٢، ٢٤٦، ٣٤)، أو عند قبائل بأعيانها، أو لدى قوم ترتضى عربيتهم (ج٢، ص٢٦٢، ٦٠، ج١، ص١٩٨، ج١، ص٩٣، ج٢، ص٢٦٩،). وقد يتلقى المعلومة عن العرب تلقيه الخبر ممن يثق به هو (ج٢، ص١٢٧، ١٢٩)، أو عن بعض أساتذته كعيسى ويونس، أو الخليل ويونس، وقد يكون سماعه عن العرب لوجهين في قضية واحدة (ج١، ص١٢٦)، فيرويها كما سمعها، وقد يرجح رواية على أخرى.

ومعلوم من الأخبار صدق سيبويه في النقل، فهو لا يثبت إلا ما صح سماعه، إما من مصادره المباشرة المتمثلة في سماعه هو من الأعراب الفصحاء، أو من مصادر موثوقة سمعت الأعراب وشافهتهم، على أنه لا ينبغي أن نغفل بعض الإشارات الواردة في هذا الشأن من نحو ما حدَّث أبو حاتم أن أبا زيد الأنصاري النحوي قال: "كان سيبويه غلاما يأتي مجلسي، له ذؤابتان، فإذا سمعته يقول: حدثني من أثق بعربيته فإنه يعنيني[٥٥]، كان يقول ذلك كالمفتخر بعد موت سيبويه[٥٦]، فإن صحت هذه الرواية فإن أبا زيد الأنصاري ــ رحمه الله ــ كان إماما في اللغة، مكثرا في السماع من العرب، قيل إنه يحفظ ثلثي اللغة، موثوق الرواية، حقيق بالتصديق فيما قال عن أسلوب سيبويه في النقل والرواية[٥٧].

وبالرغم من أنه لم يكشف النقاب عن السبب الذي جعل سيبويه يؤثر عدم التصريح باسم أبي زيد في جميع المرويات في حين كان يصرح بأسماء غيره ممن نقل عنهم، إلا أن أحدا من الرواة لم يذكر أنه نازع أبا زيد منازع في تلك الصفة[٥٨]، وقد أضاف

بعض الباحثين أن الروايات التي يصدرها سيبويه بقوله: "وحدثني من لا أتَّهم.." أو قوله: "وحدثنا من لا نتَّهم أنه سمعهم..." ونحو ذلك أن المعني بها أبو زيد[٥٩]، فإن صحت هذه الروايات، وكان أبو زيد هو المقصود بالثقة، ومن لا يُتَّهم، أو هو الموثوق به، أو بعربيته، أو بعلمه، فإن سماع سيبويه منه يكاد يضاهي سماعه من أستاذه الخليل، إن لم يَرْبُ عليه، وسواء أكانت هذه المرويات عن أبي زيد أم غيره فإنه لا جدال في صحتها عن العرب، لأن سيبويه نفسه ثقة فيما يروي[٦٠]، على أنه ينبغي أن نشير إلى ما صرح سيبويه أحياناً بسماعه عن الثقة من العرب، أو الموثوق به منهم، ويتضح من بعض الروايات إلا إليه من نحو قول سيبويه: "وحدثني من أثق به أنه سمع عربياً يقول:..."[٦١].

والسماع في الكتاب كمٌ كبير، ولذلك فلا ريب أن يكون أحد الأسس القوية في الدرس النحوي بإجماع البصريين والكوفيين عليه. والنماذج الآنف ذكرها لا تمثل إلا وحدة من وحدات السماع، أعني بها النموذج الذي أكد سيبويه روايته عن ثقة، وبمناقشة تلك المرويات علّ سرّ التوثيق هذا ينكشف، ليعرف فضلها على سواها من المسموعات نقول:

في باب ما يحذف من الأسماء من الياءات في الوقف التي لاتذهب في الوصل ولا يلحقها تنوين، وتركها في الوقف أقيس وأكثر... أنشد سيبويه قول النابغة[٦٢]:

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُوراً ... فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنْ

بإسكان النون من القافية وحذف الياء من الضمير في قوله (مِنِّي)، وهذا جائز في الكلام ثم ثنّى ببيت النابغة أيضاً في القصيدة نفسها وهو قوله:

وَهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ ... وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إِنْ

وفسر ذلك بقوله: "يريد: إنّي، سمعنا ذلك ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم وترك الحذف أقيس"[٦٦] والوقوف هنا بحذف الياء تشبيهاً لها بالياء في (قاضٍ وغازٍ)

وأشباههما، وقوىّ ماذهب إليه من وجه الحذف بما أثر عن أبي عمرو أنه قرأ قول الله عز وجلّ: ﴿رَبّي أَكْرَمَنْ﴾ و﴿رَبّي أَهَانَنْ﴾ (٦٤) بحذف الياء فيهما، والقراءة سبعية ثابتة عن أبي عمرو، قال اليزيدي: "كان أبو عمرو يقول: ما أبالي كيف قرأت: بالياء أم بغير الياء في الوصل، فأما الوقف فعلى الكتاب"(٦٥)، قال أبو زيد: ﴿أكْرَمَن﴾ و﴿أهَانَنْ﴾ مجزومتي النون محذوفتي الياء"(٦٦).

وقد حذف الزجاج الياء وهو يبين معنى آية الفجر، فجاءت عنده (أكْرَمَنْ) في الكلام المنثور(٦٧) وذكر الداني أن الكوفيين وابن عامر سكنوا الياءين، وأن قياس قول أبي عمرو في الحذف على رؤوس الآي يوجب حذفها(٦٨).

وفي باب (الهَمْز) يقرر سيبويه أنه "ليس في كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا" وأن من كلامهم: "تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة وهو قول أبي عمرو"... لكن سيبويه نقل غير ذلك قائلاً: "ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب..."

ثم أنشد قول الشاعر:

كُلُّ غَرَّاءَ إذا مَا بَرَزَتْ تُرْهَبُ العَيْنُ عَلَيْهَا والحَسَدْ

وقال: سمعنا من يوثق به من العرب ينشده هكذا، "أي يخفف الثانية في قوله (غراء إذا) ويجعلها بين بين، لأنها مكسورة بعد الفتحة، فتكون بين الفتحة والياء وتحقيقهما جائز"(٦٩)، إن تحقيق الهمزة الأولى وتخفيف الثانية يؤيده القراءة الواردة في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا زَكَرِيَّاءُ انَّا نُبَشِّرِكَ﴾(٧٠) فقد قرأها بتسهيل الهمزة الأخيرة كالياء وبإبدالها واواً مكسورة نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس(٧١) كذا قرأ أبو عمرو وغيره قول الله تعالى؟: ﴿أألِدُ وأنَا عَجُوزٌ﴾ (٧٢) بتسهيل الثانية(٧٣)، يضاف إلى هذا أن الخليل رحمه الله كان يستحب هذا القول، وسواء أحققت الهمزة الأولى وخففت

الثانية أم كان العكس، فإن سيبويه يرى أن كليهما عربي، ثم إن الخّفةَ في اللغتين بمنزلتها محققة في الزّنة[٧٤].

ولمَّا كان بعض العرب لا يحقق الهمزة الواحدة ـ وهم أهل الحجاز ـ استثقالاً لها، لأنه بَعُد مخرجها، فإنَّه إذا اجتمعت همزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف في كلام العرب[٧٥].

وفي باب **القسم** روى سيبويه عن يونس أن ألف (أيْمُ) موصولة وكذا تفعل بها العرب، فتحوا ألفها كما فتحوا الألف من (الرَّجُل)، ومثلها ألف (أيْمُنُ) واستشهد بقول الشاعر:

فَقَالَ فَرِيْقُ القَومِ لَمَّا نَشَدْتُهُمْ نَعَمْ، وفَرِيْقٌ لَيْمُنُ اللهِ ما نَدرْي

وأكد سيبويه هذه الرواية بقوله: "سمعناه هكذا من العرب"[٧٦] أي بحذف ألف (أيْمُن) لأنها ألف وصل، ثم أردف بقوله: "وسمعنا فصحاء العرب يقولون في بيت امرئ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أبْرحُ قَاعِداً ولو قَطَعُوا رَأسِي لَدَيْكِ وأوْصَالِي

جعلوه بمنزلة (أيْمُنُ الكعبةِ) و (أيْمُ اللهِ).."[٧٧].

قال أبو سعيد رحمه الله: "يقال: إن (أيْمُن) لم يوجد مضافاً إلا إلى الله تعالى، وإلى الكعبة، وفي النحويين من يقول: إنه جَمْع (يمين) وألفه ألف قطع في الأصل، وإنما حذف تخفيفاً لكثرة ما يستعمل، وقد كان الزجاج يذهب إلى هذا وهو مذهب الكوفيين.." ثم بين أن (اليمين) في بيت أمرئ القيس رفعت كما رفع (لعمرُ اللهِ) وأضمر (يمينُ اللهِ قسمي)[٧٨]، قال أبو العباس المبرّد: "تقول: أيْمُ اللهِ، أيْمُنُ اللهِ، فألفه موصولة، ..وتحذف النون، فتقول: لَيْمُ اللهِ ما كان ذلك.."[٧٩] وأكد أبو العباس أن ألف (أيْمُنُ) التي تدخل للقسم مفتوحة، لأنه اسم غير متمكن وغير واقع إلا في القسم.. والذي يدل على أنها ألف وصل سقوطها في الإدراج.."[٨٠]، ثم زاد الأمر توضيحاً

بأن، ألف (أَيْمُ) ألف وصل، وأن تمام الاسم النون تقول (أَيْمُنُ) وأن هذا الاسم موضوع للقسم وليس بجمع اليمين، ولو كان جمع (يمين) لكانت ألفه ألف قطع [٨١].

وتابع أبو علي المبرّد فيما ذهب إليه في هذا الحرف، واستدل على أن الألف ألف وصل وسقطت لما اتصل به قبله، عنى بذلك اللام التي تدخل على المبدأ كما تسقط ألف (ابن) في قوله: (لابْنُ زَيْدٍ ظَرِيفٌ)[٨٢].

هذا الشعر وأمثاله مما سمعه سيبويه عن العرب فصحائهم أو الموثوق بهم من العرب، نلاحظ أن الرواية التي خصّها سيبويه بالذكر لها وجه قوي غير الوجه الذي سمعه، إلا أن الوجه الذي رواه لا يعدم الدليل على صحته، وقد يسنده القياس[٨٣].

ولم تقف رواية سيبويه عن الثقات من العرب، أو عمن ترتضى عربيته، أو من يوثق بعلمه، أو عن الفصحاء منهم عند حدود الاختلاف في رواية الشعر، بل شملت المنثور جملاً، ومفردات، كما اشتملت على خصائص لهجية لا يدركها إلا أهل اللغة الحاذقون، أو المشتغلون بتراث العرب، المتمرسون في اكتناه اللهجات العربية وما يميز بعضها عن بعض. ولعل الوقوف على بعض هذه المرويات يكفي دليلاً على الأسلوب الفاشي في روايات الكتاب، والتي يكون سيبويه قد سمعها من مصادرها الموثوق بها، أو يكون رواها عن ثقة في علمه أو روايته، أو يكون الراوي ممن لا يتهم عند سيبويه وأمثاله من الثقات.

ففي باب من أبواب الإضمار يروي مذهب الخليل فيمثل قول القائل: (هَا أَنَا ذا، وهَا نَحْنُ أُولاَءِ، وهَا هُوَ ذَاكَ وها أنت ذا) ونحوها، ويقرر أن (ها) هنا هي التي مع (ذَا) إذا قلت (هَذَا)، وأنهم إنما أرادوا أن يقولوا: (هَذَا أَنْتَ)، ولكنهم جعلوا (أَنْتَ) بين (هَا) و(ذا)، وأرادوا أن يقولوا: (أَنَا هذا)، و(هَذَا أَنَا)، فقدموا (ها)، وصارت (أنا) بينهما[٨٤]، ومعلوم من قواعد النحاة في إعراب هذه المثل أن (ها) التي تصدرت الجمل هنا للتنبيه، وأن الأسماء المضمرة بعدها مبتدآت، وأن أسماء الإشارة أخبار

لها، أو أن المضمر المقدم خبرٌ، واسم الإشارة هو المبتدأ، هذا من جهة الإعراب، قال أبو سعيد: "وأمّا (ها) فيجوز أن يكون مع (ذَا) وفصل بينهما بـ (أنْتَ)، والمراد بها أن يكون مع (ذَا)، والتقدير: (وأنَا هَذَا)، ويجوز أن يكون التنبيه للمضمر، لأنهما يشركان في الإبهام..."[٨٥]

واحتج للقول الأول بقول الشاعر:

ونَحْنُ اقْتَسَمْنَا المَالَ نِصفَيْنِ بَيْنَنَا ... فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا لَهَا هَا وَذَا لِيَا

حيث فصل بين (هَا) و(ذَا) بالواو، على تقدير (وهذا لي)، واحتج للقول الثاني بقوله عزّ وجل: ﴿هَا أَنتُم هَؤلاءِ﴾[٨٦] حيث أدخل (ها) على (أنتم) ثم أعادها في (أولاَء)[٨٧]، وهذه الرواية الأخيرة نقلها سيبويه عن أبي الخطاب عن العرب الموثوق بهم وأنهم يقولون: (أنَا هَذَا) و(هَذَا أنا)، وأردف تأكيداً لهذا بقوله: "وحدثنا يونس أيضاً تصديقاً لقول أبي الخطاب أن العرب تقول: "هذَا أنْتَ تَقُولُ كَذَا وكَذَا"، لم يرد بقوله: "هَذَا أنْتَ" أن يعرفه نفسه... ولكنه أراد أن ينبّهه، كأنه قال: (الحاضر عندنا أنت، والحاضر القائل كذا وكذا أنت..."[٨٨].

وكثيراً ما ترى سيبويه يقوي حجته بشاهد من الشعر أو من القرآن الكريم ثم يستحضر أقوال العرب الموثوق بهم لتكون دليلاً آخر يدعم صدق الشاهد الشعري، فمما جرى عليه الرفع والنصب قول القائل: (هُولَكَ خالصٌ) و(هُولَكَ خَالِصاً)، وقولك: (فيها عبدُ اللهِ قائمٌ) و(فيها عبدُ اللهِ قائماً) فالرفع على إلغاء الجار والمجرور، وجعل ما سواهما مبتدأ وخبراً، والنصب على جعل المجرور خبراً مقدماً، والاسم المشتق حال من المبتدأ، وقد ساق على ذلك شواهد من الشعر من نحو قول النابغة:

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ ... مِنَ الرُّقْشِ (فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ)

حيث رفع (ناقع) خبراً عن السُم، وألغى المجرور، ولو نصبه على الحال الجاز.

وقول الهذلي:

لاَ دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَكُمْ قِرْفَ الحَتِيِّ (وعندي البُرُّ مَكْنُوزُ)

إذا رفع (مَكْنُوز) خبراً عن البُرّ، وألغى الظرف، ولو نصبه على الحال لكان حسناً وأنشد على الوجه الآخر قوله الشاعر:

إنَّ لكُمْ أصْلَ البِلاَدِ وفَرْعَها (فالخَيْرُ فيكُم ثابتاً مبذولاً)

على نصب (ثابتاً) على الحال والاعتماد على المجرور، ولو رفعه لكان حسناً.

ثم إنه استشهد بقراءة قوله عزّ وجل: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٨٩) على الوجهين، حيث قرئت (خالصة) بالرفع والنصب(٩٠)، لكنه بعد هذه الشواهد الموثقة ومأثورات العرب، قال: "وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول: (أَتَكَلَّمُ بِهذَا وأَنْتَ هاهنا قاعداً)"(٩١) فقد نصب (قاعداً) على الحال، لأن الكلام قد تم دونه، مثله مثل قولك: (الرجلُ عندَك قائماً)، تنصب (قائماً) حالاً، لأن الكلام قبلها قد تمّ(٩٢).

أما روايته عن الثقة الذي سمع رؤية يقول: (هَذَا غُلامٌ لَكَ مُقْبِلاً) ونصبه على الحال(٩٣)، فتصديق لما كان قرره قبل وهو أن بعض العرب ألزم صفة النكرة النكرة، كما ألزموا صفة المعرفة المعرفة، وأرادوا أن يجعلوا حال النكرة فيما يكون من اسمها، كحال المعرفة فيما يكون من اسمها(٩٤) إلا أنه نقل عن يونس وأبي الخطاب عمَّن يوثق به من العرب الرفع في نحو قولهم: (هَذَا عَبدُ الله مُنْطَلِقٌ)، ووجه الخليل سبيل الرفع إلى الإضمار من جهة كأن القائل قال: (هذا منطلقٌ) أو (هو منطلقٌ)، ومن جهة أخرى أن تجعلها جميعاً خبراً لـ (هَذَا)، ومعاملة الأسمين معاً كالاسم المركب نحو قولهم: (حَامِضٌ حُلْوٌ)، ثم استدل على ذلك بالقراءة والشعر، فقد قرئ قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى ﴿١٦﴾﴾ (٩٥) وقوله سبحانه: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ﴾ (٩٦) بالرفع فيهما(٩٧) ومن الشعر قول الراجز:

مَـنْ يَـكُ ذَابَـتٍ فَـهَذَا بَتِّـي
مُصَيِّـفٌ مُقَيِّـظٌ مُشَـتِّي

مؤكداً سماعه مرفوعاً إلى من يرويه عن العرب(٩٨).

وذكر أبو سعيد وجهين آخرين للرفع كان سيبويه قد أشار إليهما فيما حكاه عن الخليل، أحدهما: أن تجعل (عبد الله) في المثال السابق معطوفاً عطف بيان أو بدلاً من (هـذا)، والوجه الآخر: أن يكون (منطلق) بدلاً من (عبد الله) على تقدير: (هذا منطلقٌ) كأنـه قال: هذا عبد الله رجلٌ منطلقٌ)(٩٩).

وليس معنى هذا وجود تناقض فيما نقل عن العرب، فالمسألة فيها جـواز الوجـهين، وكل وجه يسنده السماع والقياس كم مرّ.

إن الجدل الذي يقيمه سيبويه وهو يعرض القاعدة النحوية جدير بالنظر والتقدير، ففـي باب للواو عرض بعض الأمثلة، وكان ظاهرها ملبساً لمن ينظر فيها نظرة عجلى، إذا جاز للمتكلم أن يقول: (مَالَكَ وزيداً) و (ما شَأْنُكَ وعمراً) علـى معنـى (مـا شَـأْنُكَ وتناوُلُكَ زيداً) وجاز للدرامي أن يقول:

فَمَا لَكَ والتَّلَدُّدَ حَوْلَ نَجدٍ...البيـت

حيث نصب (التلدُّد) بإضمار الملابسة، إذ لم يمكن عطفه على المضمـر المجـرور، فنصب على حدّ قول المتكلم: (ما أَنْتَ وزيداً)، كما جاز للآخر أن يقول:

ومَـالكُمُ والفَـرْطَ لاَ تَقْرَبُونَـه وقَـدْ خِلْتُـه أَدْنَـى مَـرَدٌّ لعَـاقِلِ

فنصب (الفَرْطَ) كما نصب (التَّلَدُّد) للعله نفسها، أقول: إذا جاز نصب ما بعد الـواو، وقبح حمله على الضمير، لم يكن للمتكلم بدٌّ من الجر إذا ظهر الاسم، كما فـي قـول القائل: (ما شأنُ عبدِ اللهِ وأخيه يَشْتِمُهُ)، والذي حسن حمل الكلام على (عبدِ الله) كونـه مظهراً مجروراً(١٠٠)، هذه النظرة الدقيقة في الحمل على ما قبل الواو أو قبحه لم تمّـو

عند سيبويه دون توثيق من كلام العرب، فقد قال: "وسمعنا بعض العرب يقول مَا شَأْنُ عبدِ اللهِ والعَرَبِ يَسُبُّها؟"(١٠١) وكأنه أحسّ أن هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من التوثيق، لتحصل القناعة عند المتلقي، فأردف ذلك بقوله: "وسمعنا أيضاً من العرب من يوثق بعربيته يقول: "مَا شَأْنُ قَيْسٍ والبُرِّ تَسْرِقُهُ" لما أظهروا الاسم حسن عندهم أن يحملوا عليه الكلام الآخر.."(١٠٢).

نقل سيبويه عن الثقات بعض الخصائص اللهجية، كما نقل عنهم بعض أسرار الاستعمال اللغوي، ففي باب "الوقف" معلوم أن للعرب مذاهب مختلفة فيه، فهم يقفون بالسكون أو الروم أو الإشمام أو بالتضعيف أو الزيادة، أو بالحذف، أو بالإبدال وغير ذلك، والبحث في أساليب الوقف في الكتاب طريف وعميق، إذ تتبع سيبويه هذه الطرائق في مظاهرها وفي مواطنها من البلاد، وخص بعضها بعلامة تميزها عن غيرها، واستشهد على ذلك كله بما روي من القرءات أو الشعر أو أقوال القبائل(١٠٣)، فعن أبي الخطاب أن أزد السراة يقولون في الوقف: (هذا زَيْدُو) و(هذا عَمْرُو) و (مررتُ بزيدي وبِعَمْرِي) يجعلونه قياساً واحداً فيثبتون الياء والواو كما أثبتوا الألف(١٠٤)، ونقل عن الخليل وأبي الخطاب أيضاً الروم عن العرب في الوقف عندما قالوا: (هُوَ عُمَرْ) و (هَذَا أَحْمَدْ) كأنه يريد رفع لسانه، كما نقل عن الخليل أيضاً الوقف بغير الإشمام وإجراء الساكن(١٠٥) وعنه أيضاً نقل الوقف بالتضعيف عن العرب، فقالوا: (هَذَا خالدّ) و(هو يَجْعَلّ) و(هَذَا فَرَجّ) واستشهد بما قالت العرب في ذلك من الشعر من نحو:

بِبَازِلٍ وَجْنَاءَ أو عَيْهَلِّ

وقوله: تَتْرُكُ مَا أَبْقَى الدَّبَا سَبْسَبَّا

وهم إنما يريدون: (العَيْهَلِ) و(السَّبْسَبَ)، وشبَّه سيبويه هذه الزيادة بزيادة الإشباع في القوافي فيما لا يدخله ياء ولا واو، ثم روى الوقف بزيادة الهاء عمن يثق به وأنه سمع

عربياً يقول: (اعطِني أبَيْضَّهْ) يريد "أبْيضَ، وألحق الهاء كا ألحقها في (هُنَّهْ) وهو يريد (هُنَّ)[١٠٦]، وكان سيبويه عقد باباً قبل هذا لما تلحقه الهاء لتبين الحركة، وآخر لما تلحقه الهاء في الوقف لتحرك آخر الحرف، بين في البابين وجوه استحضار الهاء في الوقف، وأنواع الكلم التي تدخلها الهاء، وفلسفة العرب في الوقوف على الهاء في بعض الكلم دون بعض، وفي ذلك فتراه يقوي ما ذهب إليه بما سمع من العرب، أو ما سمعه عن شيوخه عن الثقات من العرب، فتراه يذكرك بين الحين والحين بمصدره في كل موقع، فقد روى لغة هي أقل اللغتين في الوقف عن عيسى بن عمر ويونس، حيث حدثا عن بعض العرب بالوقف من غير هاء السكت، فقالوا: (ارمْ، واغزْ، واخشْ)، كما نقل عن أبي الخطاب أن ناساً من العرب يقولون: (ادْعِهْ) من دَعَوْتُ، فيكسرون العين، كأنها لما كانت في موضع الجزم توهموا أنها ساكنة إذا كانت آخر شيء في الكلمة، ثم بين أن كثيراً من العرب لا يلحقون الهاء في الوقف، وأسند إلى الخليل أنهم يقولون: (انطلَقتُه)، يريدون (انطَلَقْتُ) لأنها ليست بتاء إعراب، كما قالوا (هيَهْ) وهم يريدون (هِيَ) وقالوا أيضاً (هُوَهْ) كراهة أن يلزموا الواو الإسكان في الوقف[١٠٧] والواقع أن حمزة ويعقوب قرآ قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [١٠٨] في الوقف بهاء، دون الوصل، لكن الهاء هذه ثابتة في المصحف[١٠٩] كما قرأ قوله الله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [١١٠] بالهاء في الوقف دون الوصل، وقرأ يعقوب وحده (هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴿٢٠﴾﴾ [١١١] بإثبات الهاء في الوقف[١١٢].

كما قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [١١٣] والتي في الأنعام ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [١١٤] بحذف الهاء في الوصل[١١٥].

وبصفة عامة فإن مرويات سيبويه عن الثقات لم تخرج عن الأطر التالية:

١ــ الثقة بالراوي نفسه سواء أكان فرداً أم قبيلة، وأشكاله:

ــ أخبرني من أثق به أنهم يقولون: ... ج٢، ص١٢٩.

ــ أخبرني من أثق به أنه يقول: ... ج٢، ص١٢٧.

ــ وزعم من يوثق به أنه سمع من العرب من يقول: ج٢، ص٣٤.

ــ حدثنا من نثق به أن معظمهم يقول: ... ج٢، ص٦٩.

ــ وسمعنا من يوثق به من العرب يقول: ... ج١، ص٢٦، ١٢٩، ج٢، ص١٩٩.

ــ وسمعت من أثق به من العرب يقول: ... ج١، ص١١٧.

ــ وحدثني أبو الخطاب أنه سمع من يقول: (قد أرْآهُمْ)، يجيء بالفعل من (رأيت) على الأصل من العرب الموثوق بهم ج٢، ص١٦٥.

ــ وبلغني عن العرب الموثوق بهم أنهم يقولون: ... ج١، ص٣٨١.

ــ ... سمعنا ذلك ممن يوثق به من العرب ... ج١، ص٢٠٢، ج٢، ٣٠٣، ٣٠٤.

ــ وسمعنا العرب الموثوق بهم يقولون: ... ج١، ص١٦٦، ١٩٨.

ــ وزعم أبو الخطاب أنه سمع من يوثق به من العرب يقول:... ج، ص٤٨ ــ ٤٩.

ــ وسمعنا من يقول ممن يوثق به من العرب: ... ج٢، ص١١٠.

ــ وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول: ... ج١، ص٣٧٥، ٢١٠.

ــ ... وسمعنا ممن يرونه عن العرب الموثوق بهم ... ج١، ص٣٧١.

ــ وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقول: ... ج١، ص٣٧٢، ١٦١.

ــ وحدثنا بذلك أبو الخطاب عمن نثق به من العرب ... ج١، ص٢٧٥.

٢ــ الثقة بعربية الراوي، أو علمه، أو أن عربيته ترتضى من نحو قوله:

ــ حدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق من العرب يقول: ... ج٢، ص٢٨٨.

ــ سمعنا بعض من يوثق بعربيته يقــول: ... ج١، ص٧٧، ج٢، ص٢٦١، ص٢٩٥، ٢٤٠.

ــ أن ناساً من العرب يوثق بعربيتهم ... يجعلون ... ج١، ص٦٣.

ــ وهذا قول جميع من نثق بعلمه وروايته عن العرب ج٢، ص٥٣ ــ٥٤.

ــ سمعت ذلك ممن يوثق بعلمه، ج٢، ص٤١.

ــ وقد قال قوم من العرب ترضى عربيتهم: ... ج١، ص٩٣، ج٢، ص٢٦٩.

ــ ... بنو أسد وغيرهم من بني تميم وسمعناه ممن ترضى عربيته ج٢، ص١٦٠.

ــ ويقوله أيضاً قوم من قيس أسد ممن ترضى عربيته ... ج٢، ص٢٦٢.

٣ــ الرواية عن الفصحاء من العرب، من نحو قوله:

ــ وسمعنا العرب الفصحاء يقولون: ...ج١، ص١١١.

ــ ... سمعنا ذلك من فصحاء العرب لا يعرفون غيره... ج٢، ص٢٠.

ــ وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها ... ج٢، ص٢٤٦.

ــ وسمعنا فصحاء العرب يقولون ... وليس في كلام كل العرب ج١، ص٤٧٧.

ــ وقد فتح قوم فصحاء فقالوا: ... ج٢، ص٢٧٦.

٤ـ بعد الراوي عن مظنة الاتهام على نحو قوله:

ـ وحدثني من لا أتهم عن رجل من أهل المدينة موثوق به أنه سمع عربياً يتكلم بمثل قوله ... ج١، ص٤٧٥.

ـ وحدثنا من لانتهم أنه سمع من العرب من يقول: ... ج١، ص١٢٥.

ـ وحدثنا من لانتهم أنه سمعهم يقولون: ... ج٢، ص٤٢٣.

أما السماع المطلق فكثير جداً في الكتاب، ولكنه يتخذ بعض المظاهر اللفظية التي تشعرك أحياناً أن هذه المسموعات ليست على درجة واحدة من مثل قوله:

ـ وسمعنا من العرب من يقول: ... ج١، ص١٢٤، ١٩٤، ٢٠٢، ج٢، ص٢٠٤، ٢١٣، ٢٢٨، ٣٣٧. وهذا فاش في سماعه.

ـ .. قول العرب ... ومنهم من يقول: ... ج٢، ص٤٨.

ـ وزعم أبو الخطاب أنه سمع من العرب من يقول: ... ج١، ص١٢٦، ج٢، ص٧٠.

ـ سمعت رجلين من العرب عربيين يقولان: ... ج١، ص٢٣٠.

ـ وزعم أن من العرب، وقد سمعنا من بعضهم من يقول: ... ج١، ص٤٠٢.

ـ وقد سمعنا بعضهم يقول: ... ج٢، ص٧٣.

ـ وزعم الخليل رحمه الله أن سمع بعض العرب يقول: ... ج١، ص١٤٧، ٢٧٠، ٣١٧.

ـ سمعنا بعض العرب يقول: ... ج١، ص٢٢، ١٦٤.

ــ سمعناهم يقولون ... وبعض العرب يقول: ... وقد قالوا: ... كما قــالوا: ... ج١، ص١٧٦.

ــ ومن سماعه ما يشبه الحكاية والإخبار، من نحو قوله: وقد سمعنا من العرب مــن يقال له: (ذَهَبْنَا مضعَهُمْ)، فيقول: (مَعَ مِنِينَ)؟ وقد رأيته، فيقول: مناً، أو رأيت منــاً؟ ج١، ص٤٠٣.

ومثل ذلك قوله: حدثنا أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب وقيل له: لِمَ أفسدتم مكانكــم هذا؟ فقال: بأبي... ج١، ص١٢٩.

وربما روى عنهم قراءة بعض الآي من نحو قوله: وسمعنا بعض العرب قرأها فقــال: ﴿وَإِذاً لاَ يَلْبَثُوا﴾ [١١٦].

ولعل من المفيد الوقوف قليلاً عند هذه الرواية، لاتصالها بالقرآن الكريــم، وبيــان أن الباب كله يتعلق بأداة الجواب (إِذَنْ)، إعمالها وإهمالها وجواز الوجهين، كما يصنع بــ (حَسِبْتُ، وأَرَى) من إعمال و إلغاء أو جواز الوجهين، وقد صرح سيبويه بــأن هــذا الحرف في بعض المصاحف جاء بإعمال (إِذَنْ)[١١٧] وهذه قراءة أبي بن كعب، كمــا قرأها الحسن وعطاء وقتادة بتشديد الياء وإثبات النون[١١٨].

إن استخدام سيبويه للسماع شبيه باستخدام الباحثين في عصرنا لمصادر بحثــهم مــن مطبوع أو محفوظ أو نحوه، فلم أجده ينقل عن مصدر ــ كما نفعل اليوم ــ، ولم يذكر كتاباً فيحيل إليه، وإنما كانت البادية كتابه، ومنطق الأعراب وكلامهم مادته يتخير مــن لغاتهم، ويقيم على بعضها قاعدته، أو يقوي بذلك حجته، وكأنما أعطته اللغة زمامــها، فطاوعه السماع لبلوغ مراده في بناء الأحكام النحوية، في طور لم تقنن فــي قواعــد النحو، ولم ينضج الدرس النحوي بدرجة تجعل الباحث يكتفي بما دونه المشتغلون فــي هذا العلم، يضاف إلى ذلك الدقة المتناهية في ملاحظة الفصاحة بين قبائل العرب مــن جهة، واختيار الألفاظ المؤدية للوظيفة اللغوية التي يعالجها من جهة أخرى، فهو يسأل

شيوخه حينا، ويقوي رأيهم بما سمعه هو من بعض الثقات حينا، وقد يستغني بالنقل عن العرب أو عن بعضهم، وكأنما يقول لمن بعده بأن هناك درجات من التثبت في الرواية تمليها طبيعة الموضوع، وأن على الباحث، انتقاء الأصوب الموثوق، لتبنى عليه قواعد علم يبقى ما بقيت هذه الأمة، ولعل وقفة مع سيبويه في "باب الأفعال في القسم"(١١٩) تكون صالحة كمثال لأسلوب تعامله في تثبيت قواعد هذا العلم واختيار مادته من مصادرها، وتكشف منهجه وأسلوبه في التثبت والاستقصاء.

قد بدأ الباب بالتأكيد على أن "القسم تأكيد للكلام"، وانطلق بعد ذلك يبين أحكام القسم، ويسأل شيوخه، وينقل عن العرب، ويشمل بحثه في القسم بعض الآي، وبعض الشعر وأمثال العرب. فلام القسم تلزم الفعل غير المنفي الذي لم يقع، كما تلزم النون الثقيلة من نحو قولك: "واللهِ لأفْعَلَنَّ". وفي الأفعال معنى اليمين فالقائل يقول: "أُقسِمُ لأفْعَلَنَّ" أو "أَشْهَدُ لأفْعَلَنَّ، هذا في الفعل الذي لم يقع بعد، فاللام لازمة فيه كما ترى.

لكن إذا وقع الفعل وانتهى فأقسمت لم تزد على اللام شيئاً بل تقول: "واللهِ لَفَعَلْتُ".

ولما كان هذا الاستعمال ظاهر الندرة، قليل التداول، أيده سيبويه بقول: "سمعنا من العرب من يقول: (واللهِ لَكَذَبْتُ، واللهِ لَكَذَبَ) فالنون لا تدخل على فعل قد وقع"(١٢٠).

قال أبو سعيد: "لم تدخل النون لأن النون في غير القسم لا تدخل إلا على المستقبل دون الماضي والحال، وإذا دخلت في فعل القسم فهي أيضاً للمستقبل، فلم يجز دخولها فهي لم تكن تدخل عليه"(١٢١).

ثم إن الحلف على فعل منفي لا يلزم بتغيير في الفعل نحو قولك: "واللهِ لاَ أَفْعَلُ"، لكن سيبويه نقل عن العرب حذف (لا) في مثل هذا المثال وإرادة معناها، كأن يقول القائل: "واللهِ أَفْعَلُ ذَاكَ أبداً" على معنى "لا أَفْعَلُ..." واستشهد بقول الشاعر:

فَحَالِفْ فَلاَ واللهِ تَهْبِطُ تَلْعَةً   مِنَ الأَرْضِ إلاَّ أَنْتَ للذُّلِ عَارِفُ

حيث حذف (لا)، والذي قوى الحذف هنا ذكر (لا) في صدر البيت.

ولما كانت أشكال القسم متعددة، فقد كان على سيبويه أن يتعرض لها، فسأل أستاذه الخليل عن قولهم: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إلاَّ فَعَلْتَ، ولَمَّا فَعَلْتَ"، فبين له الخليل أن وجه الكلام هنا هو "لَتَفْعَلَنَّ". ثم سأله ثانية عن قولهم: "لَتَفْعَلَنَّ" إذا جاءت مبتدأة وليس قبلها ما يحلف به، فبين له أنها جاءت على نية اليمين.

ثم إن الفعل يجري مجراه السابق إذا أخبرت عن غيرك أنه حلف أو أكد على نفسه أو غيره، وذلك نحو قولك "أَقْسَمَ لَيَفْعَلَنَّ، وحَلَفَ لَيَفْعَلَنَّ، وأخذ عليه لا يَفْعَلُ ذاك أبداً" واستدل سيبويه على ذلك لقوله عز وجل: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾**[122]، فقوله سبحانه: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ﴾** هو في معنى القسم، و**﴿لا تَعْبُدُونَ﴾** جوابه، وهو في موضع نصب على الحال، أو أن تكون الجملة جواباً لقسم محذوف دل عليه قوله: "**﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أي استحلفناهم، والله لا يعبدون..." ووجه ثالث في إعرابه وهو تقدير (أنْ) المحذوفة وإضمار حرف الجر قبلها، والتقدير "بأن لا تعبدوا إلا الله" ونظيره كما قال الأخفش: (مُرْهُ يَحْفِرُهَا) وأصله (مُرْهُ بأن يَحفِرَها) لكنه حذف والحذف في هذا مطّرد[123] ثم سأله أسئلة أخرى تتصل بوجوه أخرى من أوجه الفعل في القسم، جلها تتعلق ببعض أي من القرآن الكريم.

لقد نقل سيبويه كثيراً[124] "عن العرب" وعن "بعضهم" أو "أن منهم من يقول: ... "أو أنه" كلام العرب "أو" هو قول العرب والخليل ويونس "ونحو ذلك، أو "أنهم يقولون:..." أو "أن ناساً من العرب يقولون" أو "أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون: ..."، وقد يطلق لفظ "وهو قول بعض العرب". وهو يعني رجلاً بعينه كشاعر مثلاً أو غير شاعر، مثلما فعل في باب الترخيم عندما قال: "وذلك قول بعض العرب وهو عنترة العبسي:

يَدْعُونَ عَنْتَرُ والرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ

جعلوا الاسم **عنتراً**، وجعلوا الراء حرف الإعراب "واستدل على هذه اللغة ـ كما يسميها بقول الأسود بن يعفر:

وَهَذَا رِدَائِي عِنْدَهُ يَسْتَعِيرُهُ لِيَسْلُبَنِي نَفْسِي أَمَالِ بْنَ حَنْظَلَ

وقال: "وذلك لأن الترخيم يجوز في الشعر في غير النداء..."(١٢٥).

فأنت ترى أنه بعد إنشاد أسند الضمير إلى جماعة وهم بلا شك "العرب" ثم قرر أن "بعض العرب" إذا رخموا قالوا: يا طَلْحُ، ويا عَنْتَرُ، وقال: "قولهم: يَدْعُونَ عَنْتَرُ بمنزلة (مَيَّ(١٢٦)، لأن ناساً من العرب يسمونه (عنتراً) في كل موضع"(١٢٧).

ولقد أخذت (**أمثال العرب**) مساحة واسعة من الاستدلال في الكتاب(١٢٨) ففي "باب ما ينتصب من الأماكن والوقت"(١٢٩) نقل ممن يوثق به من العرب قولهم: "هو حِلَّةَ الغَوْرِ" أي قَصْدَهُ، واستدل عليه بقول الشاعر:

سَرَى بَعْدَ مَا غَارَ الثُّرَيَّا وبَعْدَمَا كأنَّ الثُّرَيَّا حِلَّةَ الغَوْرِ مُنْخُلُ

ونقل عن العرب قولهم: "**هُوَ وَزْنَ الجَبَلِ**" أي ناحية منه وهذا ليس مثلاً ثم إنه نقل من الأمثال في الباب الذي فقال: "وذلك قول العرب، سمعنا منهم: "هُوَ مِنْكَ مَنْزِلَةَ الشِّغَافِ" و "هو مِنِّي مَنْزِلَةَ الوَلَدِ" و"هَوَ مِنِّي مَزْجَرَ الكَلْبِ" و"أَنْتَ مِنِّي مَقْعَدَ القَابِلَةِ" إذا دنا ولزق بك من بين يديك، و"هُوَ مِنْكَ مَنَاطَ الثريَّا" و:"هُوَ مِنِّي مَقْعِدَ الإزَار" ثم قول العرب" هُوَ مِنِّي دَرَجَ السَّيْلِ" ويقال: "رَجَعَ أَدْرَاجَهُ" وقول العرب أيضاً: "أَنْتَ مِنِّي مَرْأَى ومَسْمَعٌ"(١٣٠)، وسيبويه لايذكر القاعدة دون أن يربطها بشيء من أقوال العرب، فقد احتج لعمل (كَانَ) في مثل قولهم:

"مَنْ كَانَ أخاك" بقول العرب: "**مَا جَاءَتْ حَاجَتَكَ**"(١٣١)، قال أبو علي: (جاءت) بمعنى (صارت) في هذه الكلمة دون غيرها(١٣٢)، كما أن سيبويه نفسه يصرح بذلك لأنه

بمنزلة المثل، كما جعلوا (عسى) بمنزلة (كان) في قولهم: "عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا"[١٣٣]، لأن لها في القول حالاً لا تكون في سائر الأشياء[١٣٤].

نقل عن العرب حروفاً في الأصوات كإخلاصهم الطاء تاء في نحو (حُطْتُهُمْ) إذ قالوا: (حُتُّهُمْ)، (٤١٨/٢)، ونقل عنهم إلقاءهم على الساكن الذي قبل الهمزة حركة الهمزة كما تفعل تميم وأسد في تبيين الهمزة كما في قولهم: هو الوَثُوْ، ومن الوَثِيْ، ورأيت الوَثَأ (٢٨٥/٢)، ومذاهبهم عند التقاء الهمزتين تخفيفاً وتحقيقاً في نحو قوله عز وجل ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [١٣٥] أو قوله سبحانه: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [١٣٦] ونحوهما (١٦٧/٢)، أوقولهم: ضَرَبْتُهْ، وقَدُهْ، ومِنُهْ، وعَنُهْ ونحو ذلك (٢٨٧/٢)، أو مذاهبهم في الإمالة أو الادغام أو سواهما من الظاهر اللغوية ككسر أوائل الأفعال المضارعة عند جميع العرب إلا أهل الحجاز (٢٥٦/٢)، وكقول بني تميم: "مَحُّمْ" وهم يريدون (مَعَهُمْ) و(مَحَّاؤلاَءِ) وهم يريدون (مع هؤلاء) (٤١٣/٢)، واستعمالهم بعض الحروف في الجواب مكان أخرى كاستعمالهم (إنَّهْ) وهم يريدون (إنَّ) ومعناها (أَجَلْ) مستدلاً بقول الشاعر:

ج٢، ص٢٧٩، ج١، ص٤٧٤:

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلاَ ... كَ، وَقَدْ كَبِرْتَ، فقُلْتُ إنَّهْ

ونقله تفسيرات الخليل لبعض أقوال العرب ويونس في بعض الحروف (١٥٥/٢) أو الموازنة بين أقوال العرب وما يراه الخليل أو غيره، (٣/٢، ١٥٥/٢، ١١٢)، ولم يغفل مذهب العرب في تسمية المرأة بما يشعر بلفظ التذكير، وعكسه يسمون به الرجل، فقالوا للمرأة (جُلْهُمٌ)، وللرجل (جُلْهُمَةٌ) واستدل بقول الأسود بن يعفر:

أَوْدَى ابنُ جُلْهُمَ عَبَّادٌ بصِيرمَتِهِ ... إنَّ ابْنَ جُلْهُمَ أمسَى حَيَّةَ الوَادي[١٣٧]

وأعطى اهتماماً خاصاً للتفريق بين لغة أهل الحجاز ولغة بني تميم ولحظ توجه الحجاز إلى النصب فيما ترفعه بنو تميم كما في باب الاستثناء المنقطع[١٣٨]، كذلك

اختلافهم في الاستفهام بمن عن الاسم العلم حيث قال: "اعلم أن أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجلُ: (رَأَيْتُ زيداً) (مَنْ زَيْداً؟)، وإذا قال: (مَرَرْتُ بزيدٍ)، قالوا: (مَنْ زَيْدٍ؟) وإذا قال: (هَذَا زَيْدٌ)، قالوا: (مَنْ زَيْدٌ؟)، وأمَّا بنو تميم فيرفعون على كان حال وهو أقيس القولين"[١٣٩]، بل إنه لم يغفل حكاية ما سمعه مما يدور بين الأعراب، إذ قال مرة: "سمعت أعرابياً مرة وسأله رجلٌ فقال: (أَلَيْسَ قُرَشِياً؟)، فقال: (لَيْسَ بقُرَشِيًّا)، حكاية لقوله"[١٤٠]، وقبل هذه الحكاية روى أن بعض العرب قال: (دَعْنَا مِنْ تَمْرَتَانِ) على الحكاية لقوله: (ما عِنْدَهُ تَمْرَتَانِ)"[١٤١].

وقال: "وسمعنا رجلاً من أهل البادية، قيل له: أتخرج إن أَخْصَبَت البادية؟، فقال: أَنَا إنِيْه؟! منكراً لرأيه أن يمون على خلاف أن يخرج" [١٤٢].

وبعد: فهذه وقفة عجلى مع "أقوال العرب" في الكتاب، لا أزعم أني وقفت عندها وقفة المتأني، لاستخراج ما رامه سيبويه منها، بقدر ما أثرت من استفهامات، ونبهت إلى أن كتاب سيبويه سيظل ــ بالرغم من كثرة الدراسات التي دارت حوله ــ منبعاً ثراً ينهل منه الدارسون، يستخرجون نفائسه، دون أن ينضب معينه، ويكفي أن نرى فيه انتقال الدرس النحوي من دائرة محدودة المساحة إلى لغة العرب جميعها، يدرس نثرها ونظمها، ويوازن بين لغات قبائلها، ويعالج خصائص تلك اللغات، وظواهرها الصوتية والإعرابية، بل ليس من المبالغة أن نقول: إن كتاب سيبويه سيظل محور كل دراسة جادة تتناول تراث هذه الأمة، لأن فيه صدق الرواية وسلامة العبارة، ودقة الملاحظة، وصحة الاستقراء، وفيه الشمول لأطراف هذا الفن، ورحم الله المازني إذ قال: "من أراد أن يؤلف كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"، ويرحم الله المبرد وهو يقول لمن جاءه لقراءة كتاب سيبويه: هل ركبت البحر؟ استعظاماً لما في الكتاب، رحم الله سيبويه، ويرحم الله عبداً قال آمينا.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم؛

الإحالات

1. هو الدكتور عبد العال سالم مكرم، حيث ألف كتابا بعنوان "**الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي**" وصدر عن المؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع بالكويت عام ١٩٧٧م.

2. انظر على سبيل المثال: صباح عباس سالم: **عيسى بن عمر الثقفي**، نحوه من خلال قراءته، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ. وناصف، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، أحمد مكي الأنصاري، **يونس البصري ـ حياته وآثاره ومذاهبه** ـ مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

3. انظر: ت ـ دي ـ بور، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الرابعة، لجنة التأليف والترجمة، ص٥٥.

4. ابن النديم، محمد، **الفهرست**، نشرة قوستاف فلوغل، ليبرغ ١٨٧١م، ص٥١، وقد روى الوزير جمال الدين أبي الحسن، علي بن يوسف القفطي في كتابه "**إنباه الرواة على أنباه النحاة**" هذا الخبر عقب قوله: "أخذ شيئا من النحو عن عيسى بن عمر الثقفي وعن يونس، وأخذ عن غيرهما، وأخذ اللغة عن أبي الخطاب الأخفش الكبيرة وغيره، وعمل كتاب المنسوب إليه في النحو، وهو مما لم يسبقه إليه أحد. وقد قيل إنه أخذ كتاب عيسى بن عمر المسمى "بالجامع" وبسطه وحشى عليه من

كلام الخليل وغيره، وأنه كان كتابه الذي اشتغل بـــه، فلمـــا اســـتكمل بـــالبحث والتحشية نسب إليه ..." ج٢، ص٤٣٦ ــ ٣٤٧.

٥. انظر: على النجدي ناصف، **سيبويه إمام النحاة**، عـــالم الكتـــب، المطبعـــة العثمانية بالدراسة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١٣٤ ــ١٣٥.

٦. المصدر السابق، ص ١٣٦ ــ ١٣٧.

٧. انظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عيد الله: أخبار النحويين البصرييـــن، اعتنى بنشره وتهذيبه: فريتس كرنكو، نشرات معهد المباحث الشرقية بـــالجزائر، خزانة الكتب العربية، ١٩٣٦م، ص٣١، ٤٠.

٨. سورة الإخلاص، الآية: ٤.

٩. سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، **الكتاب**، المطبعة الأميرية، بولاق، مصـــر ١٣١٦هـ، ج١، ص٢٧.

١٠. ابن خالويه، الحسين بن أحمد: **مختصر في شواذ القرآن، من كتاب البديـــع**، عني بنشره: ج ــ برجشتراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٣٤م، ص١٨٧.

١١. سورة يوسف، الآية: ٣١.

١٢. سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج١، ص٢٨.

١٣. المصدر السابق، ج١، ص٢٨ ــ ٢٩.

١٤. سورة يس، الآية: ١٥.

١٥. سيبويه، الكتاب، ج١، ص١٢٤.

١٦. السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المزربان، **شرح كتاب سيبويه**، ج٣، ق٧٥(صنعاء).

١٧. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: يعقوب عبد النبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، ج١٤، ص١٦٢.

١٨. سورة محمد، الآية: ٤.

١٩. سيبويه، الكتاب، ج١، ص١٢٥. قالوا ذو الأصبع العدواني:

عَذيرَ الحيِّ مِنْ عَدْوَا ... نَ، كانوا حيَّةَ الأرْضِ

بَغَى بعضٌ علَى بعضٍ ... فلم يَرْعَوا علَى بَعْضِ

وقال عمرو بن معدي كرب:

أريدُ حَبَاءهُ ويُريدُ قَتْلي ... عَذيرَكَ مِنْ خَليلَكَ مِن مُراد

فقوله (عذير) في البيتين منصوب، وضع الفعل، ومذهب سيبويه أنه مصدر بمعنى (العذر)... انظر الكتاب، ج١، ص١٣٩، وانظر السيرافي، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد: **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق الدكتور محمد الريح هاشم، مطبعة الفجالة الجديدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج١، ص١٩٥ـ١٩٧. وانظر أيضاً: النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد، **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٩٠ـ ٩١.

٢٠. المبرد أو العباس، محمد بن يزيد: **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضمية، عالم الكتب، بيروت بلبنان، بلا تاريخ، ج٣، ص٢٠٩.

٢١. سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص١٣٦.

٢٢. المصدر السابق، ج١، ص١٤٨.

٢٣. المصدر السابق، ج١، ص١٤٧.

٢٤. المصدر السابق، ج٢، ص٤٨.

٢٥. المصدر السابق، ج٢، ص٨٨.

٢٦. المصدر السابق، ج١، ص٤٠٤.

٢٧. المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٩.

٢٨. يكثر الحذف في الأمثال، لأن الأصل فيها أن يتكلم إنسان بحضرة قوم وفي كلامه من الألفاظ ما يستطرفه بعضهم، فيعيد اللفظ المستطرف، وربما أعاد جملة الكلام، وربما كان على سبب لا يعيده ولا يذكره، ولايتم ... انظر: السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٣، ق٩١.

٢٩. سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص١٢٩.

٣٠. السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٣، ق٧٩، وانظر المثل في: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر المستقصي ج١، ص٢٧٢، ج١، ص٣٤٢، والميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٨م، ج٢، ص٨٤.

٣١. سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص٥٥، ومعناه: "لاأفعله أبدا".

٣٢. الرماني، علي بن عيسى، شرح كتاب سيبويه، ج٢، ق٣٠٦.

٣٣. السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٧، ق١٢٣.

٣٤. سيبويه، الكتاب، ج١، ص١٥٩، وانظر المثل وقصته في: الميدان، أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٨م، ج، ص٤٣٩.

٣٥. سيبويه، الكتاب، ج١، ص٤٦٣.

٣٦. المصدر السابق، ج١، ص٣٧.

٣٧. المصدر السابق، ج١، ص٤٧٦.

٣٨. المصدر السابق، ج١، ص١٥٢، وانظر ص٢٧٠ من المصدر نفسه.

٣٩. السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج٤، ق١١١.

٤٠. سورة الشورى، الآية: ٥١.

٤١. ابن مجاهد، أبو بكر، أحمد بن موسى: **كتاب السبعة في القراءات**، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف بالقاهرة، ١٤٠٠هـ، ص٥٨٢.

٤٢. سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٤٢٩.

٤٣. يقول ابن الجزري:

فكل ما وافق وجه نحو	**وكان للرسم احتمالا يحوي**
وصح إسنادا هو القرآن	**فهذه الثلاثة الأركان**

انظر: ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف: **طيبة النشر في القراءات العشر**: بمراجعة وتحقيق الشيخ علي محمد الضباع، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص٣.

٤٤. السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج٦، ق١٠٤، وانظر أيضا: المبرد، المقتضب، ج٢، ص٣٤.

٤٥. انظر سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص١١٩. وانظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر (ضرب) ج١، ص٥٦٤.

٤٦. انظر سيبويه، الكتاب، ج١، ص١٣٨. وهناك أقوال أخرى من نحو قولهم: "إما لا" والمعنى: افعل هذا إن كنت لا تفعل غيره، ولكنهم حذفوا ذا لكثرة استعمالهم إياه، وتصرفوا حتى استغنوا عنه بهذا.

المصدر نفسه ص١٤٨، وقولهم: "من كذب كان شرا له" يريد: كان الكذب شرا له" نفسه ص٣٩٥.

٤٧. المصدر نفسه، ج١، ص١٢٤.

٤٨. المصدر نفسه، ج١، ص١٠٩.

٤٩. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٨، وانظر النحاس، **شرح أبيات سيبويه**، ص١٨٦.

٥٠. سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٣٧٠ــ ٣٧١، وانظر تفصيل المسألة في السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٢، ق٦٩٠، والرماني، **شرح كتاب سيبويه**، ج٣، ق٣٧.

٥١. الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد: **التعليقة على كتاب سيبويه**، تحقيق وتعليق: عوض بن حمد القوزي، مطبعة دار المعارف بالقاهرة، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٦٤.

٥٢. سيبويه، الكتاب، ج١، ص٣٥٢.

٥٣. ابن جني، الفتح عثمان بن جني: **الخصائص**، حققه محمد النجار، دار الـــهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ج١، ص١١٧، قال ابـــن جنـــي "وإن شذ الشيء في الاستعمال، وقوي في القياس كان استعمال ما كثر استعماله"، وقال: "واعلم أنك إذا أداك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيـــه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه". المصدر نفســـه، ص١٢٤، ١٢٥.

٥٤. عضيمة، محمد عبد الخالق: **فهارس كتاب سيبويه**، مطبعة السعادة، الطبعـــة الأولى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص٣٥ـ٤١.

٥٥. الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن: **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م، ص٦٧.

٥٦. السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله: **أخبار النحويين البصريـــين** اعتنـــى بنشره، فريتس كرنكور، نشر معهد المباحث الشرقية بـــالجزائر خزانـــة الكتـــب العربية، ١٩٣٦م، ص٤٨.

٥٧. الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد: **نزهة الألباء فـــي طبقات الأدباء**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار النهضة بمصر، القـــاهرة، مطبعة المدني ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، ص١٢٦ـ١٢٧.

٥٨. ناصف، علي النجدي، **سيبويه إمام النحاة**، ص٩٦ـ٩٧، وانظر: الســيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة**، نشر دار المعرفة ببيروت، لبنان، ص٢٥٤ـ٢٥٥.

٥٩. ناصف، **سيبويه إمام النحاة**، ص٩٧، وانظر هذه الأمثلـــة فـــي سيبـــويه، الكتاب، ج١، ص١٢٥، ٤٧٥، ج٢، ص٤٢٣.

٦٠. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص٥٢.

٦١. سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٦٩، ٢٨٣.

٦٢. الذبياني، النابغة، **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص١٢٧، والبيتان من قصيدة غير مقيدة والياء ثابتة في قوافيها، وقد استشهد سيبويه ببيت آخر من القصيدة نفسها ولم يقيّد القافية، لأنه ليس موضع الاستشهاد، انظر **الكتاب**، ج١، ص٣٧٥، وانظر: الأنصاري، أبو زيد: **كتاب النوادر في اللغة**، تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبد القادر أحمد، دار الشرق، الطبعة الأولى ١٩٨١م، ص٥٣٥.

٦٣. سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٢٩٠، وانظر: النحاس، **شرح أبيات سيبويه**، ص١٨٨.

٦٤. سورة الفجر، الآيتان: ١٥، ١٦.

٦٥. ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص٦٨٤.

٦٦. المصدر نفسه ص٦٨٥.

٦٧. الزجاج، أبو اسحاق ابراهيم بن السري: **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٥، ص٣٢٢ـ٣٢٣.

٦٨. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد: **التيسير في القراءات السبع**، عني بتصحيحه: أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص٢٢٣.

٦٩. سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص١٦٧.

٧٠. سورة مريم، الآية: ٧.

٧١. البنا، أحمد بن عبد الغني الدمياطي: **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر**، رواه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ، ص٢٩٧.

٧٢. سورة هود، الآية ٧٢.

٧٣. البنا، **إتحاف فضلاء البشر**، ص٢٥٩.

٧٤. سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص١٦٧.

٧٥. السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٨، ق١٢٤.

٧٦. سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص١٤٧.

٧٧. المصدر نفسه.

٧٨. السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٨، ق١٠٦.

٧٩. المبرد: **المقتضب**، ج١، ص٢٢٨.

٨٠. المصدر نفسه، ج١، ص٩٠.

٨١. المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٠.

٨٢. الفارسي، **التعليقة على كتاب سيبويه**، ج٤، ص١١.

٨٣. انظر: سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص١٤٧، ٢٦٩.

٨٤. المصدر السابق، ج١، ص٣٧٩.

٨٥. السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٢، ق٢٠٣.

٨٦. سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

٨٧. السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٢، ص٢ ق٢٠٣.

٨٨. سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٣٧٩.

٨٩. سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

٩٠. قرأ نافع وحده (خالصة) رفعا، وقرأ الباقون (خالصة) نصبا. انظر ابن المجاهد، **السبعة في القراءات**، ص٢٠٨.

٩١. سيبويه، الكتاب، ج١، ص٢٦١ ـ ٢٦٣، وانظر الفارسي، **التعليقة على كتاب سيبويه**، ج١، ص٢٦٦ ـ ٢٦٧.

٩٢. انظر النحاس، **شرح أبيات سيبويه**، ص١٢١، ثم انظر السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٢، ص٢، ق٩٣.

٩٣. سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٢٧٢.

٩٤. المصدر نفسه.

٩٥. سورة المعارج، الآيتان: ١٥، ١٦.

٩٦. سورة هود، الآية: ٧٢.

٩٧. قرأ حفص عن عاصم (نزاعة) نصبا، وقرأ الباقون وأبو بكر بن عاصم (نزاعة) رفعا، انظر: ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص٦٥٠ ـ ٦٥١. وقرئ (شيخ) بالرفع خبرا بعد خبر، والجمهور (شيخاً) على الحال. انظر البنا،

إتحاف فضلاء البشر، ص٢٥٩، ورفع (شيخ) قراءة شاذة عزيت في الكتاب ج١، ص٢٥٨، إلى ابن مسعود، كما أسندها إليه ابن خالويه في شواذ القراءات ص٦٠، وأسندت إلى الأعمش في المحتسب ج١، ص٣٢٤ ــ ٣٢٥، وإليهما أسندت في إعراب القرآن للنحاس، ج٢، ص٢٩٣ ــ ٢٩٤، والبحر المحيط، ج٥، ص٢٤٤.

٩٨. سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٢٥٨ ــ ٢٥٩.

٩٩. السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٢، ق٩١.

١٠٠. سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص١٥٥ ــ ١٥٦.

١٠١. نفسه.

١٠٢. نفسه، وقَيْسٌ: هي القبيلة.

١٠٣. هناك دراسة عن "الوقف في كتاب سيبويه" للدارس جواد حمد الدخيل، نال بها درجة الماجستير في الآداب من قسم اللغة العربية بكلية الآداب ــ جامعة الملك سعود ــ عام ١٤١٠هـ/الموافق ١٩٩٠م وكان لي جهد المشاركة في الإشراف على هذه الدراسة. وانظر: الجندي، أحمد علم الدين: **اللهجات العربية في التراث**، الدار العربية للكتاب ليبيا، ١٩٨٣م، ج٢، ص٤٧٩ ــ ٥٢٤.

١٠٤. سيبويه ، **الكتاب**، ج٢، ص٢٨١.

١٠٥. المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٢.

١٠٦. المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٢ ــ ٢٨٣.

١٠٧. انظر: سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص٢٧٧ ــ ٢٨٠، وانظر ج١، ص١٣٣، حيث نقل عن الثقة قوله: (يا حَرمَلْ) وهو يريد (يا حرملةْ)، كما قال بعضهم: (ارمْ) يقفون عليها بغير هاء.

١٠٨. سورة القارعة، الآية: ١٠.

١٠٩. الأصبهاني، أبو بكر بن الحسين بن مهران: **المبسوط في القراءات العشر** تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دار القبيلة للثقافة الإسلامية بجدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هــ/١٩٨٨م، ص٤١٥، وابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص٦٥٩.

١١٠. سورة الحاقة، الآيتان ٢٨، ٢٩.

١١١. سورة الحاقة، الآيتان ١٦، ٢٠.

١١٢. الأصبهاني، **المبسوط في القراءات العشر**، ص٣٧٩ ــ ٣٨٠، ص١٣٣ــ١٣٤.

١١٣. سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

١١٤. سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

١١٥. الأصبهاني، **المبسوط في القراءات العشر**، ص١٣٣.

١١٦. سورة الإسراء، الآية ٧٦، والرواية في الكتاب ج١، ص٤١١.

١١٧. سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٤١١.

١١٨. ابن خالوية، أبلو عبدالله الحسين بن أحمد: **مختصر من شواذ القرآن من كتاب البديع**، عني بنشره: ج. برجشتر اسر، مكتبة المتنبي بالقاهرة، بلا تاريخ، ص٧٧.

١١٩. سيبويه ، **الكتاب**، ج١، ص٤٥٤ــ٤٥٦.

١٢٠. المصدر نفسه.

١٢١. السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ج٧، ق٤.

١٢٢. سورة البقرة، الآية ٨٣.

١٢٣. انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف: **تفسير البحر المتوسط**، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١، ص٢٨٢ــ٢٨٣، وقد ذكر ثمانية وجوه للإعراب في هذا الفعل.

١٢٤. لقد أحصيت من "أقوال العرب في الكتاب" ما يربو على خمسمائة نص، بين منظوم ومنثور.

١٢٥. سيبويه ، **الكتاب**، ج١، ص٣٢٣ــ٣٣٣.

١٢٦. أي يقال لها (مَيّ) كما يقال لها (مَيَّة).

١٢٧. سيبويه ، **الكتاب**، ج١، ص٣٣٣.

١٢٨. أحصي بعضها المرحوم محمد عبد الخالق عضيمة، ولا أظنه تقصاها، لأن ما لم يذكر أضعاف ما ذكره. انظر عضيمة، **فهارس كتاب سيبويه**، ص٨٩٣ــ٨٩٥.

١٢٩. سيبويه ، **الكتاب**، ج١، ص٢١٠.

١٣٠. المصدر السابق، ج١، ص٢٠٤ــ٢٠٧.

١٣١. المصدر السابق، ج١، ص٢٤.

١٣٢. الفارسي، **التعليقة على كتاب سيبويه**، ج١، ص٨٢.

١٣٣. سيبويه ، **الكتاب**، ج١، ص٢٤.

١٣٤. المصدر السابق، ج١، ص٧٩، وانظر: المبرد، **المقتضب**، ج١، ص٧٠ــ٧٢.

١٣٥. سورة محمد، الآية ١٨.

١٣٦. سورة مريم، الآية ٧.

١٣٧. سيبويه ، **الكتاب**، ج١، ص٣٤٤.

١٣٨. المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥.

١٣٩. المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٣، وانظر توجيه المذهبين في: المبرد، **المقتضب**، ج٢، ص٣٠٩، ابن السراج، **الأصول**، ج٢، ص٣٩٥، الفارسي، **التعليقـــة**، ج٢، ص١١٦ــ١١٧.

١٤٠. سيبويه ، **الكتاب**، ج١، ص٤٠٣.

١٤١. المصدر نفسه.

١٤٢. المصدر السابق، ج١، ص٤٠٦، وانظر مثل ذلك فـــي ج١، ص١٦٥، ١٤٧، ٣٩٩، ٤٠٢.

تاريخ ورود البحث إلى جامعة دمشق ١٩٩٨/٥/٢٤

حفرية مغارة. مزار. الولي

والأهمية الدينية لمنطقة مؤتة خلال العصور الإسلامية الوسيطة

د. جمعة محمود كريم
قسم الآثار ــ كلية الآداب
جامعة مؤتة ــ الأردن

الملخص

تعود أهمية هذا البحث الأثري إلى عدم وجود عمل ميداني أثري سابق موجه للكشف، والتوثيق، والمحافظة على الآثار الإسلامية في محافظة الكرك.

دلت الحفريات الأثرية في موقع مغارة الولي على أن هذا الموقع يمثل أحد المزارات الإسلامية والتي تعود للفترة المملوكية. وقد عنيت الدول الإسلامية كالفاطمية والأيوبية والمملوكية بمزارات مؤتة، والمزار تخليداً لذكرى معركة مؤتة وأهمية من استشهد فيها.

وبناءً على المعطيات التاريخية والأثرية فقد شهدت نيابة الكرك والشوبك عناية السلطان الناصر محمد بن قلاوون (الفترة الثالثة من حكمه ١٣١٠ ــ ١٣٤٠م) فانتشر العمران الديني، وخاصة في مؤتة والمزار، وعليه يرجح أن إنشاء هذا المزار يعود للنصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي.

تقع مغارة مزار الولي (١) على بُعد ١,٥ كم للجنوب الشرقي من بلدة مؤتة، و٢ كم للجنوب الشرقي من بلدة المزار الجنوبي، و٦٢٠ م للجنوب من جامعة مؤتة / الجناح العسكري. كما يقع هذا الموقع الأثري على أدنى سفح تلة تُشرف على جامعة مؤتة، وعلى السهول المنبسطة الواقعة بين القرى التالية: مؤتة، والمشيرفة، ومرود، والعدنانية (محنا). ويتبع هذه الموقع الأثري الإسلامي، أملاك وزارة الأوقاف الأردنية، وبمساحة مجاورة تُقدر بخمسة دنمات، ويرتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار ١١٤١.٧٠ م.

انطلاقا من أهداف جامعة مؤتة بخدمة المجتمع المحلي، وإبراز التراث الحضاري الإسلامي في المنطقة، والمحافظة علية، قام فريق من طلبة قسم الآثار في جامعة مؤتة، بالتعاون مع دائرة الآثار العامة (٢)، وإشراف كاتب هذا المقال، بإجراء الموسم الأول للحفريات الأثرية في موقع مغارة الولي في المدة الواقعة بين ٨/٢٤، ولغاية ١٩٩٦/٩/١٧ م. ونأمل أن يستمر هذا التعاون المثمر بين جامعة مؤتة، ودائرة الآثار العامة، للكشف والمحافظة على بقية المخلفات الحضارية العائدة للفترات الإسلامية، التي خلدت ذكرى معركة مؤتة في المنطقة.

وفي ظل غياب اللوحة التأسيسية لهذه المنشأة الدينية الإسلامية، كان لا بد من الرجوع للمصادر التاريخية والدراسات المقارنة، لعلها تساهم في إلقاء الضوء على الأهميتين التاريخية والدينية لمنطقة العمل الميداني.

تشير المصادر التاريخية الأولية (٣) أن الرسول، صلى الله عليه وسلم أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى – الحارث بن أبي شمر الغساني – ولما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، ولما عرف مراده ضرب عنقه، ولما علم الرسول، صلى الله عليه وسلم، بذلك بعث بعثة إلى مؤتة في ثلاثة آلاف مقاتل، وأمر على الناس زيد بن حارثة، فان أصيب فجعفر بن أبي

طالب، فإن أُصيب فعبد الله بن رواحة، فإن أُصيب فيتربص المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم. وانطلق الجيش الإسلامي قاصداً أرض مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة / أيلول ٦٢٩م. ونزل الجيش الإسلامي معان ليلتين يفكرون في أمرهم، حينما وصلتهم أخبار هرقل، الذي نزل متواب في مائة ألف من الروم، وعدد يماثله من القبائل العربية لخم، وجذام، وبهراء، والقين، وبلي المتحالفة مع الروم. واستقر رأي قادة الجيش الإسلامي على المضي قدماً لملاقاة أعدائهم، ووجد المسلمون هرقل وأعوانه يعسكرون عند "مشارف" (تسمى حاليا المشيرفة وتبعد ٣ كم للشمال من موقع جامعة مؤتة) وعندها انحاز المسلمون إلى مؤتة، ودارت معركة غير متكافئة من حيث العدد والعدة بين الطرفين في سهل مؤتة، وقتل فيها قادة الجيش الإسلامي الثلاثة، زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهم. ثم اتفق المسلمون على قيادة خالد بن الوليد فتسلم اللواء وقاتل المشركين حتى هزمهم ثم انحاز بجيشه عائداً إلى المدينة.

يبدو أن انسحاب الجيش الإسلامي من أرض المعركة، ومقتل قادته الثلاثة، فُهم من قبل الإمبراطور البيزنطي هرقل وأعوانه من القبائل العربية، على أنه انتصار حقيقي على الجيش الإسلامي،ولكن، في الحقيقة، تعتبر معركة مؤتة البداية الحقيقية لفتح بلاد الشام عامة (٤)، حيث إنها جرت في منطقة التواجد الحقيقي للقوات البيزنطية وحلفائها من القبائل العربية الكبيرة، تلك المنطقة التي يمكن تتبع حدها الجنوبي أثرياً بخط وادي الحسا(٥).

دلت المسوحات الأثرية المُنظمة واللقى الأثرية السطحية (خاصةً شواهد القبور) على استيطان بيزنطي كثيف في بلدة مؤتة (٦)، ولكن لم تظهر حتى الآن حفريات أثرية موسعة ومنظمة في القرى المُشرفة على سهل مؤتة (المشيرفة، ومؤتة، ومرود، والعدنانية (محنا)، والمزار)(٧) لإثبات استمرارية استيطان هذه المنطقة في العصريين الأموي والعباسي.

زيارات الرحالة الأوروبيين لمنطقة البحث:

زار جنوب الأردن عدد من الرحالة الأوروبيين، وذلك منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وقد سجل هؤلاء الرحالة ملاحظاتهم التي تعنى بالبقايا الأثرية الظاهرة على السطح، والثروات الاقتصادية، والطبيعية، والحضارية. كما سجلوا أماكن الاستيطان ونوعيته، والتعداد السكاني على درجة التقريب.

وقد مرّ عبر منطقة البحث (مؤتة والمزار الجنوبي) كل من سيتزن (Seetzen ,U.)(٨)، وبيركهاردت (Burckhardt ,5.)(٩)، واربي ومانجلز (Irby, C. and Magles, J.)(١٠)، وماوس وسوفير (Mauss, C. And Sauvaire)(١١)، وكلين (Klein, F.)(١٢)، وترسترام (Tristram, H.)(١٣)، وهورنشتاين (Hornstein, A.)(١٤)، وبرونوودوماسفسكي (Brunnow, R. And von Demaszewski, A.)(١٥)، وموزيل (sil,) (A.)(١٦) وسوفنياك (Savignac, M.)(١٧). ولكنهم جميعا لم يسجلوا أو يلمحوا إلى موقع مغارة ـ مزار ـ الولي. في حين أن البعض منهم (١٨) وصل ووصف مشهد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، والذي لا يبعد عن موقع مغارة مزار ـ الولي اكثر من ٦٢٠ متراً باتجاه الشمال. كما إن بعض هؤلاء الرحالة الأوروبيين (١٩) زار مقام جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، الواقع في بلدة المزار الجنوبي، ووصفه.

ويبدو أن عدم ذكر موقع مغارة ـ مزار ـ الولي من قبل الرحالة الأوروبيين، بالرغم من زيارة بعضهم لمشهد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، الواقع في مؤتة، ومقامه المنشأ في بلدة المزار الجنوبي، راجع إلى صِغَر حجم موقعنا هذا، وتهدمه وقت زيارتهم للمنطقة، في القرن التاسع عشر وبداية

القرن العشرين، وعلاوة على ذلك، فقد، خرجت المعالم الأثرية ذات الطابع الإسلامي عن اهتمامات الرحالة الأوروبيين.

الأعمال الأثرية السابقة في منطقة البحث:

أجرى نلسون جلوك (.Gluck, N) مسوحات أثرية مبكرة في منطقة شرق الأردن، تعتبر الأولى من نوعها في المنطقة، وذلك خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٣٩ ــ ١٩٤٠، وأعوام ١٩٤٢ ــ ١٩٤٧ م. اهتمّ نلسون جلوك بتسجيل ودراسة المواقع الأثرية الكبيرة الحجم، وخاصة تلك التي تعود لفترات زمنية مبكرة ــ كان أهمها فترة العصر الحديدي ــ في حين أهمل غالباً المواقع الأثرية التي تعود للفترات الإسلامية. وقد أشار إلى المخلفات الحضارية التي تعود للفترات الإسلامية في مواقع أثرية استوطنت في الفترات السابقة بمصطلح العصور الوسطى (Medieval)، وهو مصطلح ينطبق على التسلسل التاريخي للعصور الوسطى في أوروبا. كما اهتم نلسون جلوك بتسجيل المواقع الأثرية، التي اعتقد أن لها علاقة بالأسماء التوراتية، أو تحمل على سطحها مخلفات حضارية تعود للعصر الحديدي، ولذلك نراه يمر عبر بلدة مؤتة ويصفها بأنها قرية حديثة (٢٠) دون الاهتمام بتسجيلها ووصفها أو تسجيل وتاريخ القطع الأثرية المتناثرة على سطح موقعها، ومما يؤكد هذه الرواية، أن كانوفا (.Canova, R) (٢١) تمكنت في بداية النصف الثاني من القرن العشرين من جمع واحد وعشرين شاهداً قبرياً من بلدة مؤتة، أُرخت ما بين القرن الخامس ونهاية القرن السادس الميلادي. كما تمكن قسم الآثار في جامعة مؤتة، وبالتعاون مع سكان بلدة مؤتة، من جمع ثمانية شواهد أخرى تعود للقرن السادس الميلادي (٢٢). كما يشرف الزميل الدكتور طالب الصمادي ممثلا عن قسم الآثار في جامعة مؤتة، والسيد حاكم المحاميد مفتش آثار الكرك ممثلا عن دائرة الآثار العامة، على حفرية إنقاذية لمقبرة جماعية تعود للعصر

البيزنطي في بلدة مؤتة. وقد تم الكشف حتى الآن عن شواهد قبرية وقطع نقدية وآنية زجاجية وفخارية. يأمل الباحثان الوصول إلى نتائج هامة توضح التاريخ الحضاري لبلدة مؤتة ومكانتها في نهاية العصور الكلاسيكية (٢٣).

يعد المسح الأثري الذي قام به ماكسويل ميلر (Maxwell, M.) ورفاقه في أعوام ١٩٧٨، ١٩٧٩، ١٩٨٢ م، العمل الميداني الأثري الأشمل والأحدث لأرض الكرك، تلك المنطقة التي حددت ما بين وادي الموجب شمالا ووادي الحسا جنوبا وقد تمكن هذا الفريق من تسجيل ٤٤٣ موقعا اثريا في منطقة المسح، غطت جميع فترات ما قبل التاريخ، والفترات التاريخية. ومن ضمن المواقع الأثرية المسجلة في منطقة مؤتة، كان موقع مغارة ــ مزار ــ الولي. ويبدو أن ماكسويل ميلر ورفاقه لم يتمكنوا من التعرف على اسم هذا الموقع، ولذلك سجلوه تحت الرقم ٣٠٨، وعلى ذلك يعتبر ميلر ورفاقه أول من سجل ووثق هذا الموقع الأثري. وقد الحق ميلر صورة فوتوغرافية لهذا الموقع الأثري الإسلامي في كتابه: Archaeological Survey of the Karak Plateau

ووصف هذا الموقع الأثري على أنه مسجد صغير، وقد بنيت جدرانه من الحجارة، ويصل سمك هذه الجدران إلى متر واحد، وما زالت ترتفع ما بين ثلاثة وخمسة مداميك. واعتقد ميلر ورفاقه أن سبب بناء هذا المسجد في هذا المكان له علاقة تذكارية بمعركة مؤتة. أما القطع الفخارية التي التقطها فريق المسح الأثري من سطح الموقع، فيعود تاريخها للعصور التالية: المرحلة الأولى من العصر البرونزي المبكر، والعصر النبطي، والعصر البيزنطي، والعصر الأيوبي/المملوكي(٢٤).

دوافع العمل الميداني في موقع مغارة. مزار. الولي:

من الأسباب التي دفعت الباحث للبحث الأثري في المنطقة المحيطة بجامعة مؤتة بشكل عام، وفي موقع مغارة ــ مزار ــ الولي بشكل خاص، ما يلي:

١- إن اختيار اسم وموقع جامعة مؤتة له علاقة مباشرة مع حدث تاريخي هام، وهو معركة مؤتة، التي جرت أحداثها في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة (أيلول عام ٦٢٩ م) بين جيش المسلمين من جهة والجيش البيزنطي، وأحلافهم العرب من قبائل لخم وجذام والقين وبهراء من جهة أخرى. وعلى ذلك، كان لا بد من إجراء دراسة أثرية متأنية للمواقع الأثرية الإسلامية، الواقعة في منطقة الجامعة، والتي من المحتمل أن يكون لبعضها علاقة ما في تخليد ذكرى معركة مؤتة في فترات زمنية لاحقة، كما نأمل من إجراء المسح الأثري المتأني والدقيق في هذه المنطقة الكشف عن مقابر من مات في هذه المعركة من الطرفين المتقاتلين.

٢- لم تُنفذ حتى الآن حفريات أثرية موسعة في المواقع الأثرية الإسلامية، الواقعة في منطقة مؤتة، والقرى المجاورة لها، غير أنه أخذت تظهر في الآونة الأخيرة دراسات توثيقية، وتحليلية، للنقوش الإسلامية، التي تعود للفترتين الأيوبية والمملوكية. وقد جُمعت هذه النقوش في المتحف الإسلامي، الملحق بمسجد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، في بلدة المزار الجنوبي، وفي متحف القلعة بمدينة الكرك(٢٥).

٣- نتوخى من إجراء الحفريات الأثرية المنظمة، الحفاظ على المخلفات الحضارية من الزوال، وعلى ذلك فان الحفريات الأثرية في موقع مغارة ــ مزار ــ الولي من شأنها الحفاظ على هذا الموقع الأثري الإسلامي من التهدم والزوال في ظل الحاجة الماسة والمتزايدة للأراضي بجوار الجامعة لغايات التوسع العمراني في المنطقة.

العمل الميداني الأثري ونتائجه:

تتألف منهجية البحث الميداني المتبعة في حفرية مغارة ــ مزار ــ الولي مما يلي:

١. المسح الأثري. ٢. الحفريات الأثرية.

١- المسح الأثري لمنطقة البحث ونتائجه.

لربط وإظهار علاقة موقع مغارة ــ مزار ــ الولي مع المواقع الأثرية المهمة المجاورة كمشهد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، الواقع على بُعد ٦٢٠ متراً للشمال منه،ولإظهار ورفع أية شواهد أثرية أخرى (كالقبور، والجدران والأبار..) مجاورة لموقع الحفر، فقد اختيرت منطقة تقدر مساحتها بـ ١٢٠ دنماً لأعمال المسح الأثري الدقيق والرسم الكنتوري (٢٦). حُددّت منطقة المسح بالشارع المعبد المحاذي لموقع التنقيب من الجهة الغربية، والشارع المعبد المؤدي إلى جامعة مؤتة من الجهة الشمالية، وجدار حجري حديث الإنشاء من الجهة الجنوبية، وواد من الجهة الشرقية.

استخدمت طريقتان لمسح هذه المنطقة، وهما:

١ ــ الطريقة العشوائية ذات الحدود الثابتة
(Sampling Controlled Random)(٢٧):

تم باستعمال هذه الطريقة جمع المخلفات الحضارية دون تحيز من منطقة معلومة الحدود. ولذلك استخدمت هذه الطريقة، في مسح موقع التنقيب (مغارة ــ مزار ــ الولي)، ومشهد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، وموقع الكهف السكني، ومواقع الرجوم الحجرية. وباستعمال هذه الطريقة أمكن حصر المخلفات الحضارية الملتقطة عن سطح هذه المواقع، وبالتالي إعطاء تاريخ اكثر دقة لها.

وإن قراءة الشقف الفخارية الملتقطة من سطح موقع الحفر (مغارة ــ مزار ــ الولي) دلت على أن هذا المسجد استخدام في الفترتين الأيوبية /المملوكية، والعثمانية (٢٨).

المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة	الفترة الزمنية	مجموع الشقف الفخارية العائدة لكل فترة زمنية	النسبة المئوية لكل فترة زمنية من المجموع العام
٤٣	العصر الأيوبي / المملوكي	٣١	%٧٢
	العصر العثماني	٠٦	%١٤
	غير معروفة التاريخ	٠٦	%١٤

الجدول رقم ١. تاريخ الشقف الفخارية الملتقطة من سطح موقع الحفر.

كما أرخت الشقف الفخارية الملتقطة من سطح موقع مشهد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، للعصرين الأيوبي / المملوكي والعثماني (٢٩).

المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة	الفترة الزمنية	مجموع الشقف الفخارية العائدة لكل فترة زمنية	النسبة المئوية لكل فترة زمنية من المجوع العام
٢٤	العصر الأيوبي ــ المملوكي	١٦	%٦٦,٦
	العصر العثماني	٠٥	%٢٠,٨
	غير معروفة التاريخ	٠٣	%١٢,٥

جدول رقم (٢) تاريخ الشقف الفخارية الملتقطة من سطح موقع مشهد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه.

وأرخت الشقف الفخارية الملتقطة من جوار الكهف السكني للعصرين الأيوبي /المملوكي والعثماني (٣٠).

المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة	الفترة الزمنية	مجموع الشقف الفخارية العائدة لكل فترة زمنية	النسبة المئوية لكل فترة زمنية من المجموع العام
١٠٧	العصر الأيوبي ــ المملوكي	٨٦	%٨٠,٤
	العصر العثماني	١٢	%١١,٢
	غير معروفة التاريخ	٩	%٨,٤

جدول رقم (٣) تاريخ الشقف الفخارية الملتقطة من جو ر الكهف السكني.

أما القطع الفخارية الملتقطة من المنطقة المجاورة للرجم رقم ١، فقد أرخت للعصرين النبطي والبيزنطي (٣١).

المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة	الفترة الزمنية	مجموع الشقف الفخارية العائدة لكل فترة زمنية	النسبة المئوية لكل فترة زمنية من المجموع العام
٣٣	العصر النبطي	٠٨	%٢٤,٢
	العصر البيزنطي	١٨	%٥٤,٥
	غير معروفة التاريخ	٠٧	%٢١,٢

جدول رقم (٤). تاريخ الشقف الفخارية الملتقطة من منطقة الرجم رقم ١.

كما أرخت الشقف الفخارية الملتقطة من جوار الرجم رقم ٢ للعصرين النبطي والبيزنطي(٣٢).

المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة	الفترة الزمنية	مجموع الشقف الفخارية العائدة لكل فترة زمنية	النسبة المئوية لكل فترة زمنية من المجموع العام
١٩	العصر النبطي	٠٥	%٢٦,٣
	العصر البيزنطي	١١	%٥٧,٩
	غير معروفة التاريخ	٠٣	%١٥,٨

جدول رقم (٥) تاريخ الشقف الفخارية الملتقطة من جوار الرجم رقم ٢.

٢- الطريقة العشوائية الهادفة (Purposive Random Sampling) (٣٣):

ويتم باستعمال هذه الطريقة جمع المخلفات الصناعية (الفخارية والصوانية خاصة) بارزة المعالم والصفات، والتي يمكن من خلالها التعرف بسهولة على الفترات الزمنية العائدة إليها. وقد استخدمت هذه الطريقة في مسح بقية منطقة البحث. أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح بقية منطقة البحث، باستخدام هذه الطريقة،للعصور التالية: العصر النبطي، والعصر البيزنطي، والعصر الأيوبي/المملوكي، والعصر العثماني (٣٤).

المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة	الفترة الزمنية	مجموع الشقف الفخارية العائدة لكل فترة زمنية	النسبة المئوية لكل فترة زمنية من المجموع العام
١٨٣	العصر النبطي	١٨	%٩,٨
	العصر البيزنطي	٤١	%٢٢,٤
	العصر الأيوبي ـ المملوكي	٩٦	%٥٢,٥
	العصر العثماني	٠٨	%٤,٤
	غير معروفة التاريخ	٢٠	%١٠,٩

جدول رقم (٦) تاريخ الشقف الفخارية الملتقطة من سطح الموقع باستعمال الطريقة العشوائية الهادفة.

يستدل من خلال القراءة الأولية للشقف الفخارية الملتقطة من سطح الموقع، الارتباط القوي بين تاريخ الشقف الفخارية، ومكان العثور عليها، حيث لوحظ إن الشقف الفخارية العائدة للعصر البيزنطي تزداد كثافة تواجدها بالقرب من الرجوم الحجرية (يعتقد بأنها شواهد قبرية) بينما تزداد كثافة تواجد الشقف الفخارية العائدة للعصور الإسلامية بالقرب من موقع التنقيب، ومشهد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، والكهف السكني، كما يستدل من دراسة الشقف الفخارية المجموعة من سطح منطقة المسح المجاورة لموقع الحفريات الأثرية (مغارة ـ مزار ـ الولي) إن هذه المنطقة استوطنت بشكل أساسي في الفترات الكلاسيكية والإسلامية الوسيطة والمتأخرة.

كما يلاحظ أن هناك ارتباطاً قوياً بين الناحية الوظيفية للآنية الفخارية، والتي مثلتها مجموعة من الشقف الفخارية، ومكان العثور عليها، حيث لوحظ أن غالبية الشقف الفخارية التي عثر عليها بمنطقة الرجوم الحجرية هي

أجزاء لجرار (٣٥)، في حين ظهرت غالبية الشقف الفخارية الآنية من أباريق وصحون في منطقة الحفر (مغارة ــ مزار ــ الولي)، ومشهد جعفر بن أبي طالب (٣٦)، وأما الشقف الفخارية الممثلة لآنية الطبخ والصحون والجرار فقد عثر عليها في منطقة الكهف السكني (٣٧).

جاءت الشقف الفخارية العائدة للعصرين النبطي والبيزنطي صغيرة الحجم، وتميزت باللون الأحمر الفاتح. زينت بعض الشقف الفخارية العائدة للعصر النبطي بأشكال تمثل الأوراق النباتية وقد نفذت باللون الأحمر الغامق. أما الشقف الفخارية العائدة للعصر البيزنطي فقد جاءت اكثر سمكاً وأقل جودةً من الشقف الفخارية العائدة للعصر النبطي، وظهر على سطح البعض منها تضليعات غائرة مسطحة (smooth ribbing). وأما الشقف الفخارية المنسوبة للعصرين الأيوبي /المملوكي والعثماني فقد قسمت إلى ثلاث مجموعات، ومثلت المجموعة الأولى شقفاً لآنية فخارية مصنعة باستخدام الدولاب، وجاء سطحها خالٍ من الزخارف، ومثلت في غالبيتها أجزاء لصحون وجرار. أما المجموعة الثانية فقد مثلتها مجموعة من الشقف الفخارية المزججة باللون الأخضر أو الأصفر أو البني القاتم، ومثلت هذه المجموعة في غالبيتها أجزاء لصحون، وتركز تواجدها بالقرب من موقع مشهد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، أما المجموعة الثالثة فقد مثلتها مجموعة من الشقف الفخارية المصنعة باليد، وحمل البعض منها زخارف هندسية، ونفذت بالدهان الأحمر أو الأسود أو البني القاتم، في حين ظهر البعض الآخر مسطحاً ولا يحمل أية زخارف (آنية طبخ وجرار تخزين)، وقد تركز تواجد مثل هذه الشقف الفخارية بالقرب من موقع الكهف السكني، وفي مربع المغارة السكنية للقائم على مسجد مغارة – مزار – الولي.

٢- الحفريات الأثرية في موقع مغارة ـ مزار ـ الولي.

بعد أن تم تنظيف الأجزاء الداخلية والخارجية لموقع العمل من الحجارة الساقطة كبيرة الحجم، والأعشاب الجافة، تم تقسيم الجزء الداخلي من المسجد إلى خمسة مربعات (٣٨)، جاءت على النحو التالي:

المربع رقم (١):

شمل هذا المربع المساحة الكلية للحرم وبقياسات ٤,١٠×٤,١٠ م. أظهرت الحفريات الأثرية في هذا المربع تتبع المظاهر المعمارية والسويات الأثرية التالية:

السوية رقم (١) (loc. 01)

تمثل هذه السوية الطبقة العلوية، وهي ذات تربة مفككة، وبسمك ١٠ سم. حوت هذه الطبقة على حجارة كبيرة ومتوسطة الحجم، ساقطة من الجدران المجاورة، وجذور النباتات. أرخت الشقف الفخارية الملتقطة منها (ثمان شقف) للعصر الأيوبي / المملوكي.

السوية رقم ٢ (loc. 02)

تكونت هذه السوية من تربة مفككة ذات لون رمادي عثر فيها على ثلاثة مواقد صغيرة. ويعتقد أنها تعود إلى فترة خروج هذه المنشأة الدينية عن وظيفتها الأصلية (ما بعد القرن الثامن عشر الميلادي). كما حوت على كمية كبيرة من شقف القصارة البيضاء. أرخت الشقف الفخارية الملتقطة من هذه السوية للعصرين الأيوبي / المملوكي (ثمان شقف)، والعثماني (أربع شقف).

السوية رقم ٣ (loc. 03)

تُمثل هذه السوية أرضية الحرم وهي من القصارة البيضاء الناعمة، وبسمك ٥ سم، وترتفع ١١٤١,٠٨ متراً فوق مستوى سطح البحر. وعُثر عليها في الطرف الجنوبي الغربي من الحرم وبمقاسات ٢١٠×٩٠ سم.

السوية رقم ٤ (loc. 04)

تقع هذه السوية في الطرف الشمالي الشرقي من الأرضية ــ السوية رقم ــ ٣ ــ، وتكونت من تربة حمراء مدكوكة، مختلطة بكمية كبيرة من الحجارة الصغيرة والحصى. ومن خلال تتبع المقطع الرأسي لطرف الأرضية ــ السوية رقم ــ ٣ ــ تبين أن طبقة القصارة وضعت فوق رصفة من الحجارة الصغيرة والحصى. ويبدو أن هذه الرصفة الحصوية التي انتشرت في السوية رقم ٤ عبارة عن سوية وضعت تحت الأرضية ــ السوية رقم ٣ــ ولعل هذا الأمر يُفسر لنا عدم العثور على أية مخلفات حضارية فيها.

السوية رقم ٥ (loc. 05)

تُمثل هذه السوية الجزء الداخلي لأساس (foundation trench) الجدار الشرقي للحرم، وقد عثر في هذه السوية على شقفتين فخاريتين، إحداهما مزججة أُرخت للعصر المملوكي.

أما الظواهر المعمارية التي ظهرت في هذا المربع فهي كالآتي:

الجدار الشرقي للحرم (l oc. 06) بُني هذا الجدار من الحجارة الجيرية الصلبة، المنتشرة في المنطقة المحيطة بالمسجد. وقد رتبت الحجارة الكبيرة والمشذبة بشكل سيئ من وجه واحد، على شكل صفين، أحد هما يُمثل الوجه الداخلي للجدار، والأخر يُمثل الوجه الخارجي. ثم مُلئت منطقة الفراغ الواقع بينهما بحجارة أصغر حجماً، غير مشذبة تم تثبيتها بمونة من الطين، يرتفع هذا

الجدار ستة مداميك (٣٩)، ويبلغ طوله ٤,١٠ م من الجهة الداخلية، و ٥,٦٠ من الجهة الخارجية، ويبلغ سمكه متراً ونصف المتر.

أما جدار القبلة، حيث يوجد المحراب، فقد قُسم إلى ما يلي:

١- الجزء الشرقي من جدار القبلة (l oc. 07)

ويشمل الجزء الممتد بين المحراب ومكان التقاء جدار القبلة بجدار الحرم الشرقي(loc.06)(٤٠)، وهو بنفس مواصفات جدار الحرم الشرقي من حيث تقنية الإنشاء ومادة البناء، ويبلغ طوله ١٣٠سم في الجهة الداخلية و ٢٧٠ سم في الجهة الخارجية، أما سمكة فيبلغ متراً ونصف المتر.

٢- المحراب (loc. 08)

يتوسط المحراب جدار الحرم القبلي، وجاء على شكل نصف دائرة (٤١). بُني من الحجارة الجيرية الطرية والمشذبة بشكل جيد من جميع الجهات وبمقاسات ٣٠×٣٤ سم تقريباً لكل حجر، ويبلغ أقصى طول له في الواجهة الأمامية ٨٠ سم، وأقصى عمق ٦٠ سم، وما زال ويرتفع ٨٠ سم عن مستوى الأرضية (loc.03) .

٣- الجزء الغربي من جدار القبلة (l oc. 09).

ويشمل الجزء الممتد من طرف المحراب الغربي إلى مكان الالتقاء مع الجدار الغربي للحرم(٤٢)، أما الجدار الغربي للحرم (l oc. 010) فجاءَ موازياً لجدار الحرم الشرقي وبنفس المواصفات والمقاسات (٤٣).

الجدار الرابط للعقد المنشأ أمام الحرم (l oc. 011).

وهو جدار يمتد بين النهاية الشمالية لامتداد جداري الحرم الشرقي والغربي مقابل جدار القبلة. بقي من هذا الجدار صف واحد من الحجارة الجيرية المشذبة، تشبه تلك المستخدمة في عمارة المحراب.

يتكون هذا الصف من أربعة حجارة (٤٤). وأمكن تتبع امتداد بقية الحجارة الممتدة بين القاعدتين الحاملتين للعقد (loc. 012) المنشأ أمام الحرم. وقد عُثر على حجارة هذا العقد متناثرة في الحرم والمربع المجاور رقم ٢،والكهف السكني. وأمكن ترتيب حجارة هذا العقد بعد أن تم جمعها، فجاء أقصى امتداد أفقي له أربعة أمتار، وأقصى امتداد رأسي ١٨٠ سم (٤٥). يستدل من الدراسة المعمارية لتواجد هذا العقد وسماكة جدران الحرم انه كان مسقوفاً بعقدٍ مدبب من الحجارة.

وأثناء تنظيف الامتداد الأفقي للجدار (l oc. 011) عُثر على مجموعة من الشقف الفخارية (خمس قطع) أُرخت للعصر الأيوبي / المملوكي، كما عُثر على قطعة عملة برونزية (القطر: ١,١ سم، السمك: ١,٢ ملم، الوزن: ٢,٢ غم) تحمل على وجهها كلمة واحدة وهي "الناصر" بينما لم يظهر على القفا أية كتابة أو زخرفة. وتبين من الدراسة المقارنة أن هذه القطعة النقدية هي من فئة الفلوس التي ضُربت في فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون (الفترة الثالثة من حكمه ١٣١٠ ــ ١٣٤٠ م)، وعادة ما تحمل مثل هذه الفلوس على القفا مكان ضرب القطعة ولكنها غير مؤرخة (٤٦).

عُثر في النهاية الشمالية لجدار الحرم الغربي (l oc. 010) على كهف محفور في الصخر الجيري، وتبين أنه بمدخل منتظم [الطول (شرق ــ غرب) ١٢٠ سم، والعرض (شمال ــ جنوب) ١٠٠ سم، وأقصى عمق له ١٤٣ سم]، وبعد إزالة الحجارة المتراكمة على مدخله، حُدّدت بالداخل منطقة للحفر العمودي (الطول

٢٥٠ سم، العرض ١٥٠ سم). عُثر في هذا المربع على سويتين، الأولى (loc. 02) حوت على حجارة كبيرة الحجم وتربة مفككة، أرخت الشقف الفخارية الملتقطة من هذه السوية (٤١ شقفة) للعصرين المملوكي والعثماني. وأما السوية التالية (loc. 03) فقد حوت حجارة كبيرة وصغيرة الحجم، ذات تربة مترسبة، وأرخت الشقف الفخارية الملتقطة من هذه السوية (٣٢ شقفة) للعصرين المملوكي والعثماني، ويلاحظ أن الشقف الفخارية الملتقطة من السويتين (loci. 03, 02) تمثل أجزاء من صحون، وجرار تخزين كبيرة الحجم، وآنية طبخ، وأباريق، ومصابيح (٤٧).أما (loc. 01) فيمثل جداراً حجرياً حاملاً للسقف الآيل للسقوط (٤٨). وتبين من خلال تفحص جوانب هذا الكهف أنه حُفر اصطناعياً، حيث تبدو آثار الأزاميل المدببة الرأس على جنباته واضحة للعيان، وأمكن تتبع امتداد هذا الكهف من الجهة الغربية (يمتد ١٥ مترا) بينما لم نتمكن من تتبع امتداده في الاتجاه الشرقي ــ أسفل الحرم. ويبدو من خلال دراسة طريقة حفر هذا الكهف، وكسر الآنية الفخارية ذات الاستعمال اليومي، والجدران الحاملة للسقف والكوات الصغيرة المحفورة في الجدران (استعملت لوضع المصابيح)، أن هذا الكهف حُفر واستُعمل للسكن من قبل القائم على هذه المنشأة الدينية.

صحن المسجد:

وهو ذلك الجزء غير المسقوف من المسجد (٤٩)، ويتواجد أمام الحرم، وفي منتصف جداره الشمالي، يوجد مدخل المسجد، والذي يقابل تماماً المحراب، ونظراً لاتساع المساحة الإجمالية لصحن المسجد (٤٩ م٢) فقد قُسّم إلى أربعة مربعات متساوية (٣,٥×٣,٥م لكل منها) وأخذت الأرقام من ٢ إلى ٥.

المربع رقم ٢

كشف الحفر الأثري في هذا المربع عن السويات والبقايا المعمارية التالية:

السوية رقم ١ (loc. 01)

وهي ذات تربة مفككة يتخللها جذور النباتات وبعض الحجارة الساقطة من الجدار الغربي لصحن المسجد. أُرخت جميع الشقف الفخارية الملتقطة من هذه السوية (سبع شقف) للعصر الأيوبي / المملوكي.

السوية رقم ٢ (loc. 02)

وهي طبقة من الحجارة المسطحة، والمشذبة بشكل سيئ، ورصفت هذه الحجارة بجانب بعضها بعضاً لتمثل أرضية الصحن.

السوية رقم ٣ (loc. 03).

تقع أسفل الرصفة الحجرية وتُمثل الأرضية البكر، حيث لم يُعثر فيها على أية مخلفات حضارية.

أما الظواهر المعمارية التي عُثر عليها في هذا المربع فتتمثل فيما يلي:

جزء من العقد الساقط (loc. 04) والذي كان مقاما أمام الحرم. يتكون هذا الجزء من أربعة حجارة جيرية مشذبة.

الجدار الغربي لصحن المسجد (loc. 05) يمتد هذا الجدار على امتداد المربع من الجهة الغربية، بُني هذا الجدار من الحجارة الجيرية الصلبة، غير المشذبة، وقد صُفت بصفين، داخلي وخارجي، ومن ثم سدّ الفراغ بينهما بالحجارة الصغيرة والطين (٥٠).

المربع رقم ٣:

يقابل هذا المربع أيضا الحرم من الناحية الشرقية (٥١)، وكشف الحفر فيه عن السويات الأثرية والمظاهر المعمارية التالية:

السوية رقم ١ (loc. 01)

وهي ذات تربة رمادية مفككة، يتخللها بقع من التربة الحمراء الصلبة، وحجارة كبيرة متوسطة الحجم، ساقطة من الجدار الشرقي لصحن المسجد، ومن الطرف الشمالي للجدار الشرقي للحرم (٥٢).

السوية رقم ٢ (loc. 02)

وهي طبقة من الحجارة الساقطة، وقد ازداد تواجدها في الزاوية الجنوبية الشرقية من المربع، وعلى امتداد الجدار الشرقي لصحن المسجد.

السوية رقم ٣ (loc. 03).

وهي طبقة من الحجارة المشذبة بشكل سيئ،وقد رصفت بجانب بعضها بعضا لتشكل أرضية الصحن، استعمل صحن المسجد لأغراض الدفن، وذلك في الوقت التي خرجت فيه هذه المنشأة الدينية عن وظيفتها الأصلية وهجرت (ما بعد القرن الثامن عشر الميلادي)، حيث عثر على خمسة مدافن انتشرت في الزوايا ومع امتداد جدران صحن المسجد. وقد عثر في المربع رقم ٣ على مدفنين، الأول يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية (l oc.04) والثاني في الطرف الشمالي من المربع (loc. 05) وبلغت مقاسات المدفن الأول: الطول (شرق ــ غرب)١٨٠ سم والعرض (جنوب ــ شمال) ٩٠ سم، والعمق ٥٠ سم، وأما المدفن الثاني (loc. 05) فبلغت مقاساته: الطول (شرق ــ غرب) ٢٠٠ سم، والعرض (جنوب ــ شمال) ١٠٠ سم، والعمق ٥٠ سم، وقد استخدمت رقائق حجارة الأرضية على

جنبات هذه المقابر وأعلى منها، مما أدى إلى تدمير أرضية الصحن في عدة مواقع، كما استخدمت الحجارة الجيرية المشذبة، والتي كانت أصلا مستخدمة في تشييد المحراب والعقد المقام أمام الحرم كشواهد قبرية،حيث عثر على شاهدين منها منثورين في صحن المسجد، وقد نقش عليهما بالحفر الغائر (الخط النسخي اللين) اسما صاحبيهما وهما: قبر علي حسين (٥٣) ومحمد بـ [ن].. (٥٤) ولعل استخدام حجارة المحراب، والعقد، والأرضية، والجدران من قبل دافني الموتى، لتشييد مقابرهم داخل صحن المسجد ساعد في الإسراع على تهدم هذه المنشاة الدينية.

وبمحاذاة هذا المربع من الجهة الشرقية، يمتد جدار الصحن الشرقي (loc. 06)، وهو يشبه الجدار الغربي لصحن المسجد من حيث تقنية ومادة البناء إلا انه لم يتبق منه سوى مدماكين.

المربع رقم ٤:

أظهرت الحفريات الأثرية في هذا المربع عن السويات الأثرية والمظاهر المعمارية التالية:

السوية رقم ١ (loc. 01).

وهي ذات تربة مفككة يتخللها جذور النباتات والحجارة الساقطة، أرخت الشقف الفخارية الملتقطة منها (خمس شقف) للعصر الأيوبي / المملوكي.

السوية رقم ٢ (loc. 02)

تمثل هذه السوية مجموعة من الحجارة الساقطة، تركز تواجدها بالقرب من الجدار الشرقي لصحن المسجد.

السوية رقم ٣ (loc. 03)

وهي عبارة عن مجموعة من الرقائق الحجرية غير المنتظمة، استخدمت في رصف أرضية الصحن. ولوحظ أن هذه الرصفة الحجرية قد قطعت في الجهة الشمالية من المربع لتواجد مدفن (l oc. 04) يقع بمحاذاة الجدار الشمالي لصحن المسجد، وجاءت مقاساته كما يلي: الطول (شرق ـ غرب) ٢١٠ سم، العرض (شمال ـ جنوب) ٨٠ سم، العمق ٦٠ سم. وبمحاذاة هذا المربع من الجهة الشرقية، يمتد جدار الصحن الشرقي (l oc. 05) (٥٥) وهو بنفس مواصفات بقية جدران الصحن، كما يحد هذا المربع من الجهة الشرقية، الجدار الشمالي لصحن المسجد (loc. 06) (٥٦). ويوجد في منتصف هذا الجدار، المدخل الرئيسي للصحن (loc. 07)، والذي بدوره يقود إلى الحرم، ويقابل تماماً محراب المسجد، يتكون هذا المدخل من درجة واحدة أمامية [الطول (شرق ـ غرب) ٨٠ سم، العرض (شمال ـ جنوب) ٥,٩ سم] وثم المدخل [الطول (شرق ـ غرب) ٩٠ سم والعرض (شمال ـ جنوب) ١٠٠ سم]، ويعلو المدخل مدماك واحد من الحجارة، ويبدو أن هذا المدخل كان يُغلق، بدليل العثور على لوحين حجريين بجانب المسجد الأول يُمثل عتبة المدخل [الطول (شرق ـ غرب) ٩٠ سم، والعرض (شمال ـ جنوب) ١٠٠ سم]، وأما اللوح الثاني فيُمثل القطعة الحجرية الجانبية [الارتفاع ١٦٠ سم] وعلى كل طرف من طرفيها حفرة صغيرة، استعملت لتثبيت الباب الخشبي أو المعدني.

المربع رقم ٥

كُشف في هذا المربع عن السويات الأثرية والظواهر المعمارية التالية:

السوية رقم ١ (loc. 01)

وهي ذات تربة مفككة رمادية اللون وتحوي حجارة ساقطة من الجدران، أُرخت الشقف الفخارية الملتقطة من هذه السوية (أربع شقف) للعصر الأيوبي / المملوكي.

السوية رقم ٢ (loc. 02)

وتُمثل هذه السوية مجموعة من الحجارة الساقطة من الجدار الشمالي، والجدار الغربي لصحن المسجد، حيث تركز تواجدها بالقرب منهما.

السوية رقم ٣ (loc. 03)

تُمثل هذه السوية صفائح حجرية غير منتظمة ومبعثرة،هي جزء من أرضية الصحن.

السوية رقم ٤ (loc. 04)

وهي ذات تربة حمراء صلبة وخالية من أية مخلفات حضارية، وتُمثل الأرضية البكر. وعُثر في الزاوية الشمالية الغربية من هذا المربع على مدفن (loc. 05) ومقاساته هي [الطول (شرق ـ غرب) ١٧٠ سم، والعرض (شمال ـ جنوب) ٧٠ سم، والعمق ٦٠ سم]. أما الظواهر المعمارية المتواجدة في هذا المربع فتتمثل في:

الجدار الشمالي لصحن المسجد (l oc. 06)، وبني من صفين من الحجارة الجيرية الصلبة، والمشذبة من جانب واحد، وسدّ الفراغ المحصور بين هذين الصفين بالحجارة الصغيرة والطين (٥٧).

الجدار الغربي لصحن المسجد (l oc. 07) وهو بنفس مواصفات الجدار الشمالي لصحن المسجد من حيث مادة وتقنية البناء (٥٨).

الأهمية التاريخية والدينية لمنطقة البحث من خلال العمل الميداني الأثري في موقع مغارة. مزار الولي

يستدل من خلال دراسة التخطيط المعماري لمسجد مغارة ــ مزار ــ الولي، أن هذه المنشأة الدينية بُنيت على مرحلتين، الأولى وتشمل الحرم، وظهر في بنائها اهتمام واضح من حيث تجانس سماكة الجدران(١٥٠سم)، وانتظامها بالتوازي والطول (٤١٠ سم لكل منها). كما أُنشئ عقد مدبب مقابل جدار القبلة، تبقى منه الجدار الأرضي الواصل بين قاعدتي العقد. ويشمل هذا الجزء الكهف السكني للقائم على هذه المنشأة الدينية. أما المرحلة الثانية فتشمل صحن المسجد، حيث بُنيت جدرانه باهتمام أقل، ويظهر ذلك واضحاً في تفاوت أطوال جدران الصحن (الجدار الشرقي ٧,٢٥ م، والجدار الشمالي ٦,٧٥، والجدار الغربي ٧ م) مما أدى إلى انحراف في التخطيط المعماري للصحن نحو الشرق.

استمرت هذه المنشاة الدينية تؤدي الوظيفة التي أُقيمت من أجلها حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي تقريباً، حيث استخدم صحنها لغايات الدفن ويستفاد من التاريخ الشفوي المتداول لدى السكان المحليين، أن هذه المقابر تخص أصحاب بيوت الشعر (البدو)، الذين يخيمّون سنويا في نهاية فصل الشتاء، وخلال فصل الصيف على مشارف المناطق الزراعية التابعة لقرية مؤتة، ومما يؤكد هذه الرؤيا، تواجد مقبرة خاصة بقرية مؤتة القديمة، تقع على طرفها الجنوبي.

ويستدل من دراسة الشقف الفخارية الملتقطة من المنطقة المحيطة بموقع الحفر، أن هذه المنطقة استوطنت في الفترات الكلاسيكية، وخاصة البيزنطية منها، وفي الفترات الإسلامية الوسيطة والمتأخرة، كما عُثر في منطقة المسح على موقع استيطان واحد ــ مغارة سكنية ــ سُكنت في الفترتين المملوكية والعثمانية، وعثر في منطقة المسح أيضا على رجمين من الحجارة، يظهر بجانب

كل منهما أساسات لمنشأة معمارية بشكل مربع (٣,٥ × ٣,٥ م)، يعتقد بأنها مقابر تعود للعصر البيزنطي (سنجري بها حفريات أثرية خلال الموسم الثاني).

عثر في المربع رقم ٥ على قطعة من الحجر الرخامي الأبيض، غير منتظمة، هي جزء من اللوحة التأسيسية لهذه المنشاة المعمارية (٥٩). تحمل هذه القطعة الإطار العام للوحة (العرض ٣ سم)، والنهايات العلوية لثلاث كلمات غير مقروءة من السطر الأخير، وتكمن أهمية هذه القطعة الحجرية في مجوعة الزخارف النباتية، والتي ظهرت على سطحها. وجاءت هذه الزخارف أما لسد الفراغ، أو أنها اتصلت برؤوس الأحرف في نهاياتها، وقد انتشر استخدام مثل هذه الزخارف التوريقية، خاصة في نقوش القبور والألواح التأسيسية، خلال العصر المملوكي (٦٠).

شهدت قبور شهداء معركة مؤتة، عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم، عناية الخلافة الإسلامية منذ القرن العاشر الميلادي (٦١). فقد اهتم بها الحكام الفاطميون وتلاهم الأيوبيون في بلاد الشام (٦٢). وظهر هذا الاهتمام اكثر وضوحا في العصر المملوكي حيث جدد ووسع البناء على ضريح جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، من قبل السلطان الظاهر بيبرس ووقف عليه وقفا (٦٣).

وشهدت مصر وبلاد الشام قمة ازدهارها العمراني والاقتصادي في فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون. ووصف المقريزي هذا السلطان بأنه "محب للعمارة " (٦٤) وانعكس ذلك على نوابه وأمرائه حيث كانوا يتنافسون في أفعال الخير وبناء المساجد، والخانقاوات، والسبل، والأربطة، والزوايا (٦٥). ويبدو أن للكرك وأهلها مكانة خاصة عند السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وذلك لمساندة أهلها له في استعادة حكمه للمرة الثالثة (مستهل شوال ٧٠٩ هـ /١٣٠٩ م إلى الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)، وكدليل على ذلك

أرسل أولاده إليها ليتربوا فيها (٦٦)، كما أرسل إليها خاصة نوابه وأوصاهم بأهلها خيرا. وقد نشط هؤلاء الولاة في تشييد العمائر الدينية أو توسيعها أو ترميمها ومما يؤكد ذلك مجموعة النقوش التذكارية المحفوظة في متحف الآثار الإسلامية المرفق بمسجد المزار الجنوبي (٦٧). ومن العوامل الأخرى التي ساعدت على ازدهار العمارة الدينية خلال العصر المملوكي تأسيس دواوين خاصة تنظر في أمور المساجد، والأبنية الدينية الأخرى، وأهم هذه الدواوين، ديوان الأحباس والذي تأسس في الدولة الفاطمية (٦٨) (لنشر المذهب الشيعي). وأستمر عمله، وخاصة في إنشاء المدارس (لنشر المذهب السني) خلال حكم السلاطين الأيوبيين (٦٩). ويذكر القلقشندي الوظائف الدينية في الدولة المملوكية، ومنها نظر الأحباس ويصفها بأنها عالية المقدار وصاحبها يتحدث في رزق الجوامع، والمساجد والأربطة، والزوايا، والمدارس (٧٠). كما نذكر من العوامل الهامة التي ساعدت على تشييد العمائر الدينية في العصر المملوكي، وخاصة في القرن الرابع عشر الميلادي، اتباع سلاطين المماليك، وخاصة السلطان الناصر محمد بن قلاوون سياسة مصادرة ثروات بعض الأمراء المماليك بهدف القصاص وزيادة المال الخاص وتوطيد الحكم. أدى هذا الأمر إلى الإسراف في تشييد المنشآت الدينية والخاصة (٧١). كما كان للوقف دور هام في توفير الأموال اللازمة لتشييد وديمومة الإنشاءات الدينية، ونذكر من أسباب انتشار الوقف خلال العصر المملوكي تحصين أموال الأمراء ضد المصادرات، وإعفاء الأوقاف من الخراج والضرائب، والتهرب من ديوان المواريث، وإظهار الشعور الديني (٧٢).

ولعل العوامل السالفة الذكر، تعد من العوامل الهامة التي أدت إلى الاهتمام بمقامات شهداء معركة مؤتة في العصرين الأيوبي والمملوكي. فقد أهتم المعظم عيسى بمزارات مؤتة، وقام ببناء المساجد وهيأ للزوار القادمين وسائل الراحة، وبنى لهم دور الضيافة، وأوقف لذلك الأوقاف الكافية (٧٣). كما أمر

الظاهر بيبرس بعمارة المزارات في مؤتة وأوقف عليها شيئا كثيرا (٧٤). وأمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون نائبه على الكرك والشوبك، بهادر البدري، ببناء مسجد على ضريح جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه (٧٥).

ويبدو إن أهمية هذه المزارات من الناحية العملية للطبقة الحاكمة الأيوبية والمملوكية ينبع من أهمية مكانة من دفن فيها أصلا، ولذلك اعتبرت أماكن مستحبة لأغراض الدفن لغايات نيل الشفاعة. فقد أعتاد الأيوبيون دفن موتاهم قرب مشهد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه (كونه ابن عم الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأخ للإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه) في مؤتة (مقابل الجناح العسكري من جامعة مؤتة)، نذكر منهم الأمجد حسن شقيق الملك المعظم عيسى، واستمرت هذه العادة متبعة في العصر المملوكي حيث دفن بالقرب من هذا المشهد الملك السعيد بن الظاهر بيبرس (٧٦). كما استمر الدفن بالقرب من مقام جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، في بلدة المزار الجنوبي، في فترة الناصر محمد بن قلاوون،نيلا للشفاعة، فنجد مثلا نائب نيابة الكرك والشوبك، الأمير بهادر البدري، يبرر سبب إنشاء التربة المجاورة لهذا المقام: راجيا رحمة الله ورضوانه مستشفعا عنده بجيرانه " (٧٧).

ومن الظواهر الدينية البارزة خلال العصر المملوكي، انتشار الطرق الصوفية والأولياء، وقد أنشئت لهم بيوت خاصة عني بها سلاطين المماليك وأمراؤهم عناية فائقة وحبسوا عليها الأوقاف الكافية (٧٨).

ومن خلال استعراض أسماء المنشآت الدينية، والوظائف المناطة بكل منها، كالخانقاوات(٧٩)، والزوايا (٨٠)، والأربطة (٨١)، والمقامات (٨٢) والمزارات (٨٣)، يتبين أن اكثر هذه الأسماء قربا من موقع مغارة الولي هي المزار، ومما يؤيد ذلك أثريا، أن المسح الأثري للمنطقة المحيطة بموقع مغارة ــ مزار ــ الولي، لم يسفر عن تسجيل أية إنشاءات معمارية مدنية تعود للفترات

الإسلامية الوسيطة أو المتأخرة، وهذا الأمـــر يقودنـــا للاعتقـــاد أن مســـجد مغـــارة ــ مزار ــ الولي كان يزار في أوقات معينة طلبا للرحمة والتبرك والشـــفاعة، وقـــام على إدارته أحد المتصوفين أو ولي. كما يستفاد من التاريخ الشفوي المتـــداول لـــدى السكان المحليين. أن هذا الموقع مغارة ــ مزار ــ الولي هو مكان استشـــهاد القـــائد المسلم جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، في معركة مؤتة، ومن ثم نقـــل جثمانـــه إلى بلدة المزار الجنوبي، ويعني ذلك أن بناء مسجد مغارة ــ مـــزار ــ الولـــي قـــد أنشئ لاحقا تخليدا لذكرى استشهاده، في المكان نفسه.

بالرغم من كـــثرة المســـاجد، والمقامـــات، والمـــزارات الإســـلامية فـــي الأردن، والعائدة للعصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة، إلا أن الدراســـات المتعلقـــة بها جاءت على شكل دراسات توثيقية (٨٤)، لا تساعدنا في إجراء الدراسات المقارنة.

أسفرت الحفريات الأثرية في مدينة طبقة فحل الأثرية عـــن الكشـــف عـــن مسجد يعود للعصر المملوكي (٨٥)، وقد تشابهت تقنية بناء جدران هذا المسجد، مـــع التقنية المستخدمة في بناء مسجد مغارة ــ مزار ــ الولـــي. كمـــا أن هـــذه التقنيـــة استخدمت في بناء جدران الخان المملوكي (القرن الرابع عشر الميـــلادي)، والواقـــع بالقرب من بلدة الشونة الشمالية (٨٦).

تشير المعطيات التاريخية أن هناك نشاطا ملحوظا في تشييد العمائر الدينيـــة خلال الفترات الفاطمية والأيوبية والمملوكية في منطقة مؤتة، وبرز هذا الاهتمام فـــي فترة حكم السلطان محمد بن قلاوون وأبنائه من بعده.كما ان المكتشفات الأثرية مـــن حفرية مغارة ــ مزار ــ الولي كقطعة العملة التي تحمـــل اســـم الســـلطان النـــاصر محمد بن قلاوون،ترجح الاعتقاد بأن هذه المنشأة الدينية، شيدت في فترة حكـــم هـــذا السلطان، وبالتالي تضـــاف إلـــى جملـــة إنشـــاءات هـــذا الســـلطان فـــي منطقـــة الكرك، تخليدا منه لذكرى معركة مؤتة وشهدائها الأبرار، ووفاء منه لأهلـــها الذيـــن ساعدوه في استعادة حكمه للمرة الثالثة.

الإحالات والحواشي:

١) يدعى هذا الموقع الأثري لدى السكان المحليين باسم مغارة الولي، ولكن بعد إجراء الحفريات الأثرية فيه تبين للمنقب أنه يمثل أحد المزارات الإسلامية، ولذلك أضيف اسم مزار للاسم المتداول محليا لبيان الأهمية الوظيفية لهذا الموقع الأثري الإسلامي.

٢) يشكر الباحث كل من قدم له العون والنصيحة من أجل إنجاح هذا العمل الميداني وهم: عمادة البحث العلمي / جامعة مؤتة، وعطوفة الدكتور غازي بيشه مدير عام دائرة الآثار العامة الأردنية، والدكتورة سائدة عفانة والدكتور سلطان المعاني والسيد حاكم المحاميد مفتش آثار الكرك، والسيد يوسف أبو ازغيريت (رسام في قسم الآثار / جامعة مؤتة) والسيد جعفر البستنجي (مساح في قسم الآثار / جامعة مؤتة) وطلبة قسم الآثار وهم جدوى الشوارب، وصال المعايطة، كرم النوايسة، خالد الطراونة، نايل البديرات هشام المجالي، محمد الصرايرة، سهل الصرايرة، مهند الصرايرة، ابراهيم الحرازنة، فراس البقاعين، قيس زريقات، وزياد الهلسة.

٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، المطبعة الحسينية، ١٣٢٦هـ. ج٣. ص ١٠٧.

ابن هشام، السيرة النبوية، مطبعة حجازي، ١٩٣٧، ج٣، ص ٤٣٧

4) Ernst Axel Knauf

Aspects of Historical Topography Relating to the Battles of Mu'tah and the Yarmouk. In History of Bilad Al-Sham During the Early Islamic Period up to 40 A.H. / 640 A.D. The Fourth International Conference on the History of Bilad

Al-Sham. Ed. Muhammad Adnan Bakhit. Amman. 1987. PP. 73-75.

٥) أسفرت المسوحات الأثرية الأخيرة، والتي جرت في أرض الكرك، على تواجد مواقع استيطان مدني وأخرى ذات طابع عسكري، تعود للعصر البيزنطي في المنطقة الواقعة بين وادي الحسا ومؤتة، نذكر منها محي، وذات راس، ونخل، والمضيبيع.

Miller, M. Archaeological Survey of the Karak Plateau. Atlanta ,Georgia,1991.P.154,163-16.

6) Canova, R. Inscrizioni e monument: Protocristiani del Paese di Moab. Rome 1954. PP. 285-303.

٧) تعتبر حفرية مغارة ــ مزار ــ الولي الأولى من نوعها في المنطقة المجاورة لجامعة مؤتة.

8) Seetzen, U. A Brief Account of the Countries Adjoining the Lake Tiberias, the Jordan and the Dead Sea. London.1810.

9) Burckhardt, J. Travels in Syria and the Holy Land. ed. William Martin Leake , for the Association for Promoting the Discovery of the Interior Parts of Africa. London. 1822.

10) Irby, C. and Mangles, J. Travles in Egypt and Nubia, Syria and the Holy land, Inclonding a Journey Round the Dead Sea, and through the Country East of the Jordan. ed. London. 1823.

11) Mauss, C. and Sauvarie, H. De Karak a Chaubak. Extrait d'un Journal de Voyage. Bulletin de la Societe de Geographie 4; 1867; PP. 449-522.

12) Klein, F. Notizen uber eine Reise nach Moab im Jahre 1872. ZDPV; 124-134. 1879.

13) Tristram, H. The Land of Moab; Travels and Discoveries on the East Side of the Dead Sea and the Jordan. New York. 1873.

14) Hornstein, A. A Visit to Karak and Petra. PEFQS; 94-103. 1898.

15) Brunnow, R. and Von Demaszewski, A. Die Provincia Arabia auf Grund zweier in den Jahre 1897 und 1898 unternommenen Reisen und der Berichte fruher Reisender. 3 Vols, Strassburg 1904-09.

16) Musil, A. Arabia Petraea. 2 Vols. Wien 1907-08.

17) Savignac,M. Chronique sur les pistes de Transjordanie meridionale.

RB 45; 235-262. 1936.

18) Irby, C. and Mangles, J. 1823; 113.

Mauss, C. and Sauvaire, H. 1867; 485.

Tristram, H. 1873; 119.

Hornstein, A, 1898; 102.

Brunnow,R.and Von Demaszewski,A. 1904: Vol. 1:11,104.

Musil,A. 1907:77, 361

Savignac, M.1936: 247-248.

19) C. and Sauvaire,H.1867:485

Doughty.C. Travles in Arabia Deserta.
Cambridge.Vol.2.P22.

Hornstein ,A.1898:102

Wilson,J. The lands of the Bible. Edinburg 1847.P. 312

Brunnow ,R.and von Domaszewski:A,1904:105.

Musil.A.1907:361-366.

20) Glueck.N. Explorations in Eastern Palestine III. AASOR 18-19:97.1939

21) Canova, R. Inscrizioni e monument: Protocristiani del Paese di Moab. Rome. 1954. PP. 285-303.

٢٢) تلحق هذه الشواهد القبرية بمتحف الآثار، والتابع لقسم الآثار في جامعة مؤتة ويقوم زملاء مختصون بالفترات الكلاسيكية حاليا بدراستها لغايات النشر.

٢٣) د. طالب الصمادي والسيد حاكم المحاميد. مقابلة شخصية

24) Miller, M.(ed) Archaeolohyical Survey of the Karak Plateau. Atlanta, Georgia ,1991.P.121.

٢٥) صفوان التل: نقوش إسلامية من مزار مؤتة. دراسات الجامعة الأردنية ١٩٨٩، العدد ١١، ص٤٧ـ٦٧.

Abdel-jalil 'Amr A New Ayyubid Inscription from Al-Karak , Jordan.

Zeitschrift des Deutschen Palaestina – Vereins 1089.Vol. 105. PP 166-172.

٢٦) انظر اللوحة رقم ١

27) Binford, L. An Archaeological Perspective. New York and London. Seminar Press. 1972. P. 170.

٢٨) انظر الجدول رقم ١ (داخل النص).

٢٩) انظر الجدول رقم ٢ (داخل النص).

٣٠) انظر الجدول رقم ٣ (داخل النص).

٣١) انظر الجدول رقم ٤ (داخل النص).

وهنا لا بد من تسجيل استدراك على تاريخ الشقف الفخارية المنسوبة للعصر النبطي، وتلك المنسوبة للعصرين الروماني والبيزنطي في جنوب الأردن. فقد تبين للباحث، من خلال دراسته للشقف الفخارية الآتية من طبقات أثرية من موقع نخل، والذي يبعد حوالي ٨ كم للجنوب الشرقي من موقع مغارة ــ مزار ــ الولي، أن تصنيع الآنية الفخارية العائدة للعصر النبطي قد استمر أيضا خلال العصر البيزنطي، ولكن بجودة أقل، ولذلك نجد أن هناك تداخلا وخلطا واضحا في تاريخ الشقف الفخارية المنسوبة للعصر النبطي وتلك المنسوبة للعصرين التاليين، الروماني والبيزنطي، في جنوب الأردن، ونجد مثل هذا التداخل أيضا واضحاً في تاريخ الشقف الفخارية ذات الصناعة اليدوية (village ware) المنسوبة للفترات الأيوبية والمملوكية والعثمانية. في هذا المجال ألقى الكاتب ورقة بحثية بعنوان:

Nabataean to Abbasied Pottery from the First Season of Excavations at khirbet Nakhil

في مؤتمر:

Byzantine and Early Islamic Ceramics in Syria- Jordan (IVth-VIIIth Centuries).

والذي عقد في المركز الثقافي الملكي / عمان في الفترة الواقعة بين ١-٤ كانون أول ١٩٩٤م.

٣٢) انظر الجدول رقم ٥ (داخل النص)

33) Binford, L. 1972; 175.

Joukowsky, M. Field Archaeology. New Jersey; Grydon C. Wood. 1980. P.58.

٣٤) انظر الجدول رقم ٦ (داخل النص).

٣٥) انظر اللوحة رقم ١٧، القطعة رقم ١

٣٦) انظر اللوحة رقم ١٧، القطع ٦،٧.

٣٧) انظر اللوحة رقم ١٧، القطع ٢ــ٥.

٣٨) انظر اللوحة رقم ٢.

٣٩) انظر اللوحة رقم ٣.

٤٠) انظر اللوحة رقم ٤.

٤١) انظر اللوحة رقم ٤.

٤٢) انظر اللوحة رقم ٤.

٤٣) انظر اللوحة رقم ٥.

٤٤) انظر اللوحة رقم ٢.

٤٥) انظر اللوحة رقم ٦.

46) Balog, P. The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York. 1964, P. 148.

٤٧) انظر اللوحة رقم ٧.

٤٨) انظر اللوحة رقم ٨.

٤٩) حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة ــ الكويت، ص ٦٩.

٥٠) انظر اللوحة رقم ٩.

٥١) انظر اللوحة رقم ٢.

٥٢) انظر اللوحة رقم ١٠.

٥٣) انظر اللوحة رقم ١١.

٥٤) انظر اللوحة رقم ١٢.

٥٥) انظر اللوحة رقم ١٣.

٥٦) انظر اللوحة رقم ١٣.

٥٧) انظر اللوحة رقم ١٤.

٥٨) انظر اللوحة رقم ١٤.

٥٩) انظر اللوحة رقم ١٥.

٦٠) إبراهيم جمعة، دراسات في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في القرون الخمسة الأولى للهجرة، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٦٣.

نجاح أبو سارة، النقوش العربية الإسلامية في الخليل الرحمن، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣، ص ٢١٧-٢٩٥.

فوزي سالم عفيفي، الزخرفة العربية الإسلامية، مصر، ١٩٩٣، ص ٦٤١.

٦١) المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، ١٩٠٩، ص ١٧٨.

٦٢) ابن واصل، جمال الدين محمد الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ٤، تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٦٢٤.

٦٣) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، القاهرة، ١٩٥٨هـ/القاهرة، ج ١٣، ص ٢٧٦.

غوانمه، يوسف درويش، مقامات الصحابة في الأردن، وزارة الشباب، عمان ص ٤٢.

٦٤) المقريزي، ابو العباس احمد بن علي، المواعض والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، مكتبة المليجي، ١٣٢٤-١٣٢٦ هـ، ح ٢، ص ٣٦٠.

٦٥) المقريزي،المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٤٠٦-٤٠٧.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٠، ج ١، ص ٢٣.

القلقشندي، أبو العباس احمد، صبحي الأعشى في صناعة الأنشا. القاهرة المطبعة الأميرية، ١٩١٣، ج ١١، ص ٢٥٢،٢٥٣-٢٦٩.

ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، حققه بولس راوسي، باريس، ١٩٨٤ م. ٣١.

٦٦) المقريزي، ابو العباس احمد بن علي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك حققه محمد مصطفى زيادة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٢-١٩٣٤م م٢، ج ١، ص ٢٧٢، ج ٢، ٣٥٥.

٦٧) درس بعض من هذه النقوش ونشر في مقالة للدكتور صفوان التل بعنوان "نقوش إسلامية من مزار مؤتة " دراسات الجامعة الأردنية ١٩٨٩

عدد ١١ ص ٤٧-٦٧. والبعض الأخر هو قيد الدراسة والأعداد للنشر، اذكر منها: سلطان المعاني وجمعة كريم: نموذجان من النقوش العربية الإسلامية من مزار مؤتة. بهادر البدري في نيابة الكرك والشوبك (دراسة تحليلية نصية لأحد النقوش العربية الإسلامية).

٦٨) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٩٥.

القلقشندي، صبح الاعشى ج ٣، ص ٤٩٠.

٦٩) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٦٣-٣٦٤.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتب المصرية ن ١٩٥٦ م، ج ٦، ص ٥٥.

٧٠) القلقشندي، صبح الاعشى. ج ٤ ص ٣٧-٣٨.

٧١) المقريزي، كتاب السلوك، ج ٢، ص٩٨، ٩٩، ١٠٨، ٤١٨.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٧-٢٠، ٣١-٣٢، ١٣٥-١٣٧.

ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٦٣.

المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٨٩، ٤٠١.

٧٢) محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧ م، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة، دار النهضة العربي، ١٩٨٠، ص ٧٠-٩٨.

٧٣) غوانمة، يوسف حسن درويش، إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر، عمان، ١٩٨٠، ص ١٨٤.

٧٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٧٦.

غوانمه، إمارة الكرك الأيوبية، ص ٣٢٨.

٧٥) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج ٤، ص ١٠٣.

سلطان المعاني وجمعة كريم، أضواء على حكم السلطان الناصر محمد ونائبه بهادر البدري في نيابة الكرك والشوبك (دراسة تحليلية نصية لأحد النقوش العربية الإسلامية). قيد النشر.

٧٦) غوانمة، مقامات، ص ٤٨.

٧٧) سلطان المعاني وجمعة كريم، أضواء على حكم السلطان الناصر محمد ونائبه بهادر البدري، قيد النشر.

٧٨) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤، ص ٢٧٤.

٧٩) الخانقاه هي منشاة كبيرة الحجم، الهدف من إنشاءها تجمع للصوفية على مدار السنة، ويلحق بها وظائف دينية وتعليمية وأربطة لسكن الفقراء، وهي أيضا مأوى لأصحاب العاهات وكبار السن والعميان والمطلقات، وعلى ذلك فالخانقاه هي مؤسسة كبيرة تشمل مركزا للصوفية ومدرسة للطلاب، ومصلحة اجتماعية وملجأ.

المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٤١٧، ٤٢٤.

المقريزي، كتاب السلوك، ج ٢، ص ٢٦١-٢٦٣.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٧٩-٨٤.

ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١١٨.

القلشندي، صبح الاعشى، ج ١٤، ص ٣٧٦.

٨٠) الزوايا وهي منشات دينية كبيرة الحجم تضم مدرسة ومركزا للتصوف وملجأ. كما ارتبطت الزوايا بأسماء شخصيات معروفة بالفضيلة والفقه ولهم اتباع ومريدون. كما يتوارث الأبناء الزوايا عن آباءهم، ومن المعتاد أن يدفن اصحاب الزوايا في زواياهم.

المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص ٤٣٠-٤٣٢.

٨١) الرباط هو بيت للصوفية ويسكنه عدد من فقراء الصوفية، ويتم الصرف عليهم من ريع الأوقاف. كما أدى الرباط حاجات اجتماعية مهمة، واستعمل كملجأ للمحتاجين، وادي وضيفة المسجد. كما بنى عدد من الواقفين في أربطتهم مدفنا أو تربة يدفن فيها صاحب الرباط تبركا وطلبا للرحمة، وهو أيضا نوع من الأبنية العسكرية يسكنه المجاهدون خاصة في شمال أفريقيا.

المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٤٢٨-٤٣٠.

محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية القاهرة، ١٩٨٠، ص٤٤.

٨٢) المقام: يرد اسم المقام غالبا مركبا مع أسماء أشخاص دفنوا في نفس المكان، ومقام تعني لغويا " مكان " واصطلاحيا " موضع " قبر لصحابي أو ولي. وخير الأمثلة على استخدامه مركبا هي مقامات الصحابة في غور الأردن كمقام أبي عبيدة: بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، رضي الله عنهم.

سلطان المعاني، أسماء المواقع الجغرافية في محافظة الكرك دراسة اشتقاقية ودلالية، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٤، ص ٦٣.

٨٣) المزار هو ذلك المكان الذي يزوره النـــاس، كالمقــابر والأضرحــة طلبــا للشفاعة والرحمة والتبريك. نذكر منها مزار الجعفرية. نسبة إلـــى جعفــر بــن أبي طالب، رضي الله عنه، في بلدة المزار الجنوبي.

سلطان المعاني، أسماء المواقع ... ص ٤٨.

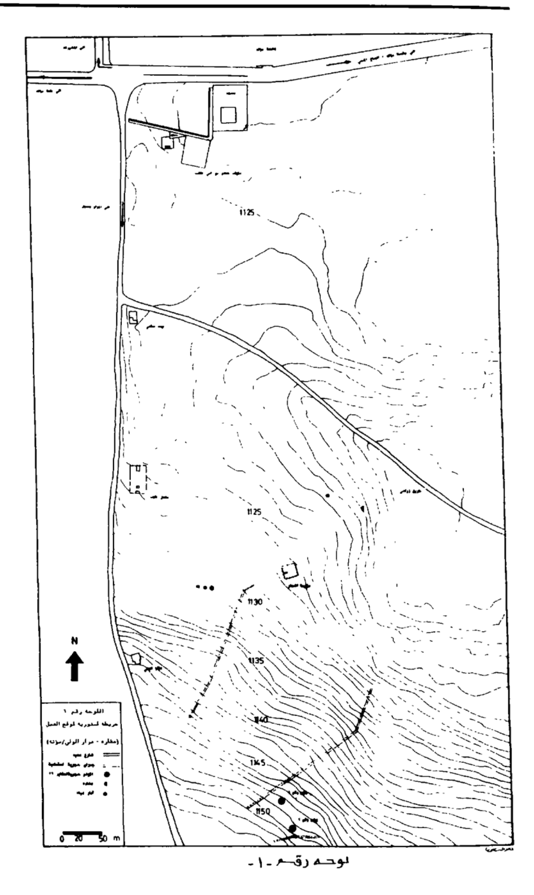
غوانمه،مقامات، ص ٣٩.

٨٤) غوانمه، مقامات، عمان، منشورات وزارة الشباب.

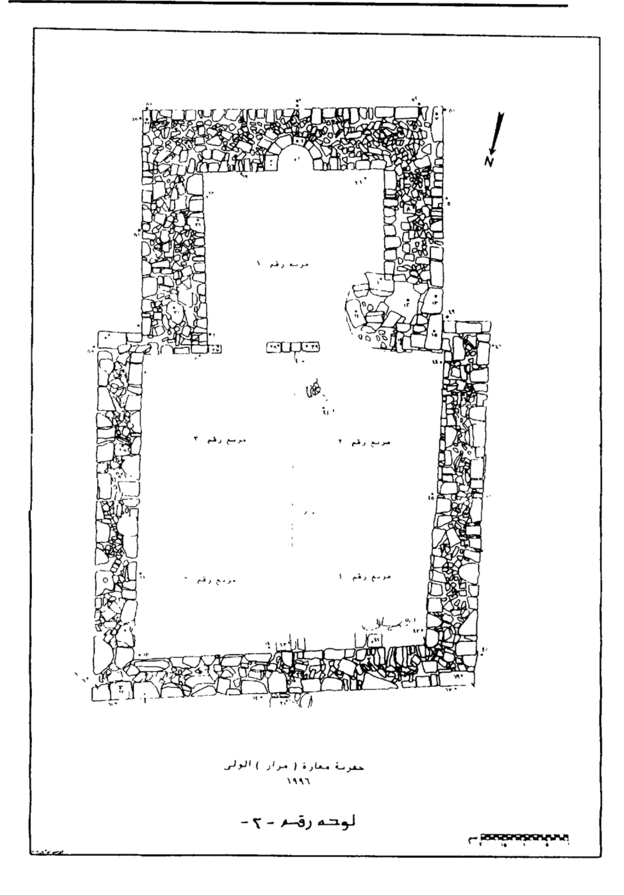
محمد ركان الدغمي وصالح ذياب الهندي، الأوقاف والمساجد وتطــور التعليــم الديني الإسلامي، منشورات لجنة تاريخ الأردن. عمان ١٩٩١.

85) Mcnicoll. A. et al. Pella in Jordan 2. Sydney. 1992. PP. 190-1992.

86) Kareem, J. The Settlement Patterns in the Jordan Valley in the Mid-to Late Islamic Period, Berlin. PP. 106-180. 1993.

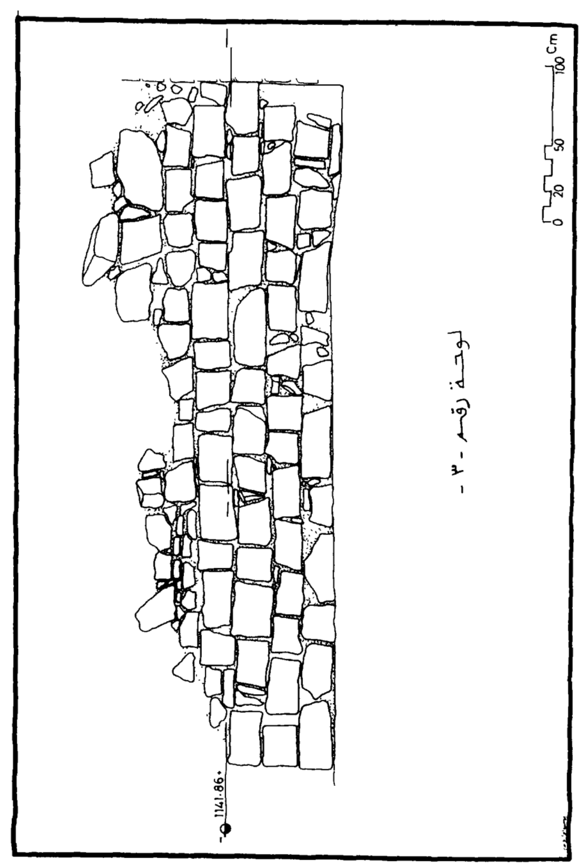


لوحـه رقـم -١-

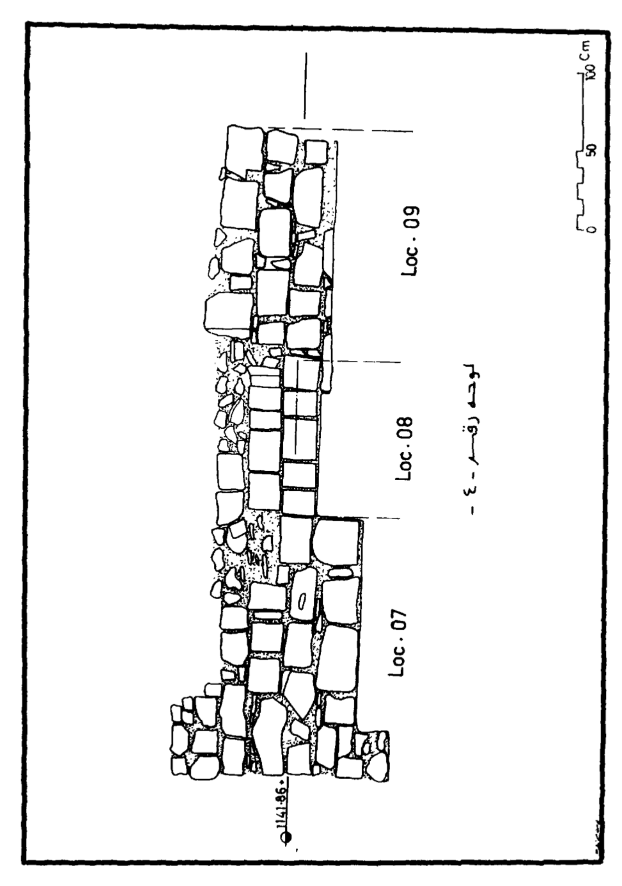


حفرية مغارة (مزار) الولي
١٩٩٦

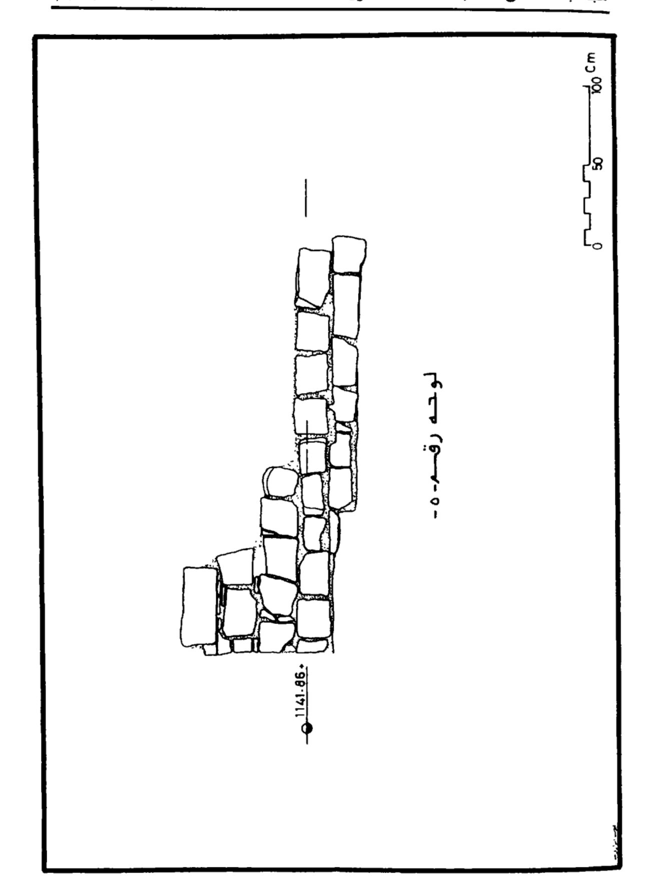
لوحة رقم - ٢ -



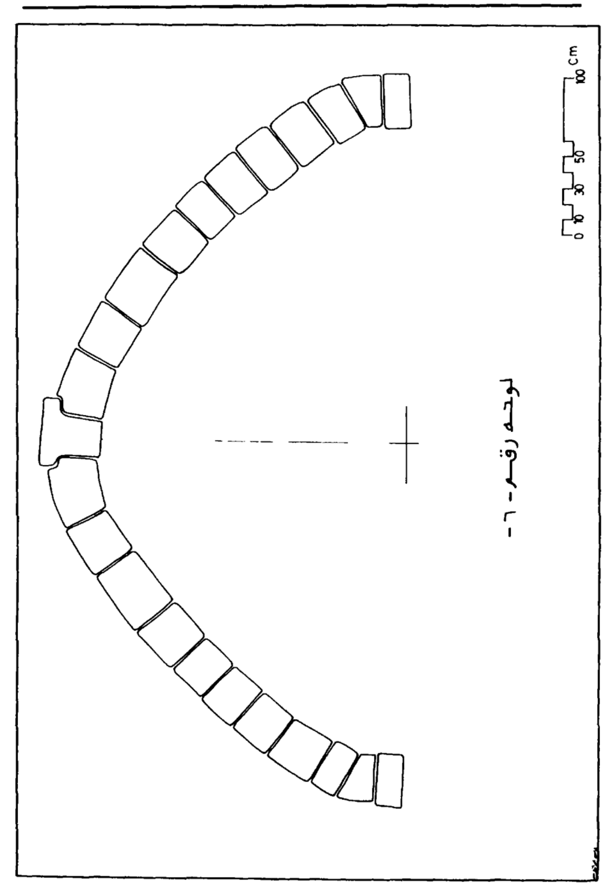
لوحة رقم - ٣ -



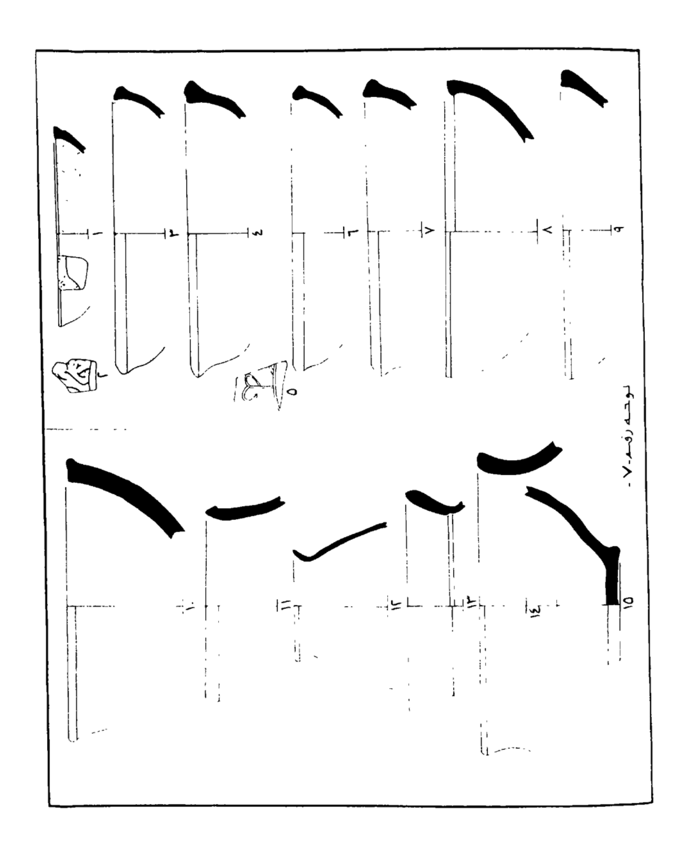
لوحة رقم - ٤ -



لوحـه رقـم -٥-



لوحة رقم -٦-



لوحة رقم -٧-

اللوحة رقم (٧)

القطعة رقم ١: المربع رقم ١، السوية رقم ٢، القرن الرابع عشر ـ القرن الخامس عشر.

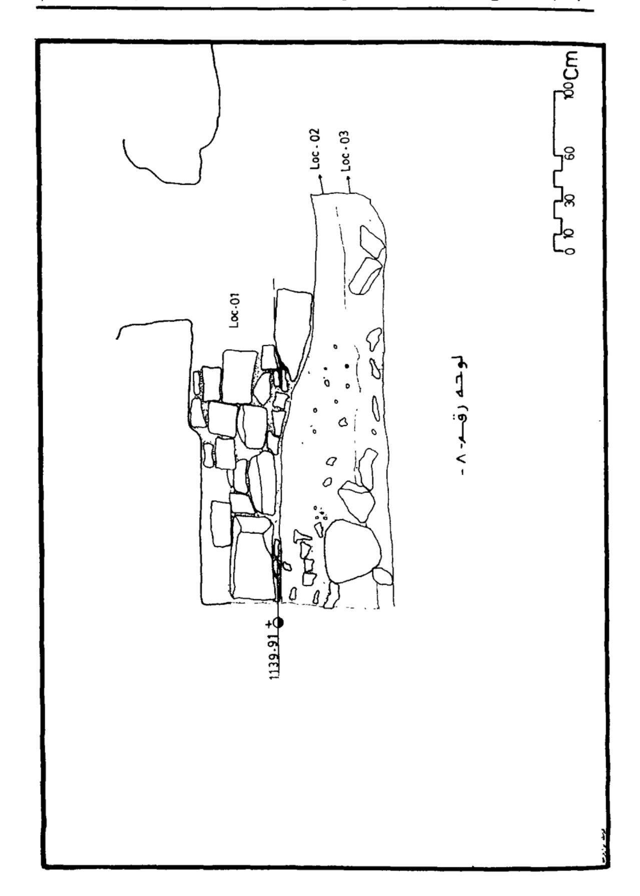
القطع رقم ٢ ـ ٤: مربع الكهف، السوية رقم ٢، القرن الرابع عشر ـ القرن الخامس عشر.

القطع رقم ٥ ـ ٧: مربع الكهف، السوية رقم ٣، القرن الرابع عشر ـ القرن الخامس عشر.

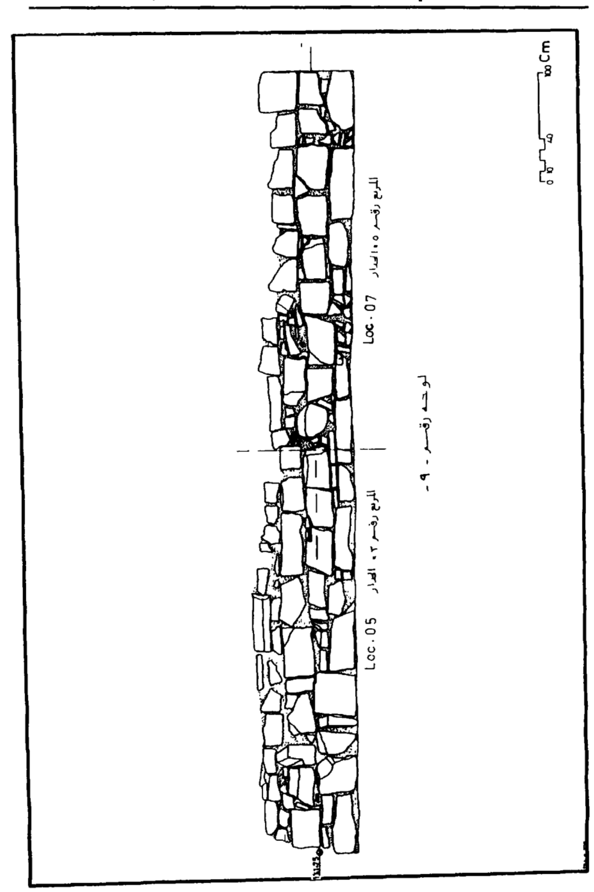
القطع رقم ٨ ـ ١١: مربع الكهف، السوية رقم ٢، تصنيع يدوي، القرن الرابع عشر ـ القرن السابع عشر.

القطعة رقم ١٢: مربع الكهف، السوية رقم ٢، مزججة باللون الأسود، القرن الخامس عشر ـ القرن السابع عشر.

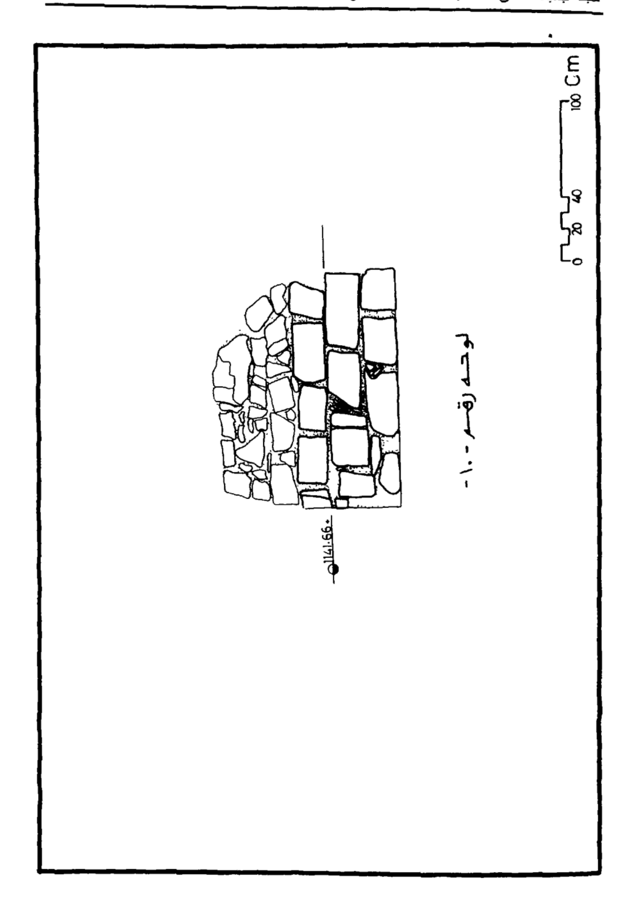
القطع رقم ١٣ ـ ١٥: مربع الكهف، السوية رقم ٣، القرن الرابع عشر ـ القرن السابع عشر.



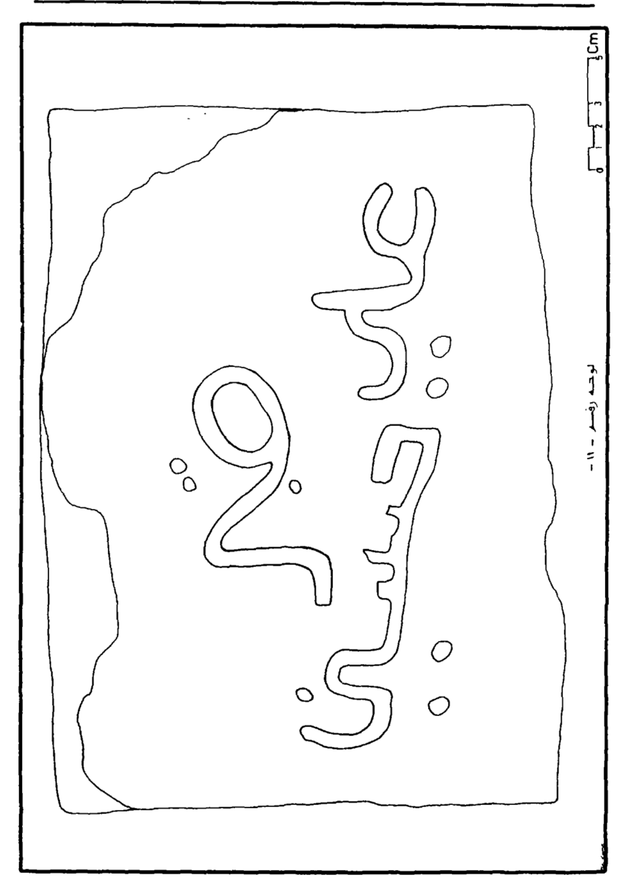
لوحة رقم -٨-



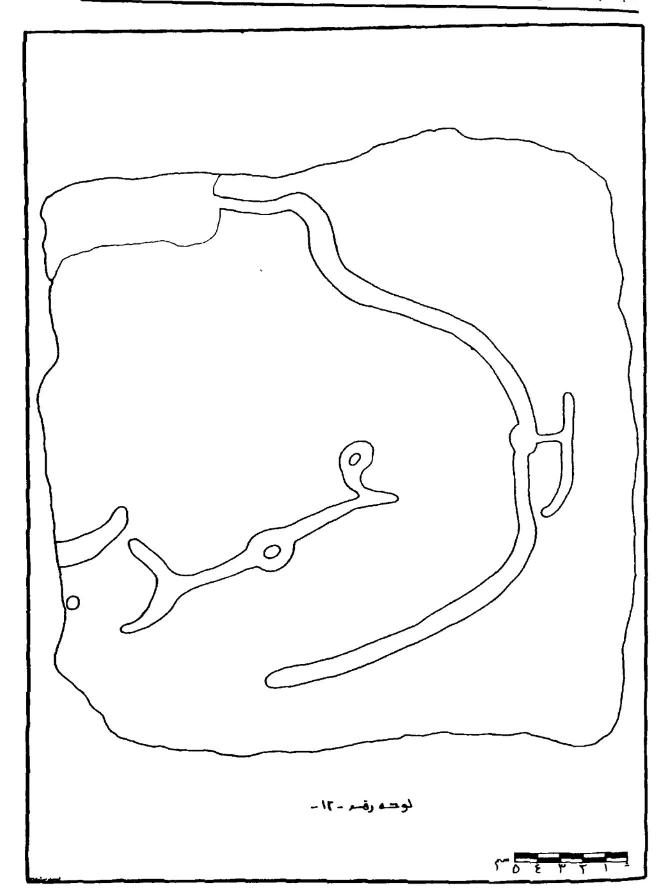
لوحة رقم - ٩ -



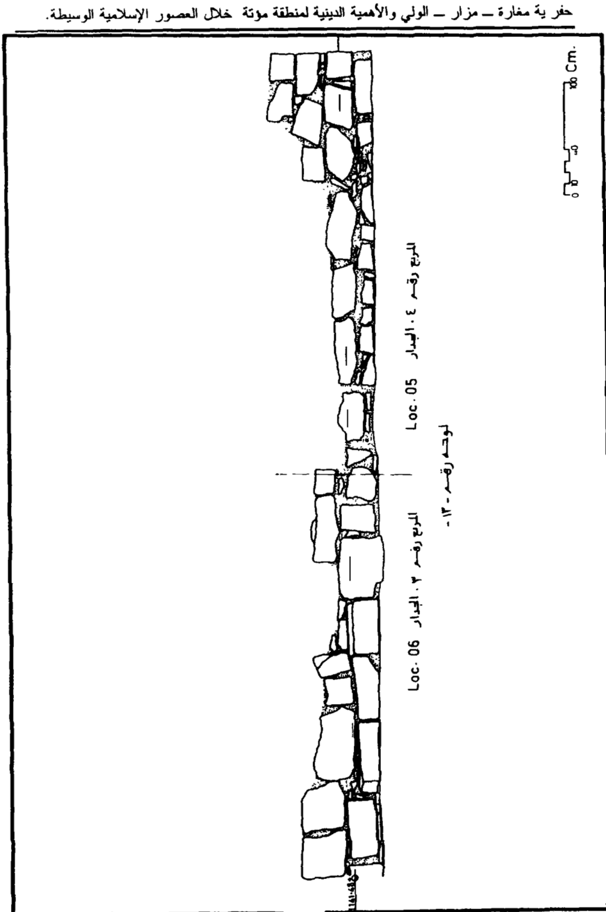
لوحة رقم -١٠-



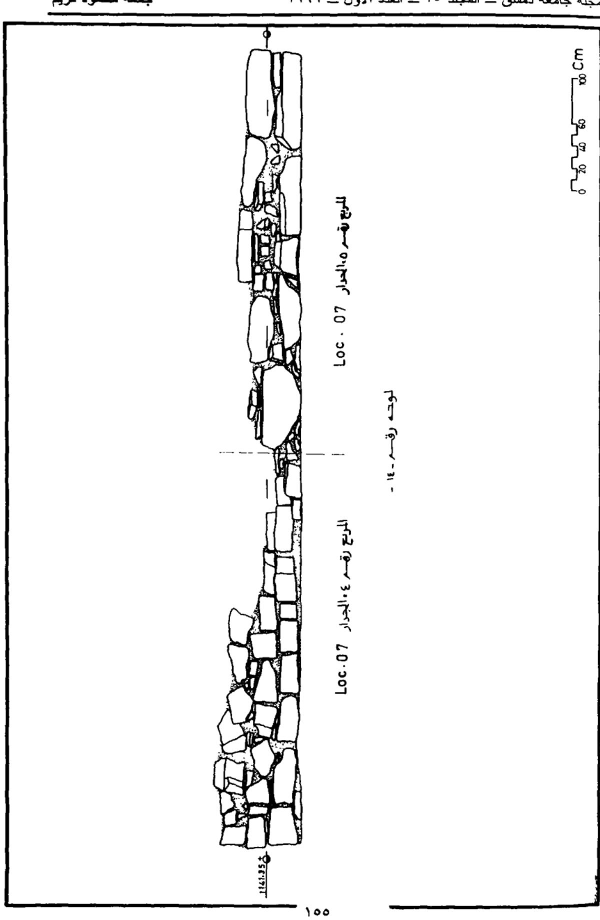
لوحة رقم - ١١ -



لوحة رقم -١٢-

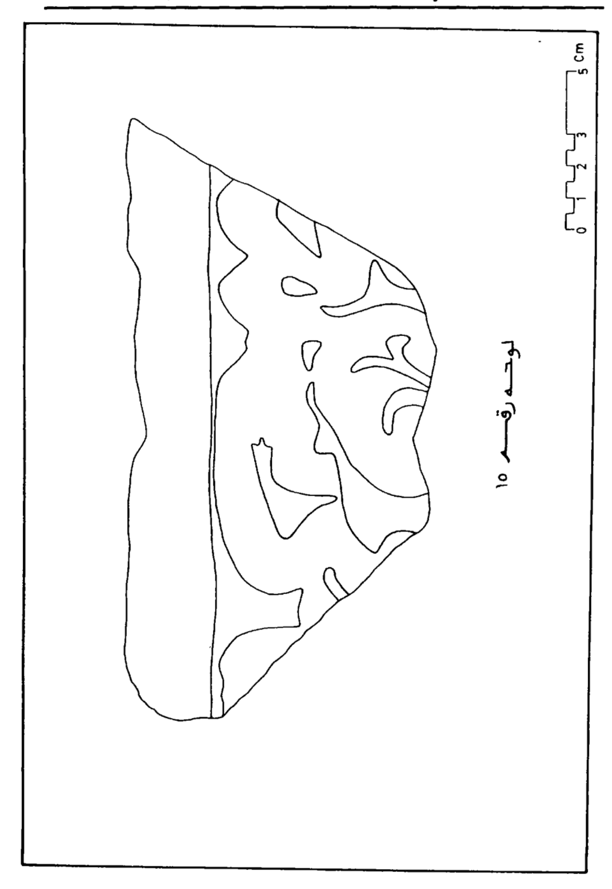


لوحة رقم -١٢-

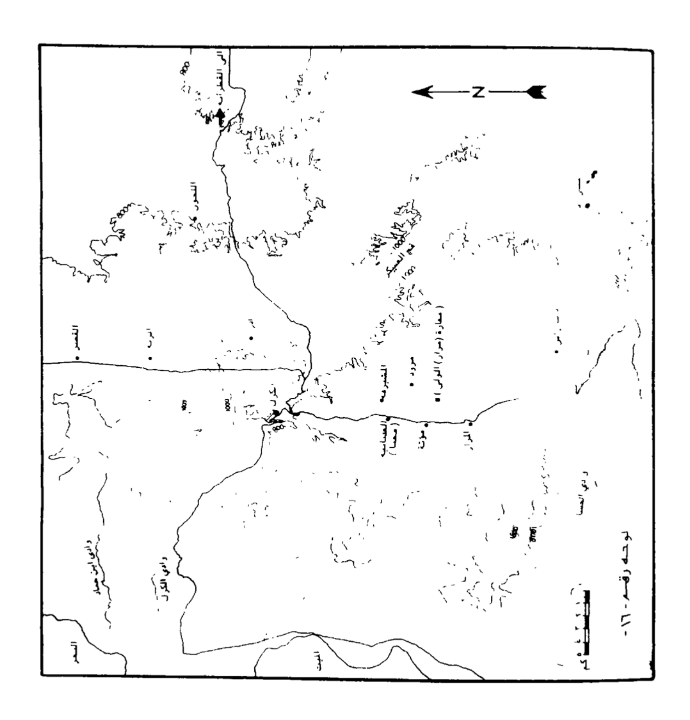


0 20 40 60 100 Cm
Loc . 07 الجدار المربع رقم ٥
Loc.07 الجدار المربع رقم ٤
1141.95

لوحة رقم -١٤-



لوحـــة رقــم ١٥



لوحة رقم -١٦-

اللوحة رقم (١٧)

القطعة رقم ١: الجزء السفلي لجرة فخارية، ذات لون أحمر فاتح، وتعـــود للعصـــر البيزنطي، عثر عليها في منطقة الرجم الحجري رقم ١.

القطعة رقم ٢: قاعدة لجرة فخارية، ذات لون أحمر فـــاتح، خاليـــة مـــن الزخـــارف السطحية مصنعة بواسطة الدولاب. تعود للعصر الأيوبي/ المملوكـــي، عـــثر عليـــها في منطقة الكهف السكني.

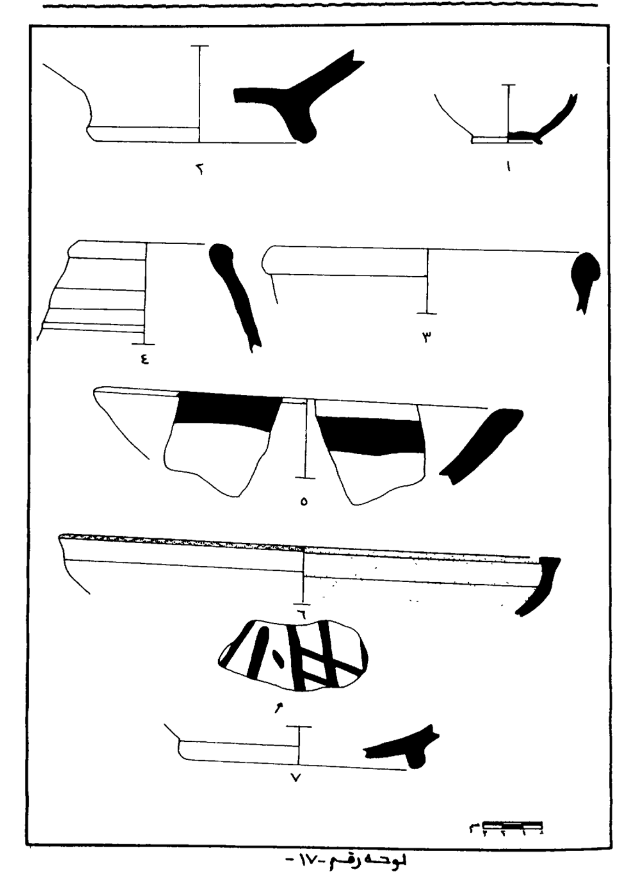
القطعة رقم ٣: حافة فوهة لصحن كبير الحجم (Basin) بلون أحمر غـــامق. يـــدوي التصنيع، تعود للعصر الأيوبي / المملوكي، عثر عليها في منطقة الكهف السكني.

القطعة رقم ٤: الجزء العلوي لجرة فخارية استخدمت لأغراض التخزيـــن. مصنعـــه بواسطة اليد، تعود للعصر الأيوبي / المملوكي،عثر عليها في منطقة الكهف السكني.

القطعة رقم ٥: الجزء العلوي لصحن، لون العجينة أحمر غامق، وتعلوها بطانة كريمه اللون، وتحمل اشرطه أفقية مـــن الدهـــان بـــاللون البنـــي القـــاتم. مصنعـــة بـــاليد وتعود للعصر الأيوبي / المملوكي، عثر عليها في مشهد جعفر بن أبي طالب.

القطعة رقم ٧: الجزء السفلي لصحن فخاري باللون الأحمر. ويحمل سطحه الداخلـــي أشرطة مـــن البطانـــة بشـــكل متقـــاطع وثـــم يعلوهـــا تزجيـــج بـــاللون الأصفـــر (Slip Painted Ware) عثر عليها في مشهد جعفر ين أبي طالب، وتعود للعصـــر الأيوبي / المملوكي.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٠/٩/١٩٩٧



لوحة رقم -١٧-

الغموض في الشعر العربي المعاصر وجماليات القراءة والتلقّي

د. خليل موسى
قسم اللغة العربية ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

حاولنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على ظاهرة الغموض الفني في الشعر العربي المعاصر، ووضحنا أن الغموض ظاهرة صحية إذا كان شكل القصيدة عضوياً وظيفياً، وإذا كان الغموض قد استدعته تقانات القصيدة المعاصرة والتطور الذي حدث في الحياة والآداب والفنون في هذا العصر، ولذلك توقف الباحث عند أسباب الغموض وتقاناته ليتوصل أخيراً إلى بيان أسرار القصيدة وجمالياتها وصلات النص الشعري الثري بالقارئ المعاصر، وليبين في النهاية أن الغموض قضية نسبية تختلف من قارئ إلى آخر.

المقدمة:

يتساءل الباحث مع المتسائلين: هل الغموض في الشعر العربي المعاصر ظاهرة صحيّة اقتضتها الظروف المعاصرة والحياة الجديدة، أو أنها ظاهرة مرضية، وهي لا تزيد على أنها تقليد لشعراء الغرب واتجاهاتهم النقدية وفلسفاتهم؟

و إذا كان الغموض ظاهرة صحية فنيّاً فما أسباب القطيعة بين كثير من شعرنا المعاصر وبعض المتلقّين الذين يتّهمون هذا الشعر بالتغريب والابتعاد عن مشكلاتهم وتقليد بعض المدارس الغربية؟...

ويتساءل الباحث أيضاً إذا كانت هذه التهمة تنطبق عل بعض شعرنا المعاصر فهل من الضروري أن تنسحب على الشعر المعاصر كله؟ ثم ما الأسباب والتقانات التي استخدمها الشعراء المعاصرون فأدت إلى غموض القصيدة فنّياً، فخرجت من أفقها المحدود إلى آفاق أرحب؟ ثم ما الجماليات التي ترتّبت على استخدام هذه التقانات والتي تقدّمها القصيدة للقارئ الجادّ.؟

الهدف:

يستهدف الباحث أن يبيّن الفروق بين الإبهام والغموض الفني في الشعر العربي المعاصر، ويحاول أن يتقصّى أسباب هذا الغموض، ويبحث في أسراره وتقاناته المختلفة، ليتوصل أخيراً إلى جمالياته التي تتطلّب قارئاً جديداً قادراً على مواجهة هذا الغموض الفنّي، واستنطاق أسراره، وارتياد مجاهيله، واستخراج كنوزه الدفينة.

ـ ١ ـ

لا بدّ أولاً من أن نفرّق بين الإبهام" Obscurité " والغموض " Ambiguité " في الشعر، فالإبهام ــ لغةً ــ من (بهم)، واستبهم عليه: استعجم فلم يقدر على

الكلام، والطريق المبهم إذا كان خفيا لا يستبين، وأمر مبهم: لا مأتى له. وإبهام الأمر: أن يشتبه فلا يعرف وجهه. وحائط مبهم: لا باب فيه[١].

إذا استقرأنا هذه المادة اللغوية وجدنا فيها ما يفيدنا في هذه القضية، فالإنسان إذا استبهم عليه الأمر لم يقدر على الكلام، وإذا تكلم لم يعبر ولم يفصّح ولم يبلغ، ومثل ذلك المعاني الأخرى، فهي من مادة واحدة، وجذر لغوي واحد، وهذا يدل على أن العجز في الإنسان الذي استبهم عليه الأمر، والطريق، والحائط، أو هو ـ بعبارة أوضح ـ عجز في المرسل .

يمكننا ـ بناء على ما تقدم ـ أن نقول إن الإبهام في الشعر مراوغة في التعبير وتحايل على الكلام لإخفاء العجز، أو سواه في نقل التجربة الشعرية، ولذلك الإبهام حيرة وارتباك واختلاط الأشياء بعضها ببعض. وتتركز فاعلية الإبهام في أمرين: أولهما إلغاء مسافات التفاعل بين النص والواقع، وذلك لعجز الشاعر عن تمثل التجربة التي يعيشها والتعبير عنها، فإذا هو يدور حولها دون أن يقترب منها،وثانيهما إلغاء مسافات التفاعل بين النص والمتلقي حين تحول الشاعر من وظيفته الشعرية إلى وظيفة أخرى، وهكذا يصبح الإبهام حالة مرضية، وهي حالة عجز، أو حالة انزياح عن الشعرية إلى اللاشعرية، وهي لعبة خارج دائرة الشعر.

أما الغموض ـ لغة ـ فهو من مادة (غمض)، ومن معانيها: الغمض والغماض والتغميض والإغماض:النوم. وما اغتمضت عيناي، وما ذقت غمضا: أي ما ذقت نوما. وتغميض العين: إغماضها. وقد غمض المكان أو الشيء: خفي، وكل مالم يتجه إليك من الأمور فقد غمض عليك، والغامض في الكلام: خلاف الواضح، ومسألة غامضة: فيها نظر ودقة. ومعنى غامض: لطيف[٢].

إذا استقرأنا هذه المادة وجدنا فيها غير ما وجدناه في مادة (بهم)، فهما ليستا مترادفتين ؛ فالنوم أمر صحي وطبيعي تحتاجه الكائنات لتحيا، وغموض المكان أو

الأشياء أمر طبيعي هو الآخر لتقادم العهد عليه، كالأطلال ـ مثلاً ـ في شعرنا الجاهلي، وقد يكون الغموض ناشئاً عن قصد. والمعنى الغامض لطيف، وهذا ما يثبت أن الغموض لا يعود إلى المرسِل وحده، وإنما يعود أيضاً إلى النّص والمتلقّي.

يتبيّن لنا مما مضى أن الإبهام شكل لا عضوي (آلي)، وهو علامة على النظم والتوهم، وهو حالة مرضية. أما الغموض فهو شكل عضوي فنّي، وهو نتيجة لأسباب كثيرة قد تكون في المرسل أو الرسالة أو المرسل إليه، أو في أكثر من طرف، ولذلك نتجاوز الكلام على الإبهام إلى الكلام على الغموض وصفاته.

والغموض ظاهرة قديمة في الشعر العربي، بل هي في الشعر بعامة، وإن كانت لم تستفحل استفحالها في الشعر المعاصر، وهي ذات أسباب متنوّعة من نصّ إلى آخر، وكأن أبا تمام قد وعى وظيفة الغموض في الشعر حين أجاب رجلاً سأله: " يا أبا تمام،لمَ لا تقول من الشعر ما يُعرف؟" فقال:" وأنتَ لم لا تعرف من الشعر ما يقالُ؟"[٣]، ولم يكن أبو تمام وحيداً في هذا المنحى الذي صار له أتباعه من النقاد العَرب في العصر العباسي، وأبو إسحق الصابي واحد من هؤلاء، فقد رأى في غموض الشعر قيمة أساسية تميّزه من النثر: "لأن الترسّل هو ما وضح معناه وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمّنته ألفاظُهُ، وأفخر الشعر ما غمض، فلم يعطِكَ غرضه إلا بعد مماطلة منه[٤].

يبيّن الصابي أن الفرق بين النثر والشعر هو في الوضوح والغموض، فطبيعة النثر الوضوح، وطبيعة الشعر الغموض، ثم يبين أن الفرق بين الشعر العادي والشعر الرفيع هو في درجة الغموض، فالشعر الأكثر غموضاً فنيًّا أرقى من سواه، وتستوقفنا لفظة "المماطلة "، فهي ذات دلالات بعيدة، وهي تكمن في علاقة القارئ بالنّص الشعري، وكأنها شبيهة بالعلاقة بين العاشق والمرأة الحصان، أو بين الفاتح العظيم والمدينة المحصّنة، فالنص الشعري لا يمنح نفسه لأي قارئ عابر، ولا يمنح

نفسه للقارئ الجاد إلا بعد مقاومة وتمنّع ومماطلة. وإذا كانت المدينة تغلق أبوابها أمام الغزاة، فعلى الفاتح أن يبحث عن ثغر ومفاتيح لتلك المدينة المستعصية، سواء أكانت هذه المفاتيح قوّة أم كانت حيلة (حصان طروادة)، وعلى القصيدة أن تكون سرًّا أو لغزاً، أو كما يقول "مالارميه": "يجب أن يكون لدينا دائماً لغز في الشعر، وهو هدف الأدب، وليس ثمة سواه، لتذكّر الأشياء(٥)، وعلى القارئ أن يكتشف مفاتيح خاصة بهذه القصيدة دون سواها، وكأنّ القارئ صيّاد بحري ماهر يُحسّن دائماً أدواته ويطوّرها للحصول على المزيد من ثروات البحار، ولكنّ كائنات الماء المستهدفة تتدرّب في الوقت نفسه على الإفلات من هذه الأدوات المتطورة، لتظلّ حركة التوازن في الطبيعة، فلا يعود الصيّاد بثروات البحر كلّها، ولا هي تستعصي عليه وعلى أدواته، وهذا غيض من فيض ممّا تدلّ عليه لفظة "المماطلة" في قول الصابي.

ـ ٢ ـ

حاول بعض الدارسين أن يتعرفوا على الأسباب التي أدت بالقصيدة إلى الغموض، ومنهم وليام امبسون في أطروحته "سبعة أنماط من الغموض" "Seven Types Of Ambiguity" التي نشرها كتاباً في عام ١٩٣٠م، وهو يحدّد معنى الغموض في المقدمة: "إنّك لا تحسم حسماً فيما تعنيه، أو أن تقصد إلى أن تعني أشياء عديدة، وفيه احتمال أنك تعني واحداً أو آخر من شيئين، أو تعني كليهما معاً، وأن الحقيقة الواحدة ذات معان عدّة"(٦).

ويربط امبسون بين غموض القصيدة الفني وتوالد التوتر عند القارئ ربطاً جدلياً فلابد لولادة هذا التوتر من أن يكون النص غامضاً، فيقول: "أكثر أنواع الغموض التي وقفت عندها تبدو لي جميلة. وأعتقد أني بالكشف عن طبيعة الغموض قد كشفت بالأمثلة المضروبة عن طبيعة القوى التي هي كفاء بأن تربط جوانبه وتضمّ

عناصره، وأحبّ أن أقول هنا إن مثل هذه القوى المتصورة تصوراً مبهماً ضرورية لقيام الكيان الكلّي للقصيدة، وإنها لا يمكن أن تفسّر عند الحديث عن الغموض لأنها مكملة له. غير أن الحديث عن الغموض قد يوضّح شيئاً كثيراً عنها، وأقول بخاصة إنه إن كان هناك تضاد فإنه يستتبع توتراً، وكلما زاد التضاد كبر التوتر"(٧).

ويصنّف امبسون الغموض في سبعة أنماط، ويفتتحها بأهمها، وهو الغموض الذي يكاد يغطي كل شيء ذي أهمية أدبية، ويركز فيه على الغموض الناتج عن المجاز والاستعارة والنعوت والإيقاع. ويتوقف بعد ذلك عند النمط الثاني، وهو الذي يتضمن اجتماع معنيين أو أكثر في معنى واحد يكون الشاعر قد قصده. أما النمط الثالث فينتج عن معنيين يمكن أن يحلّ كل منهما مكان الآخر في الكلمة الواحدة دون أن يكون بين المعنيين ارتباط عدا كونهما متناسبين في النص. ويمكن أن يتولد النمط الرابع من اتحاد عدة معانٍ بغرض توضيح حالة ذهنية خفية أو معقدة، والنمط الخامس حالة ذهنية غير ناضجة ومتكاملة في ذهن المؤلف. ويتصل النمط السادس بالقارئ حين يبدو له تعارض في أنماط النص، فيذهب إلى عدة دلالات في تفسيراته لما يقرأ. أما النمط السابع فهو الذي يعكس انقساماً في ذهن مؤلفه نظراً لاعتبارات مختلفة،وأهمها الاعتبارات النفسية.

لاقت أطروحة امبسون قبولاً وتعارضاً، فامتدحها عدد من الدارسين، واخذ عليها بعضهم بعض المآخذ، ولكن المهم أن امبسون استطاع أن يفرّق تفريقاً جيداً بين الغموض الفني والإبهام، وذهب إلى أن الإبهام ضارّ بالعملية الشعرية، في حين أن الغموض القيّم هو في الواقع "تعدّد الإشارات"، فهو يضيف غنًى وتعقيداً لبنية المعنى ولا يبهمهما(٨).

ونالت ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر حظوة لدي بعض الدارسين والشعراء العرب ولا تزال، وفي مقدمة هؤلاء الدكتور شكري محمد عيّاد الذي أعاد

هذه الظاهرة إلى ثلاثة أسباب، هي:

١ ــ ثقافة الشاعر المعاصر ٢ ــ التركيز الشديد ٣ ــ التجريد(٩)

أما الدكتور عزّ الدين إسماعيل فهو يذهب في دراسته إلى أن لغة الشعر العربي المعاصر مختلفة عن لغة الشعر في النصف الأول من هذا القرن، وأن لكلّ تجربة شعرية معاصرة لغتها الخاصة(١٠)، وتوالت بعد ذلك الندوات والدراسات التي تتصل بهذه الظاهرة من قريب أو بعيد.

للوقوف على أسباب ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر لابدّ من دراستها عند الشاعر والقارئ وفي النص.

يجمع كثير من الدارسين على أن الغموض إذا كان مصدره الشاعر فهو يعود إلى عجز في التعبير عن التجربة الشعرية أو عدم نضجها واكتمالها، أو القصدية في التعقيد والإبهام، وهذا خارج عن نطاق هذه الدراسة.

لكن الشاعر قد يلجأ لظروف خارجية عن إرادته إلى الغموض، كأن يكون حذراً من السلطة الغاشمة، وهذا ما يمكن أن نمثل عليه ببعض شعر السياب، فقد أشارت عليه زوجه في كانون الأول ١٩٥٥ أن يكون حذراً في شعره، فنظم قصيدته الغامضة "تعتيم"، وهو يرمز فيها بالظلام إلى السلطة، وبالنمور إلى عملائها، وهو يخاف النور الذي يهدي إليه النمور المفترسة:

كم ذادَ بالنّارِ،

من أسدٍ ضاري

وكم أخاف النمور

إنسان تلك العصور

بالنور والنّارِ !

فأطفئي مصباحنا أطفئيه

ولنطفئ التنور*[١١]

ولذلك اتكأ السياب على الرموز الأسطورية الإغريقية للتعبير عن تجربة واقعية سياسية في عصر عبد الكريم قاسم في قصيدته "سربروس في بابل" [١٢].

وقد تعود أسباب الغموض إلى قصور في القارئ نفسه، كالعجز عن مواكبته للتطور في بنية القصيدة الفنية، وهذا ما أجاب عنه سؤال أبي تمام، أو لأن معايير القارئ تختلف عن معايير الشعر، وهذا ما يجيب عنه الدكتور عز الدين إسماعيل بقوله: "ومن ثم فإننا نصف الشاعر بأنه غامض، والحقيقة أننا لا نحكم عليه هذا الحكم إلا لأننا منطقيون، ولأننا اعتدنا أن نتعامل باللغة في الوضوح[١٣].

أما الغموض الفني الناجم عن النص الشعري فهو يتجلى في أشكال مختلفة يجمع بينها تعدد الدلالة واختلاف لغة العصر، فالقرن العشرون قرن الحضارة والتعقيد،وهو عصر مراكب الفضاء والاختراعات التي فاقت تصوّر الإنسان القديم، ولذلك فإن ظاهرة الغموض لا تقتصر على القصيدة وحدها، وإنما هي تشمل الفنون والعمران والعلاقات الاجتماعية نفسها، ولذلك فإن من حقّ القصيدة المعاصرة أن تعبّر عن الإنسان وعلاقاته الاجتماعية والنفسية والمصيرية، وأن تطوّر هي الأخرى مكوّناتها وعناصرها وتقاناتها وبنيتها الفنّية، لا أن تتّجه اتجاهاً مغايراً للعصر وتجاربه.

وبناء على ما تقدّم فإن رسالة النص الشعري المعاصر اختلفت في موضوعاتها وبنيتها عن رسالة النص الشعري القديم، فكانت الموضوعات محدّدة، وقد اعتاد القارئ على أن تكون مألوفة لديه، فهي المديح أو الفخر أو العتاب أو الهجاء أو الغزل أو ما

شابه ذلك، ومعانيها واحدة، فالمديح والفخر والعتاب تتضمّن معاني الكرم والشجاعة والنبل وما إليها، ومعاني الهجاء نقيض ذلك: بخل وجبن وخساسة، وظلّ الشاعر يسعى إلى أن تكون قصيدته محاكاة للنموذج في أذهان المتلقّين، وهو يسعى أيضاً إلى إرضاء أكبر عدد منهم: أخلاقيين وتاريخيين وسياسيين ولغويين وسواهم، ولذلك تخرج قصيدته مثل كل القصائد، وتكون مقدرة الشاعر وموهبته وإجادته في التماثل مع القيم المعنوية والتعبيرية والفنّية.

واختلفت رسالة الشعر حين استبدل الشاعر المعاصر العالم الداخلي بالعالم الخارجي فاتجه إلى الداخل لاستنطاقه واكتشاف مجاهيله، وصار هذا العالم مصدراً أساسيّاً للطاقة الشعرية، فتهدّم المعقول والنموذج والمألوف والفضاء القديم، واقتضى اختلاف طبيعة الرسالة الشعرية اختلافاً في فضائها، فقد كان في القديم خارجيّاً في معظمه، وهذا يعني أنه وصف لحالة كائنة أو احتمالية، وكانت بنية القصيدة منسجمة مع واقعها ومحاكاتها له، ولكن الشاعر المعاصر أخذ يعبر عن تجربة اغترابية عن الحياة والعصر معاً، وأخذ يحاكي ما يجيش في أعماق النفس الإنسانية، ولذلك أخذ يصف ما سيكون على أساس أن الشاعر راءٍ والقصيدة مرآة المستقبل، وهكذا اتجه النص الشعري من المعلوم إلى المجهول، ومن الحاضر إلى المستقبل، ومن الرؤية إلى الرؤيا، وصار الشاعر المعاصر يطرح أسئلة ويُثير اختلافات، ولذلك اتجه بعض الشعراء المعاصرين صراحة إلى الغموض، ومن هؤلاء أدونيس الذي سعى منذ بداياته إلى أن يكون غامضاً ومختلفاً، فعبّر عن ذلك بقوله:

في عتمةِ الأشياءِ في سرّها

أحبُّ أن أبقى

أحبُّ أن أستبطن الخلْقا

كغربةِ الفنّ

كالمُبْهَمِ الغُفْلِ وغيرِ الأكيدْ

أُولدُ في كلِّ غدٍ من جديدْ (١٤)

وظلّ أدونيس يؤكد إصراره على الذهاب في هذه الظاهرة إلى النهاية، فقال:

وسوف أبقى غامضاً أليفاً

أسكُنُ في الأزهار والحجارةْ

أغيبُ / أستقصي / أرى / أمُوجْ

كالضوءِ بينَ السّحرِ والإشارةْ (١٥)

ولم تقتصر هذه الظاهرة على شعراء الغموض، وإنما تجاوزتهم إلى بعض شعراء البساطة والوضوح، فمحمود درويش شاعر القضية الفلسطينية تحول هو الآخر بعد السبعينيات إلى هذا الاتجاه، فهو يصرّح بذلك في قصيدته ((طوبى لشيء لم يصل)) ويقول:

طوبى لشيءٍ غامضٍ

طوبى لشيءٍ لم يصلْ

فكّوا طلاسمه ومزّقهم

فأرّخت البداية من خطاهم

وانتميت إلى رؤاهم

آه.. يا أشياء ! كوني مبهمةْ (١٦)

إن هذا التغيّر في رسالة النّص الشعري وطبيعته يقتضي تغيّراً مماثلاً في بنيته، فبعد أن كان فضاء النص ساكناً محدّد البدايات والنهايات صار مفتوحاً في بداياته ونهاياته

كالأمواج غير المستقرة، فاختلفت تبعا لذلك هندسة القصيدة، فقد كانت في القديم منغلقة على ذاتها " نظام الشطرين "، وهي ذات أفق محدد معروف سلفا من الشاعر والقارئ، ويتحدد هذا الأفق بالوزن القديم والقافية الموحدة، وهو ذو قيم إيقاعية متوارثة ثابتة وقانون مألوف، ويشكل البيت الشعري في هندسة هذه القصيدة وحدة إيقاعية ودلالية معا، ولكن القصيدة المعاصرة انفتحت على الحدود كالسيل الجارف، فلا يستطيع الشاعر أن يتحكم تحكما كليا في مسيرتها، فاستبدلت القيم الإيقاعية الجديدة والفضاء الإيقاعي المختلف بالقيم الإيقاعية المتوارثة الثابتة والفضاء الإيقاعي المتشابه، وغدت الوحدة الإيقاعية والدلالية منساحة مع التموجات التي لاتهدأ ولا تستقر إلا بنهاية القصيدة التي غدت وحدة إيقاعية ودلالية تتشبه بالتعبير الموسيقي وأسراره، أو كما قال مالارميه: " أعرف أنهم يريدون حصر الأسرار في الموسيقا، بينما الكتابة تدعي ذلك[١٧]، ولذلك لا يتوقع القارئ توقعا سليما أين تنتهي التموجات الإيقاعية الدلالية وأين تقف، وهي تجتاز حدودها كالسيل، وتتجاوز الأفق المرسوم لها سلفا إلى آفاق لا نهائية وتلغي نموذجها الخارجي، وتخرج من التشابه والتماثل إلى الاختلاف والتعدد والتجاوز، ولذلك لا يستطيع القارئ أن يلتقط أنفاسه إلا في نهاية القصيدة، وهذا ما يسبب له التعب والغموض معا.

و لم يقتصر التغير في بنية النص الشعري المعاصر على التغير في فضائه وهندسته ونموذجه، وإنما تعداها إلى اللحمة الداخلية، وهو يأتي بالفكرة تلو الفكرة وينظم تناسقها، ثم ينتقل إلى أخرى، ولكن الشاعر المعاصر ينزع إلى تعدد الأبعاد وتشابكها أفقيا وعموديا، كانتقال القصيدة من الغنائية والمباشرة إلى الدرامية واللامباشرة، أو كاستخدام الشاعر تقانات جديدة، كتقانة تراسل الحواس، والرمز، والأسطورة والمونولوغ، والمحاورة، والتناص، والانزياح، فصار ثمة دلالات صريحة ودلالات ضمنية ينفرد بها كل نسق على حدة، ولم يقتصر التغير في بنية النص الشعري المعاصر على التغير في فضائه وهندسته ونموذجه، وإنما تعداها إلى اللحمة

الداخلية، وهو يأتي بالفكرة تلو الفكرة وينظّم تناسقها، ثمّ ينتقل إلى أخرى، ولكنَّ الشاعر المعاصر ينزع إلى تعدّد الأبعاد وتشابكها أفقيّاً وعموديّاً، كانتقال القصيدة من الغنائية والمباشرة إلى الدرامية واللاّ مباشرة، أو كاستخدام الشاعر تقانات جديدة،كتقانة تراسل الحواس، والرمز، والأسطورة، والمونولوغ، والمحاورة، والتناص والانزياح،فصار ثمة دلالات صريحة ودلالات ضمنية ينفرد بها كل نسق على حدة، فكثيراً ما يخفي الشاعر المعاصر الدلالة الضمنية تحت الدلالة الصريحة، وربما استخدم لغرضه هذا تقانات مختلفة، فأمل دنقل في قصيدته "كلمات سبارتكوس الأخيرة" يحول البساطة إلى غموض، ويتوصل، من خلال التهكمية الشديدة ومرارة السخرية من الواقع، إلى أن يدرك المتلقي أن تحت الدلالة السطحية البسيطة دلالة أخرى نقيضة لها، وتتجلى المفارقة حينذاك في ذهن المتلقي بين المعنيين المتضادين، وهذه وصيته الأخيرة:

إني تركتُ زوجتي بلا وداعْ

وإن رأيتم طفلي الذي تركتُهُ على ذراعها بلا ذراع

فعلّموه الانحناءْ

علّموه الانحناءْ

علّموه الانحناءْ.. (١٨)

إن سبارتكوس الرافض لكل أشكال العبودية وللمجتمع الاستبدادي، وقد مات في سبيل الحرية، لا يمكن أن يطلب من الآخرين أن يعلموا طفله في المستقبل الخضوع،ولذلك جاء المعنى الضمني مغايراً كل المغايرة للمعنى السطحي، بل هو يسير في اتجاه معاكس في حركته وقوته، وهو متوتر تحت المعنى السطحي توتراً شديداً، بل هو يسير في اتجاه معاكس في حركته وقوته، فجاءت عبارة "علموه الانحناء" متصلة

بسياقها في النص، غير محدودة الدلالة.

وللتجريد نصيب آخر في غموض القصيدة، وبخاصة أن بعض الشعراء المعاصرين يذهب إلى أن الثقافة ضرورية للشعر، وأن على الشاعر المعاصر أن يكون مطلعاً على التيارات الفكرية في العالم، ومن هؤلاء أدونيس الذي اتسم شعره منذ البدايات بالخبرة الثقافية المجردة، ودعا، ولا يزال، إلى رفض الواقع وضرورة تجاوزه إلى واقع بديل، ويمكننا أن نضرب مثلاً على ذلك بالمقطع الأول من قصيدته "أوراق في الريح":

لأنني أمشي

أدركني نعشي[(١٩)]

فالعلاقة التي تربط فيما بين الجملتين غير بسيطة، وفيها الكثير من الإخفاء والاختزال والتجريد، فالحركة (أمشي) علامة على الحياة، والنعش علامة على السكون والموت، ولذلك على القارئ أن يبحث عن علاقة أخفاها الشاعر، وعن معنى ضمني لم يقله صراحة، وكأنه أراد أن يبين لنا أن موته نتيجة للحركة، ولذلك يستنتج القارئ أن الشاعر يعيش في مجتمع متخلف عبودي، وأنه يرفض أن يكون رقماً كالآخرين، ولذلك هو يختار الموت في سبيل الحرية. وقد ظل أدونيس يكرر هذا المعنى بأشكال مختلفة في شعره، وإذا جاز لنا أن نفسّر الشعر بالشعر فإن مقطعاً آخر يعيد هذه المقولة:

لكي تقول الحقيقةْ

غيّرْ خطاكَ، تهيّأْ

لكي تصيرَ حريقةْ[(٢٠)]

وواضح من هذا المقطع التناص الإشاري إلى أسطورة الفينيق دون أن يصرح

بذلك، ولذلك ذهب محمود أمين العالم إلى أن غموض شعر أدونيس معنوي وأن تذوقه يتطلب جهداً عقلانياً وإعمالاً في أغلب الأحيان(٢١).

ويطوف الشاعر المعاصر أحياناً في آفاق ميتافيزيقية صوفية سريالية مستمدة من الحلم، وهي تنم عن مناخ شعري سريالي من الصعوبة القبض على دلالته، وينعدم حينذاك الرابط الداخلي الذي يحكم هذه الصور المشتتة، وتغدو عملية التأويل نوعاً من العبث، ويمكننا أن نضرب على ذلك مثالاً من شعر أدونيس تكدست فيه الصور دون أي رابط بينها:

ثدي النملة يفرز حليبَهُ ويغسلُ الاسكندر

الفرسُ جهاتٌ أربعُ ورغيفٌ واحد

والطريقُ كالبيضةِ لا بداية له(٢٢).

وللنص الشعري القديم أبوّة ينتمي إليها ويسير في ركابها، والقصيدة العربية غنائية، وهي تنتمي إلى هذا الجنس وموضوعاته وأفقه، ولذلك ينمو النّص بفعل التكاثر العضوي، وهو يشبه سواه ويتماثل معه، وهذا التشابه الأجناسيّ يسهم في عملية التلقي، وهو " يخبر القارئ عن الطريقة التي ينبغي أن يفهم بها نصّه. بتعبير آخر: الجنس سلطة يضمن قابلية فهم النص من وجهة نظر صياغته ومحتواه(٢٣). "أمّا القصيدة المعاصرة في بعض نماذجها فقد اجتاحت هذه الحدود وخرجت من التجنيس إلى اللاتجنيس، ومن الأفق المحدّد إلى أفق لا محدّد، فلم تبقَ غنائية خالصة، ولا هي تشبه ما سبقها من قصائد، وهذا يعني أنها تنمو بفعل شبكي (تناص) فتمتدّ إلى سواها من الأجناس الأدبية (مسرحية - رواية- قصة -مقالة..إلخ). لتتغذى بها، وتستمدّ عناصرها منها، وهي لا تشبه سواها، أو هي نصّ اختلاف مفتوح على اللاّتجنيس، وهي تجمع بين عناصر من هذا الجنس وعناصر من أجناس أخرى، كانفتاح القصيدة الغنائية على السرد القصصي في كثير من أعمال

السياب، ومنها "حفّار القبور" و"المومس العمياء" و"الأسلحة والأطفال" وانفتاح القصيدة على الفن السينمائي (العين) في بعض أعمال خليل حاوي،و منها نشيد "البّحار والدرويش" وانفتاحها على الدراما والحوار المسرحي في بعض أعمال السياب وحاوي وأمل دنقل وسواهم، وقد أدّى هذا التداخل الأجناسي إلى انزياح النص الشعري من سلسلة النصوص التي كان ينتمي إليها وتشكّل سرباً ذا أفق محدّد إلى أن يسير هذا النص في أفق مستقلّ جديد يحتاج معه المتلقي إلى وقت لاستيعابه وقبوله.

وكانت القصيدة تُنظم لتنشد، ويقوم الشاعر من خلال نبرات صوته واهتزاز جسده وملامح وجهه وحركاته بتوضيح قسم كبير من النّص الشعري وبيان دلالاته، إذ يرافق النطق تعبيرات لا لسانية، كعلامات الوجه من رضىً أو غضب، وحركات الشفتين والوجه واليدين والجسد وتموجات الصوت واندفاعه وصعوده وهبوطه ولذلك لا يكتمل نقص القصيدة الغنائية إلاّ بحضور الشاعر، فهو وحده الذي يتكلّم، وهو يوضّحها بالإنشاد ويشرحها بحركاته، ولذلك كان عصر الشفوية عصر الشاعر،ولكن القصيدة المعاصرة خرجت في بعض نماذجها من طور الشفوية والإنشاد إلى طور الكتابة، وهذا يستدعي غياب المرسل وحضور القارئ، فالقصيدة المعاصرة ناقصة، وملفوظها جزء منها، وهو يشكّل مع البياض والإشارات فضاء النص، وهي لاتعتمد على السمع، وإنما تعتمد على البصر بعد أن أصبحت الصفحة لوحة وبعد أن غاب الشاعر وصوته واحتل القارئ دوره، وبدأ يتكلّم بعد أن كان صامتاً، ولذلك خرجت القصيدة من الائتلاف إلى الاختلاف، ومن البساطة إلى التركيب، ومن الأحادية إلى التعددية، وهذا يحتاج إلى قارئ خبير ليحدّد دلالاتها، ويلاحق انتشارها في فضاء مفتوح، ويمكننا أن نضرب مثلاً على القصيدة التي تسير باتجاه الكتابة بعمل ((مفرد بصيغة الجمع)) لأدونيس، ففيه اختلافات بين كمية البياض وكمية السواد وتوزيعهما في الصفحات، وفيه بعض الرسوم والإشارات التي تعبّر هي الأخرى إلى جانب الملفوظ.

وكانت اللفظة في القصيدة التقليدية غاية في ذاتها، وهي زينة أو زخرف، وجمالها فيها، ولذلك كانت الألفاظ الشعرية محدّدة المعالم، وهناك ألفاظ مُنع عليها دخول الحرم الشعري، ولكنّ اللفظة في القصيدة المعاصرة ليست غاية في ذاتها، ولا يكمن جمالها فيها، وإنما يكمن في علاقاتها السياقية، وقد كانت اللفظة تمرّ من المعجم إلى القصيدة التقليدية إلى القارئ دون أن يصيبها أيّ تغيير، فكان المعجم مرجعاً وحيداً لدلالتها، ولكنها في القصيدة المعاصرة تمرُّ من المعجم إلى النص الشعري إلى القارئ عبر تجربة الشاعر الداخلية في أثناء نظم القصيدة من جهة، وتجربة القارئ في أثناء القراءة من جهة، فاختلف سرّ الصياغة، وحلّ السياق محلّ المعجم في مرجعيّة دلالة اللفظة، وتراجع الرابط الخارجي المنطقي ليحلّ محلّه الرابط الإحساسيّ، وبخاصة في الرمزية التي لم يكن شعراؤها " بصدد جمع الكلمات وفقاً للنمطق، لكي يحقّقوا معنى يستطيع جميع الناس إدراكه، وإنما كانوا يجمعونها حسب الإحساس، لكي يُبرزوا خاطراً أدركه الشاعر وحده" (٢٤). وصار على الكلمات إذاً أن تُستعمل بمعانٍ جديدة، لأن لكلّ كلمة معاني شتّى غير معناها المألوف، وبدت اللغة سراً عند بودلير، وهي غابات رموز:

مثل أصداءِ طويلةٍ تختلط من بعيدٍ

في وحدةٍ غامضةٍ وعميقةٍ،

كالليلِ والبهاءِ سِعَةً

تتجاوبُ العطورُ والألوانُ والأنغام(٢٥).

إنّ الربط الاعتباطي بين الدال والمدلول يفسح للصوت مجالاً في أن يؤدي أيّ معنى، ولذلك يمكن أن يكون في أيّ لفظة ضمن السياق الشعري معنى ثابت يشدّ دلالتها إلى المعجم، ومعنى متحرك يبعدها عنه، وتصبح قيمة اللفظة في حركة معناها وانزياحها عن الدلالة المعجمية، ولذلك تفقد " مهمتها باعتبارها عملاً

تواصليّاً، إذ إنها حينئذ لا تقوم بتوصيل شيء، أو بعبارة أدقّ، لا توصل سوى ذاتها[٢٦].

وتكون اللفظة الشعرية بنت سياقها، فهي منفعلة بمحيطها، فاعلة فيه، وهي لغة داخل اللغة، فلفظة "مطر "–مثلاً – تعني معجميّاً: ماء السحاب، ولكنها تخرج على هذه الدلالة المرجعية في معناها المتحرّك في قصيدة "أنشودة المطر ":

و منذُ أن كُنَّا صغاراً، كانتِ السّماءْ

تَغيمُ في الشّتاءْ

و يهطِلُ المَطَرْ

و كلَّ عامٍ ــ حينَ يُعْشِبُ الثَّرى ــ نَجُوعْ

ما مرَّ عامٌ والعراقُ ليسَ فيه جوعْ

مَطَرْ..

مَطَرْ..

مَطَرْ..[٢٧].

تشكّل كلمة " مطر " المتكرّرة ثلاث مرات في اللازمة أو مفتاح القصيدة ــ وهي كلمة مقيّدة بالسكون ومفتوحة على ثلاث نقاط ــ فضاء رؤيوياً متناقضاً والفضاء الذي وصفه الشاعر في السرد الشعري قبل اللازمة، وهي مختلفة في دلالاتها عن دلالة لفظة " المطر" الواردة في الشطرة الثالثة، فتلك الدلالة معجمية ثابتةٌ، وهي تعني ماء السحاب الذي اعتاده الشاعر منذ طفولته،ولكن دلالة لفظة "مطر "في اللازمة حيادية، فهي لا تدلّ على ماء السحاب، وإنما هي نكرة مقيّدة صارمة تقع صوتيّاً كقرع الطبل المتواصل بشدّة ثلاث مرات، لينداح الصدى، عبر هذه النقاط بعد كل كلمة

عبر فضاءات لا نهائية من حركية الدلالة، وهي مطر جديد يتنبأ الشاعر بحدوثه أو يستسقيه، فغدت الكلمة رمزاً ولد ولادة طبيعية ضمن السياق، وقد هيأ له الشاعر بالسرد والوصف، وقدّم لولادته، ثم جاءت الكلمة في نهاية الموجة الشعرية واحدة، كرّرها الشاعر ثلاث مرات، لتتحرّر من دلالتها المعجمية، وتنتشر في آفاق لا محدودة أو ليختصر الشاعر فيها كلّ ما لم يقله صراحة، فغسلها من الداخل وحمّلها دلالات جديدة ليست فيها من قبل، ففيها هدم لعالم الفساد والظلم، وفيها بناء لعالم المساواة والعدل، وفيها استسقاء أسطوري لمطر أسطوري قادر على غسل العالم من أدرانه، وفيها سوى ذلك، وهكذا استطاع الشاعر أن يجدّد شباب هذه اللفظة ويجدّد وظيفتها من خلال علاقاتها السياقية، وهذا يبّين أنّ اللفظة الشعرية ذات قوّة سحرية، فإذا استخدمت استخداماً لا شعريّاً ظلت في مجالها المرسوم لها سلفاً، وإذا استخدمت شعريّاً ماجت ومارت وتجاوزت مجالها المعجمي إلى فضاءات ذات دلالات بعيدة، ولهذا فإن لغة الشعر تمثيلية، وهي تمثّل حالة مختلفة لشاعر ما في لحظة معيّنة، أو تمثل حالة قارئ ما في لحظة القراءة. واللفظة في المعجم غيرها في السياق، وهي في المعجم برأي سليمان العيسى حطبة يابسة، وهي في الشعر غصن أخضر يموج بالحياة(٢٨).

والانزياح علامة من علامات الشعرية، وهو وسيلة لانتقال اللغة من النثر إلى الشعر، فهو يدمرّ الوظيفة العادية للغة، لتقوم بالوظيفة الشعرية، وإذا كان التقرير والإخبار وظيفة النثر فإن الإيحاء الذي يُحدثه الانزياح هو وظيفة الشعرية، ولذلك فإن اللسان النثري أخذ ينفصل عن اللسان الشعري في الدراسات الألسنية المعاصرة، وقد توقف " بارت " عند هذه القضية قائلاً: " اللسانان الشعري والنثري منفصل أحدهما عن الآخر، بحيث يستطيع كلّ منهما أن يستغني عن الآخر بدلالاته نفسها التي تعبّر عن غيريته(٢٩)" وهذا ما انطلق منه "جان كوهن" في كتابه "بنية اللغة الشعرية" ليبيّن أن الشعر ليس نثراً زيد عليه شيء آخر، ولكنه

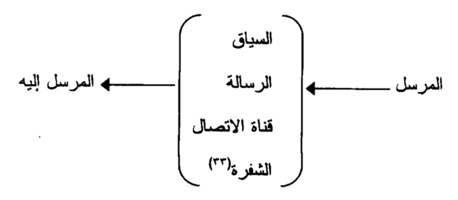
نقيض النثر[٣٠] وذهب كوهن إلى أن الفرق بين اللسانين الشعري والنثري هو في الانزياح، وأكد ذلك في عدة مواطن من كتابه، مثل قوله: "نستطيع أن نقدم البرهان العكسي، فنثبت أنه يكفي أن نحذف أو نخفف الانزياح في أي صيغة شعرية فينتفي الشعر[٣١]، وهو يحاول ــ في الوظيفة الشعرية ــ أن يرد على الاعتراضات التي ذهب أصحابها إلى أن الانزياح لا يؤكد بأنه يمثل الشرط الضروري والكافي للواقعة الشعرية، فيقول: " ينبغي، لإثبات أنه ضروري، أن نبين أنه لا شعر في غير انزياح، ولإثبات أنه كاف، أن نبين أنه لا وجود لانزياح من غير الشعر[٣٢].

و الانزياح الذي هو علامة الشعرية، هو، في الوقت ذاته، سبب من أسباب غموض القصيدة المعاصرة، وهو مثل الحياة المعاصرة، وموضوعات الشعر المستحدثة وهندسة القصيدة والتجريد، واللاتجنيس، والكتابة، وغياب الدلالة المعجمية للألفاظ الشعرية، مصدر ثراء للدلالات الشعرية وجمالياتها وقراءاتها.

ــ ٣ ــ

إذا كان النقد البنيوي قد أعلى من سلطة النص وابتدأ منه وانتهى به، فإن الاتجاهات النقدية التي انبثقت من البنيوية، وشكلت اتجاهات " ما بعد البنيوية " قد أعلت من سلطة القراءة، وبخاصة في الاتجاه التفكيكي، فمضى زمن تسلط المؤلف،كما مضى زمن تسلط النص وهيمنته على النقد الأدبي بعامة، وعلى الدراسات التطبيقية منه بخاصة، وأخذ النقد يتجه نحو القارئ ويهتم به، فغدا إنتاجا بعد أن كان استهلاكا حتى إن النص نفسه غدا بين يدي القارئ الخبير مادة أولية، يفككها، ويسد الثغر في بنية النص، ثم يعيد إنتاجه، ولذلك فإن القراءات تعددت بتعدد القراء ووجهات النظر والحالات التي اتخذت أشكالا مختلفة نتيجة للحوار بين القارئ والنص، وهذا يعني أن النقد قد انتقل من مرحلة جمالية النص إلى مرحلة جماليات القراءة والتلقي، فالنص ليس جميلا في ذاته، و إنما هو جميل بقراءاته.

تطرح جماليات القراءة والتلقي قضية التواصل، فلا بد لكل تواصل من أطراف: المرسل -الرسالة - المرسل إليه، ولا بد في كل رسالة أدبية من أن تقوم على شفرات متفق عليها بين المرسل والمرسل إليه، وعلى الثاني منهما أن يعرف كيف يفككها، ولذلك لا بد من عملية التواصل بين النص الأدبي والقارئ، فإذا كان الانزياح مفرطا تحول الغموض إلى إيهام وتعذر معه التأويل والقراءة، ولذلك يخرج الإبهام من عملية الاتصال ضمن النموذج الذي وضعه " جاكبسون " لأركان هذه العملية:



واقتضى تعدد القراءة أن يكون النص مفتوحا ليظل الحوار مفتوحا مع القارئ، وهذا ما فعله الناقد الإيطالي (أمبرتو إيكو) في كتابه "النص المفتوح" بصفته نصا ناقصا وغير نهائي، أي خاضع للتأويل والقراءة، كما اقتضى التعدد البحث في نسيج النص ومادته والنص الغائب والتناص عند جماعة " تل كل "، ومنهم جوليا كريستيفا.

شكل هذا وسواه الاهتمام بجماليات القراءة والتلقي في عصر ما بعد البنيوية، وصار القارئ منتجا ومبدعا، ولذلك يطلب منه غير ما كان يطلب من سلفه في عصري سلطة المؤلف وسلطة النص.

وإذا توقفنا عند القارئ في ظاهرة الغموض في الشعر المعاصر وجدناها نسبية، فما هو غامض عند قارئ ربما كان واضحا عند آخر، ويمكننا لتوضيح ذلك أن نستعين بالسياق الأدبي، فهو مختلف، لأن الأدب ليس واحدا، فالشعر ـ وحده ـ

سياقات،وللشعر القديم سياق غير سياق الشعر المعاصر، والسياق يشبه بسرب من الطيور، وكل طائر يغرد ضمن سربه، وصوته يتداخل ويتقاطع ويتشابه داخل سربه وحده، ولذلك فإن القارئ الذي اعتاد أصواتا محددة لا يألف غيرها، ومن هنا ينشأ الغموض إذا حاول قراءة أصوات يجهل أسرارها وطبيعتها ومفاتيحها، فقارئ الشعر المعاصر ينبغي له أن يلم بالسياق الأكبر والسياق الأصغر لهذا الشعر، ولذلك لا يواجه الغموض الذي يواجه القارئ الذي يجهل أحد هذين السياقين أو كليهما معا، كذلك لا يجوز للقارئ أن يقتحم حرم النص الشعري المعاصر بأدوات ومفهومات قديمة، وهذا ما عبر عنه أدونيس بقوله: " ثمة فجوة عميقة بين التجربة الشعرية الحديثة، في جانبها الإبداعي، وبين النقد، فليست هناك مواكبة نقدية لهذه التجربة.بل إننا ما نزال، بشكل عام، ننقد هذه التجربة الجديدة بمفهومات قديمة، وما نزال نسلط مفهومات الآمدي، مثلا، على بدر شاكر السياب، بينما يجب أن ننظر إلى إنتاج السياب من ضمن حضوره كنصوص قائمة بذاتها، نستخرج منها قواعد ومقاييس لنقدها"(٣٤).

الجميل بوجوده المستقل غاية علم الجمال، فإذا كان للوضوح في الشعر جماليات خاصة به فلا بد من أن يكون للغموض جمالياته الخاصة به أيضا، ولذلك سنتوقف عند أهم جماليات القراءة والتلقي في القصيدة المعاصرة التي تتسم بالغموض.

للغموض في الشعر العربي المعاصر جماليات، وبخاصة بعد أن كان القارئ منفعلا بالنص صار فاعلا، وتحول النص ذاته إلى وسيلة اختبار نفسية ، فـ "المماطلة" التي تحدث عنها الصابي تقدم إلينا فكرة عن ذلك، فهي تعني الأخذ والرد، والجذب والتنافر دون مقاطعة، وهذا يعني أن الطرف الأول(الشاعر) يحصن نصه، وأن الطرف الثاني (القارئ) يحتاج إلى أن يبذل جهودا مضاعفة للوصول إلى غرضه، وهذا ما يميز قارئا من آخر، فإذا كان القارئ صبورا، خبيرا، استطاع بعد لأي أن يفتتح النص

الصعب، فتتكشف له أسرار بنيته شيئا فشيئا، وتحدث حينذاك لـــذة الاكتشـــاف التـــي تبعث المتعة النفسية، والراحة بعد التعب، و الوصول إلى الغاية بعدِ الجهد، وارتيـــاح القارئ إلى قدرته على اختبار مجالات الإبداع، وهذه اللـــذة بمكانـــة مكافـــأة نفســية يقدمها القارئ لنفسه بعد اختبار قواه العقلية والنفسية، وهذه أولى جماليات الغموض في الشعر العري المعاصر.

وثمة جماليات الحركة ؛ فالغموض يحرك النفس، ويهيجـــها للبحـــث عـــن الـــدلالات الهاربة، والنفس ــ إذا هيجت وتحركت ــ تكون غنيـــة فـــي أعماقـــها وتحولاتـــها الخطيرة، ولذلك كانت اللغة قاصرة عن الوصول إليها والقبض عـــل دلالاتـــها فـــي تحولاتها السريعة، فاستنجد الشعراء بالموســـيقا للقبـــض علـــى أكـــبر كميـــة مـــن الدلالات؛ فـــ " الحالة النفسية التي تعبر عنها الموسيقا ليست هي الحالة التـــي يمكـــن تسميتها، وإنما هي الحالة التي تند عن محاولة التسمية، لأنها ليست بـــذات موضـــوع محدد، ولذلك كانت الألفاظ عاجزة عن التعبير عنها، وكانت الموسيقا وحدهـــا قـــادرة على نفضها، لأنها هي نفسها حركة شبيهة بحركة الأصوات في الموسيقا"[٣٥].

إن الحركة التي تخلقها موسيقا الشعر تترك في نفس القارئ حركة مماثلة تشده إلـــى أغوار النفـــس الإنســـانية، حيـــث الاضطـــراب والـــهدوء، والاختـــلاج والوثـــوب والتوتر والاســـترخاء، فتتمثـــل الحركـــة فـــي نفـــس القـــارئ بجماليـــات التقـــابل والتعارض، والانغلاق والانفتاح إلى أن تحط رحالها في عالم منسجم الألوان والأنغام.

وللمفاجأة الشعرية جماليات أخرى، فهي حيلة أدبية تستدعي انتباه القارئ، وهي علامة من علامات الانزياح والغموض، وتتصل بكل ما يتصل بالأدب ابتداء من الحلم إلـــى الشطح في الصوفية، وهي وسيلة من وسائل الشاعر للمماطلة، فهي تحصن نصه مـــن جهة، وتجعله مرغوبا فيه من جهة، ودور المفاجأة أساسي في الأدب، فلم يكن الكـــاتب السريالي بقادر على " الكتابة إلا أن تغمره المفاجأة[٣٦]، ولذلك فإن اللامألوف يخلـــق

أثرا شعريا، والشعر" لا يتولد إلا عن انخطاف مذهل[٣٧].

ويخرج النص الشعري بغموضه من المتشابه إلى المختلف، فتخرج جمالياته من السائد إلى المجهول، ويؤسس لجمالية الاختلاف والتعدد، وإذا كانت بلاغة الوضوح تسعى إلى توحيد الأذواق ضمن جماليات مرسومة سلفا، فإن بلاغة الغموض تسعى إلى تعدد الأذواق، واختلاف الفهم، واستقلال شخصية المتلقي عن شخصية الشاعر،وانفصاله عنه، وحرية حركته في البحث عن الدلالات الهاربة والمختفية وراء الدلالات الظاهرة في الرمز والأسطورة وسواهما مما يمنح القصيدة غموضا شفافا ودلالات عدة، وينقله إلى ماض سحيق للتعبير عن تجربة شعرية معاصرة.

و تنشأ جماليات الحرية من النص الثري المفتوح وانتشار دلالاته في كل اتجاه وفي آفاق لا محدودة كما تنشأ من حرية الحركة في النص ذاته، فدلالاته تتحرك بلاحدود، وهي في موسيقاها وأنغامها وعلاقاتها السياقية المتماوجة، مما يمنح القارئ حرية في الحركة، وحرية في الإبداع، وحرية في تأويل علامات النص وإشاراته ورموزه وتفكيك شفراته.

وينتج النص الشعري المركب جمالياته، فإذا كان غنائيا مباشرا فجمالياته أحادية بسيطة. أما إذا كان مركبا فجمالياته متعددة مركبة، ويتداخل هذا النص أفقيا وعموديا، فهو يمتد أفقيا ضمن حدود الأجناس الأدبية، كالدراما والسرد، ويمتد عموديا ضمن حدود الفنون الأخرى، كالموسيقا، والنحت، والتصوير، والرسم، وسواها مما يثري العمل الشعري من حيث القيمة الفنية والجمالية، وينتقل هذا الثراء إلى القارئ، وهو يتلقى العمل الشعري.

وهكذا يمكننا أن ننتهي إلى أن الغموض يشكل إشكالية للمتلقي القديم العادي، فهو يقف بينه وبين ثراء النص الشعري، ولا يستطيع هذا المتلقي أن يقترب منه، لأنه يجهل علاماته وإشاراته ومفاتيحه لقلة خبرته بسياقه. أما الغموض الفني فهو لا يشكل

إشكالية للمتلقي الجديد، وإنما هو على نقيض ذلك يدفعه إلى الإبداع والإنتـــاج، لأنـــه يدرك أن الغموض نتيجة لانتقال نوعي من قوانين شعرية مألوفة إلى قوانين شعرية لا مألوفة، لأن الشعر الحق هو ــ على حد تعبير دانييل لوير مقدم قصائد مالارميـــه ــ إشكال واختلاف مطلق(٣٨).

الهوامش:

١. انظر: لسان العرب ــ مادة (بهم)

٢. انظر: لسان العرب ــ مادة (غمض)

٣. الصولي، أبو بكر ــ أخبار أبي تمام ــ تح. خليل محمود عساكر وزميليه - المكتب التجاري ــ بيروت ــ د.ت ــ ص ٧٢.

٤. ابن أبي الحديد ــ الفلك الدائر على المثل السائر ــ ملحق بكتاب " المثل السائر " لابن الأثير ــ تح د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ــ دار نهضة مصر ــ الفجالة ــ القاهرة ــ د.ت.- ٣٠٣/٤.

5. Mallarmé, Stéphane - Poésies - Le livre de poche - Paris - 1977- P. 266.

٦. هايمن، ستانلي ــ النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ــ تر. د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم ــ دار الثقافة ــ بيروت ــ د. ت ــ ٥٥/٢.

٧. المرجع السابق ص٥٧.

٨. ويمزات، ويليام. ك. وبروكس، كلينث ــ النقد الأدبي ــ تر. د. حسام الخطيب ومحيي الدين صبحي ــ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ــ دمشق ــ ١٩٧٧م ــ ١٢١/٤.

٩. انظر: الأدب في عالم متغير ــ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٧١م ــ ص ص ٧٩ــ٨٠.

١٠. انظر: الشعر العربي المعاصر ــ دار العودة ودار الثقافة ــ بيروت ــ ط٣ ــ ١٩٧٢ ــ ص ص ١٧٣ــ ١٩٤.

١١. ديوان بدر شاكر السياب ــ دار العودة ــ بيروت ــ ١٩٧١ ــ ص ٣٣٦.

١٢. انظر: المصدر السابق ــ ص ص ٤٨٢ ــ ٤٨٥.

١٣. الشعر العربي المعاصر ــ ص١٩٢.

١٤. الآثار الكاملة ــ دار العودة ــ بيروت ــ ١٩٧١ــ١/٤٣.

١٥. المصدر السابق ــ ٢/١٦.

١٦. ديوان محمود درويش ــ دار العودة ــ بيروت ــ ط٣ ــ ١٩٨٠ ــ ٢/٣٠٢.

17. Mallarme – Poésies – P. 233.

١٨. الأعمال الشعرية الكاملة ــ دار العودة (بيروت) ومكتبة مدبولي (القاهرة) ــ ط٢ ــ ١٩٨٥ ــ ص ص ١١٥ ــ ١١٦.

١٩. الآثار الكاملة ــ ١/١٩٧.

٢٠. المصدر السابق ــ ١/٢٠٠.

٢١. لغة الشعر العربي الحديث وقدرته على التوصيل ــ ضمن كتاب ((في قضايا الشعر العربي المعاصر)) ــ دراسات وشهادات ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ تونس ــ ١٩٨٨ ــ ص٣٧.

٢٢. الآثار الكاملة ــ ٢/١٧٧.

٢٣. ستمبل، وولف ديتر ــ المظاهر الأجناسية للتلقي من كتاب " نظرية الأجناس الأدبية " مجموعة مؤلفين ــ تر. عبد العزيز شبيل ــ النادي الأدبي الثقافي بجدة ــ ط١ ــ ١٩٩٤ــ ص ١١٨.

٢٤. لانسون، جوستاف ــ تاريخ الأدب الفرنسي ــ تر.د محمود قاسم ــ المؤسسة العربية الحديثة ــ القاهرة ــ ١٩٦٢ م ــ ٢/٤٦٧.

25. Baudelaire , Charles - les Fleurs du mal - le livre de poche - paris - 1972-P.16.

٢٦. فضل د.صلاح -بلاغة الخطاب وعلم النص (سلسلة عالم المعرفة ١٦٤) ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ آب ١٩٩٢ صـ ١٣٧.

٢٧. السياب، بدر شاكر ـ ديوانه ـ دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٧١ م ـ ص ٤٧٩.

٢٨. العيسى، سليمان ـ ندوة الموقف الأدبي " ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث"ـ الموقف الأدبي ـ ع ٥٩ ـ ٦٠ ـ آذار ـ نيسان ١٩٧٦ ـ ص ٢٤٥.

29. Bar thes, Roland- le degré zéro de l écriture. (suivi de nouveaux essais critiques) - éd. du Seuil - paris - 1972.

30. Cohen, Jean - Structure du langage poétique - Flammarion - paris - 1966. P.127.

31. Ibid, P.127

32. Ibid, P.189.

33. Jakbson, Roman, Essais de linguistique générale - traduit par Nicolas Ruwet - éd.minuit - 1978.-P.P 0213-214.

٣٤. أدونيس ـ ندوة الموقف الأدبي ـ م.م س. ـ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

٣٥. الدروبي، د. سامي ـ علم النفس والأدب ـ منشورات جماعة علم النفس التكاملي ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٨١ م ص ٤٣ ـ ٤٤.

٣٦. كاروج، ميشيل ـ أندريه بروتون والمعطيات الأساسية للحركة السريالية ـ تر.إلياس بديوي ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٧٣ ـ ص١٢٥.

٣٧. المرجع السابق ــ ص ١٢٥

38. Voir: Préface de poésies-P.V1.

قائمة المراجع

- ابن أبي الحديد ــ الفلك الدائر على المثل السائر ــ ملحق بكتاب " المثل السائر " لابن الأثير ــ تح د. أحمد الحوفي ود.بدوي طبانة ــ دار نهضة مصر ــ الفجالة ــ القاهرة ــ د.ت.
- أدونيس ــ الآثار الكاملة ــ دار العودة ــ بيروت ــ ١٩٧١ م.
- إسماعيل، د. عز الدين ــ الشعر العربي المعاصر ــ دار العودة ودار الثقافة ــ بيروت ــ ط٣ ــ ١٩٧٢م.
- الدروبي، د. سامي ــ علم النفس والأدب ــ منشورات جماعة علم النفس التكاملي ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ط٢ ــ ١٩٨١ م.
- درويش، محمود ــ ديوان محمود درويش ــ دار العودة ــ بيروت ــ ط٣ ــ ١٩٨٠م.
- دنقل، أمل ــ الأعمال الشعرية الكاملة ــ دار العودة (بيروت) ومكتبة مدبولي (القاهرة) ــ ط٢ ــ ١٩٨٥م.
- السياب، بدر شاكر ــ ديوانه ــ دار العودة ــ بيروت ــ ١٩٧١ م.
- الصولي (أبو بكر) ــ أخبار أبي تمام ــ تح. خليل محمود عساكر وزميليه ــ المكتب التجاري ــ بيروت ــ د.ت

- العالم، محمود أمين ــ لغة الشعر العربي الحديث وقدرته على التوصيل ــ ضمن كتاب ((في قضايا الشعر العربي المعاصر)) ــ دراسات وشهادات ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ تونس ــ ١٩٨٨ .
- عياد، د. شكري ــ الأدب في عالم متغير ــ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٧١م.
- فضل، د.صلاح ــ بلاغة الخطاب وعلم النص (سلسة عالم المعرفة ١٦٤) ــ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت ــ آب ١٩٩٢ م.
- فييتور، كارل (وآخرون) ــ نظرية الأجناس الأدبية ــ تر. عبد العزيز شبيل ــ مراجعة حمادي صمود ــ كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ٩٩ ــ ط١ــ ١٩٩٤م.
- كاروج، ميشيل ــ أندريه بروتون والمعطيات الأساسية للحركة السريالية ــ تر. الياس بديوي ــ منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق ــ ١٩٧٣.
- لانسون، جوستاف ــ تاريخ الأدب الفرنسي ــ تر. د محمود قاسم ــ المؤسسة العربية الحديثة ــ القاهرة ــ ١٩٦٢م.
- ندوة الموقف الأدبي "ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث" ــ الموقف الأدبي ــ ع ٥٩ ــ ٦٠ آذار ونيسان ١٩٧٦م.
- هايمن، ستانلي ــ النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ــ تر. د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم ــ دار الثقافة ــ بيروت ــ د. ت.
- ويمزات، ويليام. ك. وبروكس، كلينث ــ النقد الأدبي ــ تر. د. حسام الخطيب ومحيي الدين صبحي ــ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ــ دمشق ــ ١٩٧٧م .

- Barthes, Roland-le degré zéro de l' écriture (suivi de nouveaux essais critiques) - éd. du Seuil - paris - 1972.
- Baudelaire , Charles - les fleurs du mal - le livre de poche - paris - 1972.
- Cohen, Jean -Structure du langage poétique - Flammarion - paris - 1966.
- Jakobson, Roman, essais de linguistique générale - traduit par Nicolas Ruwet - éd.minuit - 1978.
- Mallarmé, Stéphane - poésies - le livre de poche - paris - 1977.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٨/٣/٧

العادات الدراسية لدى طلبة المرحلة الثانوية

(دراسة ميدانية في مدارس دمشق الرسمية)

د. محمد الشيخ حمود
كلية التربية ــ جامعة دمشق

الملخص

يتناول البحث مسألة هامة من المسائل المؤثرة في مستوى تحصيل الطلبة في المراحل الدراسية، وقد اقتصر البحث على دراسة العادات الدراسية لدى طلبة المرحلة الثانوية، لأهمية هذه المرحلة الدراسية في تقرير مصير الطالب وتحديد مستقبله الدراسي والمهني ومن هنا تأخذ هذه الدراسة أهميتها.

ويهدف البحث إلى معرفة العادات الدراسية الصحيحة والخاطئة التي يعتمدها الطلبة في دراستهم وذلك باستخدام استخبار غلبرت رين للعادات الدراسية الذي عدلته لينة عنبر ليتناسب والبيئة العربية السورية عام ١٩٨٨.

وقد تناول البحث في جانبه النظري تعريفات الدراسة وعاداتها، وشرح للعادات الدراسية الصحيحة والخاطئة وأسباب الأخيرة، وطرائق الدراسة الجيدة، ودور كل من الأهل والمدرسة والطالب في تحقيق الدراسة الجيدة.

بعد ذلك سرد الباحث بإيجاز عدداً من الدراسات السابقة التي تناولت ذات الموضوع، ثم عرض منهج البحث وأدواته وحدوده وعينته وإجراءاته.

وتم عرض النتائج وتفسيرها، حيث توصل البحث إلى أهم النتائج التالية:

١ . أن ثلثي أفراد العينة يتبعون عادات دراسية صحيحة.

٢ . عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عائدة لمتغير الجنس في اتباع العادات الدراسية.

٣. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عائدة لمتغير التخصص (العلمي والأدبي) في اتباع العادات الدراسية في بنود الاختبار بشكل عام.

٤. تبين أن طلبة الصف الثاني الثانوي من أفراد العينة يتبعون عادات دراسية أفضل بفروق دالة إحصائياً من زملائهم طلبة الصفين الثالث الثانوي والأول الثانوي.

٥. تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلبة الفرع العلمي وطلبة الفرع الأدبي في تقنية التركيز وذلك لصالح طلبة الفرع العلمي.

وأخيراً قدم الباحث مقترحات لمتابعة البحوث وتحسين الدراسة والتحصيل ومتابعته وفق مستويات أخرى من المراحل الدراسية وبيئة الطلاب والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للطلبة.

أولاً: المقدمة:

إن تطور الحياة بجوانبها المختلفة أملى على الناس جميعاً بفئاتهم المتعددة متطلبات جديدة يتوجب عليهم القيام بها حتى يتمكنوا من العيش لتحقيق طموحاتهم وآمالهم وبناء مشروعاتهم، وأحد هذه المتطلبات هو التعلم المستمر مدى الحياة.

فالتعلم أصبح أحد أهم المنطلقات التي تمكن الفرد من تحقيق آمال المستقبل، وأصبح التعليم النظامي في المدرسة الحديثة مسؤولاً عن تعليم الجيل من سن دخول المدرسة وحتى نهاية مراحل التعليم. وتقع مسؤولية المدرسة في بناء الإنسان بناءً قائماً على العلم والمعرفة بجوانبها المتنوعة، حتى يصبح قادراً فيما بعد على بناء مشروعه الفردي في أن يكون طبيباً أو مهندساً أو محامياً أو حرفياً أو عاملاً في إحدى مهن المستقبل.

ونظراً إلى أن الدراسة الذاتية وعاداتها هي الأساس الذي ينتج التحصيل الدراسي والإنجاز فلذلك ينبغي بحث نوعية هذه الدراسة وعاداتها لتأكيد الصحيح منها ومعالجة ما هو خاطئ.

وتقع مسؤولية كبيرة على المربين والعاملين في الإرشاد المدرسي تكمن في معرفة العادات الدراسية الخاطئة وبدائلها الصحيحة لتوجيه الطلبة نحو أفضل طرائق المذاكرة والتحصيل الدراسي لرفع سوية الدراسة في مدارسنا، وبالتالي لتحسين مردود عملية التعلم لدى المتعلم، مما ينعكس إيجابياً على العملية التربوية بشكل عام

ثانياً: مسألة البحث:

ينطلق البحث من مشاهدات واقع الدراسة لدى الطلبة والعادات التي يعتمدونها في تعلمهم اليومي وتحضيرهم للامتحانات. هذه المشاهدات التي تبين أن درجة تحصيل

الطلبة لا تتناسب في الغالب مع الوقت الذي يصرفونه فيها، مما يستدعي دراسة العادات الدراسية بنوعيها الخاطئ والصحيح، ومن هنا تتحدد مسألة البحث في الكشف عن العادات الدراسية لدى طلبة المرحلة الثانوية في مدارس دمشق الرسمية.

ثالثاً: أهمية البحث:

لا يخفى على الباحث المتخصص ما للنجاح في التعلم من أهمية لدى الطالب والمعلم والأهل وبالتالي لدى المجتمع، لذا فإن دراسة العوامل التي تساعد على النجاح تحتل مكانة هامة، من أجل تقديم العون للطلبة في إتمام دراستهم دون هدر في الوقت والجهد والمال.

وتنبع أهمية البحث من العوامل التالية:

١. إن لبحث العادات الدراسية ومعرفتها فائدة هامة تكمن في التعرف إلى العادات الصحيحة والعادات الخاطئة لدى الطلبة مما يمكن العاملين في التربية والطلبة والأهل من اتخاذ إجراءات تربوية مناسبة لتأكيد الصحيح من العادات ومعالجة ما هو خاطئ، مما ينعكس إيجابياً على عملية التحصيل الدراسي لدى الطلبة.

٢. إن التعرف إلى العادات الدراسية الخاطئة يمكننا من معرفة العوامل والأسباب التي أدت إليها، مما يسهم في إتخاذ إجراءات الوقاية من العوامل السلبية وتحييدها وتوفير العوامل المساعدة على التعلم المتقن.

٣. إن دراسة العادات الدراسية لدى الطلبة في المرحلة الثانوية يحتل مكانة خاصة لما لهذه المرحلة من أهمية كبيرة، كونها المرحلة الدراسية التي تتم في نهايتها عملية الاختيار الدراسي والمهني.

٤. إن قلة الأبحاث الخاصة بالدراسة وعاداتها لدى الطلبة في المرحلة الثانوية في البلاد العربية بعامة وفي سورية بخاصة تبين أهمية هذا البحث، ولذلك نعتقد أن نتائج البحث سوف توفر مادة علمية تربوية تسهم في تحقيق جزء من الغرض.

رابعاً: أهداف البحث:

وتتمثل بما يلي:

١. الكشف عن العادات الدراسية الشائعة لدى طلبة المرحلة الثانوية من عينة البحث وبيان الصحيح والخاطئ منها (متغير الصحيح والخاطئ).

٢. الكشف عن العادات الدراسية الشائعة في كل صف من صفوف المرحلة الثانوية،الأول الثانوي ــ الثاني الثانوي ــ الثالث الثانوي (متغير مستوى الدراسة).

٣. الكشف عن العادات الدراسية الشائعة لدى الذكور وتلك لدى الإناث (متغير الجنس).

٤. الكشف عن العادات الدراسية لدى طلبة المرحلة الثانوية الفرع العلمي، والفرع الأدبي في مدينة دمشق (متغير التخصص).

٥. الكشف عن الفروق في الجوانب الأربعة لاستخبار غلبرت رين للعادات الدراسية.

خامساً: فرضيات البحث:

ينطلق البحث من الفرضيات التالية:

١.لا يوجد فرق جوهري بين طلبة المرحلة الثانوية في صفوفها الثلاثة في اتباع العادات الدراسية الصحيحة بين الصفوف:

- الصفين الثالث الثانوي والثاني الثانوي.
- الصفين الثالث الثانوي والأول الثانوي.
- الصفين الثاني الثانوي والأول الثانوي.

٢. لا يوجد فرق جوهري بين الذكور والإناث في المرحلة الثانوية في إتباع العادات الدراسية.

٣. لا يوجد فرق جوهري بين طلبة الفرع العلمي وطلبة الفرع الأدبي في اتباع العادات الدراسية الصحيحة.

٤. لا يوجد فرق جوهري بين الذكور والإناث في المرحلة الثانوية في كل من جوانب الاستخبار الأربعة وهي:

- عادات القراءة، وتقنية أخذ المذكرات
- تقنية التركيز.
- توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية في الدراسة.
- العادات العامة والمواقف من مسألة العمل.

٥. لا يوجد فرق جوهري بين طلبة الفرع العلمي وطلبة الفرع الأدبي في كل من جوانب الاستخبار الأربعة المعدة من قبل غلبرت رين.

سادساً: الإطار النظري للبحث:

١. **تعريف الدراسة وعاداتها:** تعرف الدراسة بأنها العملية التي يتم فيها استخدام العقل في الوصول إلى المعرفة أو استخدامه في إيجاد السبل ووسائل التحصيل المعروفة (سمارة ونمر، ١٩٩٢ص١٨٩).

وتعرف أيضاً بأنها استخدام الوسائل العقلية في تحصيل المعرفة حيث تدرس المادة بهدوء وتفحص وتحلل، كما تراجع التفاصيل بانتباه وتقرأ المادة بقصد التعلم والتذكر (شيفر وميلمان، ١٩٨٩ ص٥٩١).

مما سبق نلاحظ أن التعلم عملية فكرية هادفة تركز على تخزين المعلومات (التذكر) وتجهيزها (التفكير) وهي بذلك تمتد في مدى واسع ابتداء من الاستدعاء البسيط لوحدة من المعلومات إلى العمليات الابتكارية التي تتطلب تركيب الأفكار والمواد والربط بينها (صادق وأبو حطب١٩٩٤، ص١٠٧).

أما العادات الدراسية فيمكن تعريفها بأنها العادات التي تتعلق بطريقة الطالب في معالجة أو تناول الموضوعات التالية:

أ. القراءة وتقنيات أخذ المذكرات.

ب. عادات التركيز.

ت. توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية في الدراسة.

ث. عادات عامة ومواقف نحو العمل. (عنبر، ١٩٨٨ص٣)

٢. **الأسباب الكامنة وراء العادات الدراسية الخاطئة:** يمكن تقسيم هذه الأسباب إلى ثلاث مجموعات سنتناولها كما يلي:

٢ـ١ـ الأسباب المتعلقة بمشكلات الحفظ: مما لا شك فيه أن الحفظ يعد وسيلة دراسية مناسبة، ولكن يمكن لهذه الوسيلة أن تستخدم من دون توافر الشروط اللازمة للحفظ الصحيح، ونعالج هنا الأسباب التي تجعل الحفظ مشكلة وهي:

أ. الحفظ من دون فهم: يلاحظ أن الحفظ الأصم الذي يعتمد على التكرار دون فهم المعنى المراد لا يثبت في الذهن مثلما يثبت الحفظ القائم على فهم ما يحفظ (عبد الصمد ١٩٩٠ ص٤٢). ويعد الحفظ من دون فهم سبباً رئيسياً في عرقلة الحفظ ، ومن هنا كانت النصيحة بعدم حفظ شيء قبل الفهم لمعناه (حلوم، ١٩٩٤).

ب. التقصير في المثابرة على الحفظ: يعمد بعض الطلبة إلى الحفظ فقط قبيل الامتحان، إنهم يقصرون في الحفظ ويتوانون عنه ولا يُقبلون عليه إلا باقتراب موعد الامتحان. إنَّ ترك عملية الحفظ لفترة طويلة وعدم مراجعة المادة يؤدي إلى تصعيب الحفظ. ويشعر الطالب عندها أن الحفظ عملية عسيرة لا يستطيع تجاوزها، كل ذلك بسبب تقصيره وإهماله وعدم مداومته على الحفظ.

ت. الضجر والضيق من عملية الحفظ : معلوم أن الطالب المثابر والجاد وصاحب الإرادة القوية لا يثنيه شيء عن حفظ ما يريد . لا بل أن توافر هذه الصفات يسهل عملية الحفظ ويسرعها. أما الطالب الذي يشعر بالملل والضيق فإنه يمل الحفظ ويبدو أميل لعدم بذل الجهد(Kemmler ١٩٨٧, p.١١٣).

ث. تدني درجة التعلم: تقدر مقاييس الاحتفاظ مدى بقاء نتائج التعلم، ما يثبت بشكل قوي يبقى مدة أطول، وقد تبين تجريبياً أن الاحتفاظ يزيد كلما ارتفعت درجة التعلم، وتكرارات إضافية ستزيد مقدار الاحتفاظ اللاحق زيادة كبيرة (حمصي ١٩٩٢،ص٣٦٩).

٢ـ٢ـ الأسباب المتعلقة بمشكلات الفهم: وتقسم إلى ما يلي:

أ ــ فقد يكون الغموض ناتجاً عن عدم دراسة الفقرات السابقة على الفقرة المراد حفظها، فمن المعلوم أن الكلمة لايفهم معناها بدقة إلا في سياق الجملة ، والجملة بدورها لا تفهم إلا في سياق النص الموجودة فيه.

وبناءً على هذا ينبغي دراسة الموضوع بشكل متكامل وليس كعناصر متناثرة أو منفصلة. ونشير هنا إلى نقطة هامة تتمثل في أن فهم أي فصل من فصول كتاب يدور حول موضوع تخصصي لا يتم إلا من خلال فهمنا للفصل الذي يسبقه أو الذي يليه (عبد الصمد، ١٩٩٠).

ب ــ انخفاض مستوى الذكاء: معلوم أن الدراسة هي عملية تفكير تتطلب فهم العلاقات الكامنة في طيات موضوع من الموضوعات، كما تتطلب مقدرة على الاستيعاب والامتثال في الذهن وامتلاك هذه القدرات يسهل عملية الحفظ. فالطالب الذي تكون قدراته العقلية متوسطة يواجه صعوبات في حفظ موضوع، يحتاج لقدرات عقلية عالية، لذلك وجد أنه تختلف درجة الحفظ والفهم باختلاف درجة الذكاء فكلما زادت نسبة الذكاء زادت القدرة على الفهم. (jopt,١٩٨٥,p.٧٩).

ت ــ افتقاد الطالب لمن يرشده: ثبت بالتجربة أن التعلم المقترن بإرشاد أفضل بكثير من دونه، ذلك أن الطالب قد يصعب عليه فهم بعض النقاط التي تفوق تحصيله أو استيعابه للمادة لذلك فإن وجود مرشد إلى جانب الطالب يساعده ويأخذ بيده في كيفية فهم المادة ويسهل على الطالب الفهم والحفظ والتحصيل (Heller,١٩٧٦,p.٢٩).

ث ــ تشتت الذهن والقلق: قد يصاب الطالب بضعف في التركيز وتشتت الانتباه والقلق لكثرة المثيرات من حوله أثناء المذاكرة والضوضاء الناجمة عن أصوات الراديو أو التلفزيون أو الخلافات بين أفراد الأسرة . إلى غير ذلك من الأمور التي تجعل الفهم بطيئاً والحفظ صعباً ذلك أن الدراسة تحتاج إلى الهدوء الداخلي والخارجي.

ج ـ المرض الجسدي: إن الطالب الذي يعاني آلاما في جسمه تشغله تلك الآلام عن التركيز في دراسته، لذلك يجب أن يعالج الطالب حتى يصبح جسمه سليما كي يكون قادرا على المذاكرة بشكل أفضل (شيفر وميلمان،١٩٨٩ص٥٩٨).

ح ـ عيوب في الطباعة أو الكتابة: يمكن أن تكون طباعة المادة الدرسية سيئة ويمكن أن تكون بعض الحروف غائبة لأسباب سوء الطباعة، كما يمكن أن يكون الخط غير واضح بشكل جيد للقارئ، فالطالب المجتهد قادر على تدارك النقص ومعرفته، أما الطالب الوسط أو الضعيف فيشكل ذلك سببا حتى يترك المادة ويملها.

٢ـ٣ـ الأسباب المتعلقة بالمشكلات النفسية وعلاجها: يتعرض بعض الطلاب إلى مشكلات نفسية أو انفعالية شعورية أو لا شعورية تؤدي إلى كره الدراسة وانخفاض مستوى التحصيل لدى الطالب، ومنها المشكلات التالية:

أ. ضعف الدافعية: يعد الدافع محركا للسلوك، فلا يقوم أحدنا بأي سلوك دون دافع يحركه ويؤدي إلى استمراره، فأي نشاط من نشاطات الفرد لا يقوم دون وجود دافع. وبالتالي فإن الدراسة لا يمكن أن تتم دون دافع لها فالدافع القوي للدراسة يؤدي إلى بذل مزيد من الجهد لرفع مستوى التحصيل، وفي حال اجتماع الدافع مع القدرة فتكون النتيجة مرضية، والنقص أوالضعف في الدافعية للدراسة يؤدي إلى ضعف التحصيل، وضعف الدافعية هذه لها أسبابها المتنوعة منها: التوقعات المرتفعة جدا للوالدين أو التوقعات المنخفضة جدا لهما، أو عدم اهتمام الآباء بأبنائهم والصراعات الأسرية أو الزوجية الحادة، حيث لا يكون لدى الطالب دافع لإرضاء الوالدين، وغالبا ما يكون هؤلاء الطلاب موضع نقد ونبذ متكرر من والديهم، فيكون ضعف التحصيل طريقة للرد والانتقام، وهذا يرتبط بتدني تقدير الذات والجو المدرسي غير المناسب (شيفر وميلمان،١٩٨٩،ص٥٧٤ – ٥٧٥).

ب. الشرود والسرحان وأحلام اليقظة: يعرف السرحان أو الشرود بأنه انتقال التفكير من الموضوع الأساسي الهام الذي نفكر فيه ونواجهه إلى موضوع جانبي أقل أهمية وأقل خطورة، إلا أنه يفرض نفسه على تفكيرنا ويحل محل الموضوع الأساسي للتفكير (حلوم، ١٩٩٤،ص٦).

ويحدث الشرود عندما نفكر في عمل وينتقل تفكيرنا إلى التفكير بمشكلاتنا العائلية أو العاطفية أو الاقتصادية أو التفكير بالمستقبل واحتمالات النجاح والرسوب. فالطلاب كثيراً ما يشردون ويسرحون قبل شهر أو شهرين من الامتحان، وقد يرتبط الشرود بمشروع زواج أو بحث عن عمل أو سفر، أي أنه غالباً ما يحدث قبل الفترة التي تسبق تحقيق هدف ما.

وغالباً ما يعاني المراهقون من الشرود وأحلام اليقظة في أثناء الدراسة ولاسيما قبيل الامتحان، وهي ظاهرة عامة تتفاوت بين الطلبة من حيث الدرجة. ويزداد الشرود أو السرحان بازدياد مشكلات الشخص وقلقه.

ولكي يعالج الشرود ينبغي تحديد أسبابه الحقيقية، فالطالب الذي يكره مادة دراسية معينة بسبب من مدرسها ويهرب منها عليه أن يفصل بين شخصية المدرس وبين المادة ويركز على المادة ذاتها.

ومن الأسباب الشائعة عند المراهقين للشرود وأحلام اليقظة التفكير بالجنس الآخر وبذلك ينشغل عن دراسته ويتأثر تحصيله سلبا (Hoehn ١٩٨٠).

ت.الملل: الملل حالة نفسية يصل إليها الطالب نتيجة عمل يكرره دون تغيير وبنوع من الآلية والروتين. ولمواجهة الملل على الطالب أن يراجع دروسه السابقة ليتأكد من الحفظ الجيد وأن يحدد مقدماً ما يجب عليه إنجازه في كل جلسة وتسجيل الملاحظات في أثناء الدراسة لتجنب الحفظ الصم، وتكييف طرائق الدراسة بحسب المادة التي

يحضرها، وممارسة النشاطات الترويحية بين ساعات الدراسة كالرياضة والمطالعة ... ألخ.

ث. التعب والإرهاق النفسي: يكون التعب على نوعين:

● التعب البدني (الفيزيولوجي) والتعب النفسي. أما التعب البدني فهو شعور ينتج عن ممارسة عمل معين لفترة لا يعود الفرد قادراً بعدها على العمل حتى يرتاح ويستعيد قدرته على العمل من جديد. أما التعب النفسي فهو شعور الفرد بعدم قدرته أو رغبته في الاستمرار ببذل الجهد ويرجع لما يدور في العقل من أفكار وشعور الفرد بالقلق النفسي والملل و اليأس أو الخوف أو الضياع أو نتيجة لرتابة العمل الذي يقوم به ومعالجته بطريقة روتينية. وقبل الامتحان أو في أثنائه يشكو الطلاب من التعب النفسي والجسمي الذي ينجم عن السهر لتعويض ما فاتهم في بداية العام، ومن الخطأ أن يدرك الطالب أو والديه أن مواصلة الدراسة ستكون منتجة من دون التغلب على التعب الجسمي والنفسي (همام،١٩٨٧،ص٨٦-٩٠).

ومن العوامل التي تساعد على التخلص من التعب: عدم اشغال الذهن بغير الدرس،والبعد عن الأفكار والوساوس التي تشوش الذهن وترهق الأعصاب،وتخصيص فترات من الراحة والاسترخاء للتخلص من التعب، وتنظيم وقت الدراسة بحيث لا يتعارض مع مسار الحياة اليومية، والبدء بدراسة المواد السهلة والمحببة إلى نفسه، وأن ينوع بين المواد التي يدرسها، والدراسة في مكان هادئ وتهويته وإضاءته جيداً، والوقاية من الأمراض التي تضعف الجسم.

٣ـ طرائق الدراسة الجيدة: والطرائق التي تساعد على الدراسة الجيدة هي:

٣ـ١ـ طريقة الدراسة المركزة والموزعة: إن نتائج الدراسة تختلف فيما إذا درسنا الموضوع بقراءات متتابعة في جلسة واحدة عن دراستنا للموضوع بقراءات قليلة بعدة

جلسات، فالدراسة المركزة هي الدراسة التي تتم في جلسات ممارسة في فترات زمنية متصلة، أما الدراسة الموزعة فهي الدراسة التي تتخللها فترة يستريح بها الطالب.

وقد دل التجريب أن الدراسة الموزعة على فترات أفضل بوجه عـام مـن الدراسـة المركزة في وقت واحد، وهي أي المركزة تؤدي إلى التعب والملل ونقص الرغبة فـي التحصيل، وتبين أن التدريب الموزع أفضل من التدريب المركز.

ومع ذلك فإن صلاحية إحدى الطريقتين ليست مطلقة وإنما توجد عوامل معينة تجعـل إحداها أفضل من الأخرى (صادق وأبو حطب،١٩٩٤ ص٤٩٤).

كما تبين أن الدراسة لفترات متقطعة تجعل الطالب يقبل عليها باهتمام وشـغف، وإن الاستجابات الخاطئة تنسى أسرع من الاستجابات الصحيحة في أثناء الراحـة (عبـد الصمد ، ١٩٩٠،ص٢٤).

٣ــ٢ــ الطريقة الكلية والطريقة الجزئية: وتقوم الطريقة الكلية على أساس دراسـة المادة من أولها إلى آخرها مرة واحدة رغم تعدد فقراتها، وذلك لمرة واحدة أو أكـثر حتى يصل الفرد إلى دراسة الفكرة كلياً وحفظها.

أما الطريقة الجزئية فتقوم على أساس تجزئة المادة إلى وحـدات منفصلـة يدرسـها الطالب بشكل منفصل رغم كونها تمثّل فكرة غير متكاملة.

وتفضل الطريقة الكلية:

- عندما يطلب من الطالب أن يكوّن صورة جامعـة عـن الموضـوع دون الالتفات للتفاصيل الجزئية.
- عندما تكون المادة محسوسة أكثر منها مجردة.
- عندما يكون حاصل ذكاء الطالب فوق المتوسط.

ـ عندما تكون المادة متداخلة الأجزاء.

وتفضل الطريقة الجزئية:

ـ عندما لا تتوافر للطالب القدرة العقلية الكافية (كبطيئي التعلم).

ـ عندما تكون المادة طويلة ومعقدة ومفتقرة إلى فكرة رئيسية تعتمد عليها.

وهنا يحبذ للطالب أن يبدأ بالاطلاع على الموضوع كلياً ثم تقسيمه إلى أفكار فرعية (عنبر،١٩٨٨،ص٣٤).

وبشكل عام تبدو قيمة الطريقة الكلية بوجه خاص لدى الكبار لأن لديهم قدرة على إدراك العلاقات العامة بين المعاني واستيعاب المادة، وهي طريقة أفضل لحفظ الشعر إن لم تكن القصيدة طويلة.

ويفضل للطالب أن يتبع طريقة مرنة تجمع بين محاسن الطريقتين، فيبدأ بالدراسة الكلية واستيعاب المعنى العام، ثم يركز على الأجزاء الصعبة جزء بعد جزء ويدمجها ضمن الإطار الكلي، وتسمى هذه الطريقة بالطريقة الجزئية الكلية (Loewe ،١٩٧٥).

٣ـ٣ـ معرفة النتائج: إن معرفة نتائج التسميع تسمح بأن يطلع المفحوص على تقدمه، فإذا أعطي نتيجة تقدمه فإن تعلمه يتحسن ويصبح أفضل وأسرع مما لو بقي جاهلاً بنتائج تعلمه.

وبذلك يستطيع المتعلم أن يكتشف مدى بعده عن هدفه وكذلك مواضع القوة والضعف لديه (حمصي،١٩٩٢،ص٢٤٤).

٣ـ٤ـ طريقة تجاوز الحد في التعليم:

تعني هذه الطريقة زيادة الاحتفاظ بالمعلومات الجديدة إذا ما استمر التمرين عليها ومراجعتها حتى نصل إلى مستوى التسميع الكامل، ويعد تشجيع التلاميذ على المبالغة في التعلم أسلوباً مجدياً لزيادة الاحتفاظ بهذه المعلومات الجديدة.

وتجدي هذه الطريقة عندما يقوم الطالب بتعلم مواد محددة وملموسة كجدول الضرب وقواعد النحو والكلمات الانكليزية، كما تجدي في حال وجود فواصل زمنية طويلة بين تعلم مادة جديدة وتذكرها. وليس من الحكمة تشجيع الطلاب على تجاوز حد التعلم لأن ذلك قد يجرهم إلى حفظ المعلومات الجديدة دون فهم. (عنبر،١٩٨٨،ص٣٣).

٣ـ٥ـ طريقة السؤال وطرح الأسئلة:

هذه التقنية مفيدة جداً للطالب، حيث يقوم بتصفح العناوين الرئيسية في المادة المدروسة ويقوم بعد ذلك بتحويل هذه العناوين إلى أسئلة تدفعه إلى اكتشاف الإجابة عنها. وبالتالي تصبح عملية الدراسة أكثر متعة وتشويقاً مما يسهم في تحسين فعالية الدراسة.

٣ـ٦ـ طريقة التسميع الفعّال:

إن القراءة المصحوبة بالتسميع للمواد المحسوسة أو المجردة أفضل من القراءة وحدها. فقراءة كتاب شيء وتذكر ما قرئ منه شيء آخر.

٣ـ٧ـ طريقة المسح والتساؤل والقراءة والمراجعة والتسميع (Sq 3 R):

تقوم هذه الطريقة على العمليات الخمس المذكورة، فالمسح يزود المتعلم بفكرة ناتجة عن تصفح العناوين الرئيسية ثم يقوم بتحويل هذه العناوين إلى أسئلة، ثم يبدأ بالقراءة باحثاً عن إجابات للأسئلة المطروحة، ثم يعمل على مراجعة الموضوعات الأساسية وتسميعها بصوت مرتفع كما يعمل على تلخيص النقاط الهامة. وقد تم في إحدى الدراسات استخدام هذه الطريقة مع مزيج من الطرائق الأخرى لدى طلبة مدرسة

ثانوية، فتبين أنهم أصبحوا أكثر وعياً للطرائق التي يستخدمونها في الدراسة (شيفر وميلمان،١٩٨٩،ص٦٠٠).

٤ــ دور كل من المتعلم والأهل والمدرسة في تحقيق الدراسة الصحيحة:

سنعرض فيما يلي دور كل من الأطراف المذكورة في الدراسة الصحيحة:

٤ــ١ــ دور المتعلم: للمتعلم الدور الأهم في تحقيق الدراسة الصحيحة فهو المعني من الدراسة وهو المستفيد الأول والأخير من نتائجها، لذلك، عليه أن يحدد ما يريد الوصول إليه من الدراسة حتى يحقق ما يصبوا إليه في المستقبل فإذا ما أراد أن يكون متفوقاً فعليه أن يستفيد من الوقت ويبذل الجهد اللازم لتحقيق أهدافه فالنجاح والتفوق لا يأتيان بالتأمل بل ببذل الجهد والاجتهاد والمثابرة وشحذ الطاقات والقدرات إلى أعلى درجة. لذلك عليه أن يتزود بوسائل النجاح ويسلك طرقه، كما أنه على المتعلم أن يكتشف نقاط ضعفه ويعمل على تلافيها، وأن يطلب العون من المرشد المدرسي إن وجد أو من المدرسين أو الأهل ليصل إلى التمكن من عادات دراسية صحيحة وليتخلص من العادات الخاطئة (شيخ حمود ،١٩٩٤).

٤ــ٢ــ دور الأهل: للأهل دور هام في تحسين العادات الدراسية عند أبنائهم، ويتوقف قيامهم بهذا الدور على مستواهم الثقافي والاجتماعي، وتتجلى مساعدة الآباء لأبنائهم بشكل خاص في تنظيم العمل اليومي للطالب من حيث تنظيم وقت الدراسة والطعام واللعب والواجبات الاجتماعية. كما يجب على الأهل عدم عرض مشكلاتهم الزوجية والعائلية ومناقشتها أمام الأبناء بل عليهم أن يناقشوا هذه المشكلات بهدوء وروية بعيداً عن الأبناء.

فالمشكلات اليومية الضاغطة والخلافات الزوجية الحادة تؤدي بالطالب إلى الانشغال عن الدراسة وكراهيته لها في المنزل. وهنا أيضاً تقع على عاتق الآباء مسؤولية

الرعاية الصحيحة الكاملة لأبنائهم والمراقبة الدقيقة مع الحيطة والحذر لمعرفة التغيرات منها:

ـ مراعاة فترة المراهقة والتغيرات التي تحدث خلالها ومحاولة تفهم هذه المرحلة واستيعابها دون الضغط على الطالب.

ـ الابتعاد عن تكليف الأبناء ما لا يطيقون من أعمال منزلية أو خارجية.

ـ توفير الهدوء التام وجعل البيت ساراً وملائماً للدراسة.

ـ الابتعاد عن التوقعات المرتفعة من قبل الأهل لأنها ترهق الطالب وتشعره بالإحباط والفشل، وقد تؤدي إلى مشكلات نفسية.

- تعويد الطالب الاعتماد على نفسه منذ الصغر والإحساس بالمسؤولية والاستقلال الذاتي.

ـ محاولة فهم الطالب والمشكلات التي يعانيها واستيعابها وعلاجها من خلال الحوار والمناقشة بين الآباء والأبناء (Jopt ١٩٨٥).

٤ـ٣ـ دور المدرسة: إن دور المدرسة أكثر أهمية من دور الأهل وبخاصة فيما يتصل بعادات الدراسة. إلا أنه لا يمكن فصل دورها عن دور الأهل بل ينبغي التكامل بينهما، فالمشكلات الدراسية التي يعانيها المتعلم كضعف الدافعية للدراسة وانخفاض القدرة على التركيز، واضطرابات النطق والقراءة .....إلخ كلها يمكن أن تكون سبباً أو نتيجة لعادات الدراسة الخاطئة وهنا فالمدرسة مسؤولة تربوياً عن التغلب على العادات الدراسية الخاطئة لدى طلابها وإكسابهم العادات الصحيحة (Kessel،١٩٨٧).

سابعاً: الدراسات السابقة:

أجريت عدة دراسات تتصل بالعادات الدراسية لدى الطلبة واتجاهاتهم نحوها وعلاقة هذه العادات بالتحصيل الدراسي وسنعرض فيما يلي أهم الدراسات التي تخدم البحث:

١.**دراسة عفاف سليم** : أجرت الباحثة عام ١٩٧٦ دراسة على طلبة السنة الأولى في الجامعة الأردنية حيث بحثت العلاقات بين عادات الطلبة في الدراسة والاتجاهات نحوها وبين تحصيلهم الدراسي، وقد استخدمت الباحثة مقياس العادات الدراسية والاتجاهات نحوها (لبرادن وهولتزمان) بعد الترجمة والتعديل، وعدت الباحثة المعدل التراكمي الفصلي للطلبة في المواد الدراسية المختلفة في الفصل الأول من العام الدراسي مقياساً لتحصيل الطلبة، وتكونت العينة من (٢٥٠) طالب وطالبة وقد بينت النتائج التالية :

ـ وجود معاملات ارتباط موجبة بين التحصيل والعادات الدراسية وبين الاتجاهات نحوها.

ـ وجود فروق في الأداء بين الذكور والإناث في بنود المقياس.

ـ تميز المتفوقين دراسياً في عادات الاستذكار من جهة الترتيب والدقة والمثابرة والتركيز في الدراسة.

٢ـ **دراسة جابر عبد الحميد جابر:** أجريت الدراسة عام (١٩٨١) على عينة من الطلاب والطالبات الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة في المدارس الإعدادية والثانوية في دولة قطر. وقد استهدفت الدراسة مقارنة العادات الدراسية لدى المراهقين القطريين مع زملائهم غير القطريين، كما استهدفت دراسة اتجاهات الطلبة نحو الدراسة وعلاقة ذلك بتحصيلهم الدراسي، وقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

ــ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطالبات القطريات وغير القطريات في المتغيرات الأساسية موضع الدراسة (طرق العمل ــ تقبل التعلم).

ــ تفوق الطلاب الذين حصلوا على درجات عليا في مقاييس المتغيرات الأساسية على أقرانهم في التحصيل الدراسي ممن حصلوا على درجات أقل.

ــ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلبة القطريين وغير القطريين في المتغيرات الأساسية موضع الدراسة.

٣ــ دراسة روبياك: أجريت الدراسة عام (١٩٨٥) على (١٥٩) طالبا وطالبة في جامعة كنساس الأمريكية، منهم (٧٠) طالبا وطالبة يدرسون مقررا في المهارات الدراسية ، بينما تم استخبار (٨٩) آخرين من بين الذين يدرسون مقررات أخرى وقد بينت النتائج التالية:

إن الطالبات اللواتي درسن مقررا في المهارات الدراسية أظهرن صعوبات أكثر في التكيف لمحيط الدراسة، وكن أقل استخداما لهذه المهارات في دراستهن وكانت درجاتهن أقل في المواد الاجتماعية.

٤ــ دراسة دايروريلي ديكوفيتش: بينت الدراسة التي قام بها الباحثان إلى أن أخذ الطلبة للمذكرات وقيامهم بتلخيص الموضوع الذي يدرسونه وإعادة قراءته تؤدي إلى نتائج أكثر دلالة.

٥ــ دراسة كيوران (١٩٦١): هدفت الدراسة التي قام بها كيوران دراسة بعض العوامل غير العقلية المرتبطة بالتحصيل المنخفض والعادي والمرتفع للطلاب المستجدين في الجامعة وكانت عينة الدراسة مؤلفة من (٥٥٠) طالبا وطالبة من طلبة السنة الأولى، وقسمت العينة إلى متفوقين وعاديين ومنخفضي التحصيل وذلك على

أساس مجموع درجاتهم في الشهادة الثانوية ودرجاتهم في استخبار عقلي وقد أسفرت الدراسة عن نتائج نقف على أهمها:

ـ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب المتفوقين والعاديين والمنخفضين في العوامل غير العقلية لصالح الطلبة المتفوقين.

ـ تبين أن الطلبة المتفوقين يقضون وقتا في الاستذكار أطول من الذي يقضيه الطلاب العاديين والمنخفضين عقليا.

ـ وجود فروق دالة إحصائيا بين المجموعات الثلاث في التوافق الدراسي لصالح الطلبة المتفوقين.

٦-**دراسة كازل (١٩٧١):** وهي دراسة للعوامل غير العقلية المرتبطة بالتوافق والنجاح الدراسي للطلاب المستجدين في الجامعة من ذوي المستويات الاجتماعية والاقتصادية وأجريت الدراسة على طلبة جامعة أوكلاهوما في أمريكا عام ١٩٦٩ وتألفت العينة التجريبية من ٥٠ خمسين طالبا وطالبة من ذوي المستويات الاجتماعية والاقتصادية المنخفضة وعينة ضابطة تكونت من ٥٠ خمسين طالبا وطالبة من ذوي المستويات الاجتماعية والاقتصادية المتوسطة والمرتفعة.

وقد استخدم الباحث أدوات مناسبة لتحقيق هدف البحث. وقد أسفر البحث عن النتائج الهامة التالية:

ـ عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين ذوي المستويات الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة وذوي المستويات الاجتماعية والاقتصادية المتوسطة والمرتفعة.

ـ عدم وجود ارتباط موجب بين متوسط تقدير الدرجات للطلاب وعوامل الشخصية ودافعية التحصيل والطموح المهني والتوافق النفسي (عنبر،١٩٨٨،ص٥٠-٥٢).

٧ـ جماعة التدريب على مهارات الاستذكار والقراءة:

قام أحد المرشدين المدرسيين في ثانوية ريفية في أمريكا بتجربة ميدانية على مجموعة من طلاب السنة الثالثة في المدرسة، يرغبون في الالتحاق بالجامعة بلغ عدد أفرادها ٢٥ خمسة وعشرون طالباً لتدريبهم على مهارات الاستذكار والقراءة في مادة اللغة الانجليزية. وقد بينت الدراسة التتبعية أن هؤلاء الطلبة تنقصهم الخبرة في طرق الاستذكار الجيد وبخاصة في القراءة، وتم تخصيص حصتين أسبوعياً لتدريب هؤلاء الطلبة على تعلم القراءة، ... وفي نهاية البرنامج استطاع الطلاب كتابة المحاضرات التي تلقى في الجامعة.

وقد نجح هذا الفريق الذي أشرف على تنظيمه المرشد للتدريب على مهارات الاستذكار في تحقيق هذا الغرض، كما نجح في التعرف إلى التلاميذ الذين يعانون من صعوبة في اللغة الإنجليزية بإعطائهم دروساً خاصة لتقويتهم، وفي الوقت نفسه أفادت اجتماعات هذا الفريق في تشجيع هؤلاء التلاميذ على التفكير في وضع خطط مستقبلهم التعليمي (أولسن، ١٩٧٩،ص٥٠٤-٥٠٦).

٨ـ دراسة لينة عنبر (١٩٨٨):عنوان الدراسة فاعلية التوجيه المدرسي في تحسين عادات الدراسة لدى طلبة الصف الثاني الإعدادي، وكان مجالها في مقرري التاريخ والعلوم الطبيعية. وقد طبقت الدراسة على عينة عدد أفرادها (١٦٠) طالباً وطالبة في الصف الثاني الإعدادي، ثمانون منها عينة تجريبية والأخرى ضابطة.

وقد استخدمت الباحثة استخبار غلبرت رين بالإضافة إلى الاستخبارات التحصيلية في مادتي التاريخ والعلوم الطبيعية واجراءات التوجيه المدرسي المتمثل بعقد جلسات توجيه مع كل زمرة من زمر العينة التجريبية. وقد توصلت الدراسة إلى أهم النتائج التالية:

ـ إن الطلاب ذوي التحصيل المنخفض يتبعون عادات دراسية غير مجدية بينما يتمتع الطلاب ذوو التحصيل الجيد بعادات دراسية أكثر جدوى.

ـ أثبت التوجيه المدرسي فاعلية في تحسين عادات الدراسة تحسناً جوهرياً.

ـ تبين أن التحسن في عادات الدراسة ترافق بتحسن في التحصيل الدراسي وكان التحسن جوهرياً أيضاً عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ .

ـ حقق الذكور من أفراد العينة تفوقاً في تحسين عادات الدراسة أكثر مما حققته الإناث.(عنبر،١٩٨٨،ص١١٧-١٢١).

ثامناً: مكانة الدراسة الحالية بين الدراسات السابقة:

تتميز الدراسة الحالية بالنواحي التالية:

أ. أجريت على طلبة المرحلة الثانوية، لأهمية هذه المرحلة في تحديد مستقبل الطالب الدراسي والمهني.

ب. دراسة علاقة متغير الفرع الدراسي (العلمي والأدبي) بعادات الدراسة في بنود الاستخبار بعامة وفي جوانبه الأربعة بخاصة.

ت. دراسة علاقة متغير الجنس (الذكورة والأنوثة) بعادات الدراسة في بنود الاستخبار بعامة وفي جوانبه الأربعة بخاصة.

الدراسة الميدانية وإجراءاتها:

١.**منهج البحث:** يعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته في تعرف العادات الدراسية الخاطئة وبدائلها الصحيحة لدى طلبة المرحلة الثانوية.

٢.عينة البحث وحدوده: (الزمان والمكان).

تكونت عينة الدراسة من (٣٠٠) ثلاثمائة طالباً وطالبة في المرحلة الثانوية من مدارس مدينة دمشق الرسمية، بواقع (١٠٠) طالب في كل سنة دراسية منهم (١٥٠) طالباً و(١٥٠) طالبة، وقد اختيرت العينة بشكل عشوائي بحيث كان لكل طالب الحظ في أن يكون ممثلاً بالعينة في المدارس التي أجريت فيها الدراسة. وقد تكونت العينة من ذكور وإناث ومن طلبة الفرعين العلمي والأدبي لدراسة العادات الدراسية وفق متغيرات الجنس والتخصص والمستوى الدراسي، وأجري البحث في العام الدراسي ١٩٩٥-١٩٩٦.

٣ــ حدود البحث: يقتصر البحث على العادات الدارسية لدى طلبة المرحلة الثانوية بفرعيها العلمي والأدبي في مدارس مدينة دمشق الرسمية للذكور والإناث، وذلك بتطبيق استخبار غلبرت رين للعادات الدراسية في العام الدراسي ١٩٩٥-١٩٩٦.

٤ــ أداة البحث: اعتمد الباحث على استخبار غلبرت رين للعادات الدراسية (Habits Study Inventory) وقد استخدمت النسخة نفسها التي عدلتها لينا عنبر لتلائم طلبة المرحلة الإعدادية علماً بأن الباحثة تشير في دراستها أنه تم تعديل طفيف في بندين فقط وتم إلغاء بند واحد لعدم ملائمته للبيئة السورية والاستخبار يقيس أو يكشف عن العادات الدراسية الخاطئة والصحيحة من خلال (٢٧) سبعة وعشرين سؤالاً أو بنداً يتألف منها المقياس، ويجيب عنها الطلبة بثلاثة أشكال للإجابة هي : نادر الصحة - صحيح أحياناً - صحيح دائماً.

ويتألف الإستخبار من قائمة رصد موزونة لعادات معينة في الدراسة والاتجاهات نحوها وقد قال أولئك الذين استخدموه أنه يساعد بشكل خاص في جعل الطلاب يفكرون في عاداتهم الدراسية بدلاً من تركها للحس العام. ويمكن أن يطبق الاستخبار في عشرين دقيقة سواء تم ذلك في غرفة الصف أم خارجها. كما يمكن تصحيح

الإجابات في خلال دقيقتين أو ثلاث دقائق، أما بالنسبة لطريقة التصحيح فإنها تتم من خلال وضع المفتاح فوق أعمدة الاستخبار بحيث تظهر إشارة الضرب التي وضعها المفحوص فوق الأعمدة المفرغة ١ـ٢ـ٣. وعندئذ يمكن رؤية الأوزان الموضوعة أمام كل استجابة وتسجيلها بقلم رصاص على الهامش الأيسر للإستخبار، مع وضع دائرة بلون مختلف حول العبارات التي لها أوزان سالبة ولاسيما تلك العبارات التي توجد أوزانها في العمودين ١ـ٣.

ويتناول الاستخبار أربعة جوانب هي:

- عادات القراءة وتقنيات أخذ المذكرات.
- عادات التركيز.
- توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية في الدراسة.
- عادات عامة ومواقف من مسألة العمل.

ثم تجمع العلامات ذات الإشارة الموجبة وذات الإشارة السالبة وتطرح وفقاً لإشارتها، فالحصول على درجة أدنى من (+٣) يشير إلى العادات الدراسية الخاطئة، لأن درجة (+٣) هي الحد الفاصل بين السلب والإيجاب

أما إذا كانت الدرجة النهائية بعد الطرح أكثر من (+٣) فإن العادات تشير إلى أنها صحيحة.

٥ـ التعريفات الإجرائية:

أـ العادات الدراسية: هي مجموعة العادات الدراسية التي يتألف منها استخبار غلبرت رين وتتناول أربعة جوانب هي:

- القراءة وتقنية أخذ المذكرات.

ــ عادات التركيز

ــ توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية في الدراسة .

ــ عادات عامة والمواقف من مسألة العمل.

ب ــ العادات الخاطئة: هي العادات ذات الوزن السالب في المقياس.

ت ــ العادات الصحيحة: هي العادات ذات الوزن الموجب في المقياس (+٣فأكثر).

٦ــ المعالجات الإحصائية: تم استخراج النتائج وحساب نسبتها المئوية ومتوسطها الحسابي وانحرافها المعياري، ثم أخضعت هذه إلى اختبار ستيودنت (ت) لاختبار دلالة الفروق.

تاسعاً: عرض النتائج وتفسيرها ومناقشة الفرضيات:

١ــ النتائج العامة: سنعرض فيما يلي الجدول رقم (١) الذي يبين النسب المئوية للعادات الدراسية الصحيحة والخاطئة لدى أفراد العينة كافة في الاستخبار بشكل عام.

الجدول رقم (١)

العينة	ن= حجم العينة	النسبة المئوية
الطلبة الذين يتبعون عادات دراسية صحيحة	٢٠٠	%٦٦.٦
الطلاب الذين يتبعون عادات دراسية خاطئة	١٠٠	%٣٣.٤
المجموع	٣٠٠	%١٠٠

يبين الجدول رقم (١) أن ثلثي أفراد العينة يتبعون عادات دراسية صحيحة وأن الثلث الآخر يتبع أفراده عادات دراسية خاطئة وهذه نتيجة إيجابية إلى حد ما، إلا أنه ينبغي

ألا يستهان بنسبة الطلبة ذوي العادات الدراسية الخاطئة لما لهذه العادات من أثر سلبي في تحصيلهم الدراسي (راجع شيفر وميلمان،١٩٨٩،ص٥٩٢).

٢- النتائج بحسب السنة الدراسية:

الجدول رقم (٢)

الفروق الإحصائية بين المتوسطات باختبار(ت)

بين طلبة صفوف المرحلة الثانوية الثلاثة

المتغيرات	ن حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة
ثالث ثانوي	١٠٠	٣,٠٣	٣٢,٧	*٥,٦٥١
ثاني ثانوي	١٠٠	٣٢,٨٦	٤١,١	
ثالث ثانوي	١٠٠	٣,٠٣	٣٢,٧	*٢,٨١٩
أول ثانوي	١٠٠	١٨,٢٧	٤٢,٧	
ثاني ثانوي	١٠٠	٣٢,٨٦	٤١,١	*٢,٤٤٩
أول ثانوي	١٠٠	١٨,٢٧	٤٢,٧	

يبين الجدول رقم (٢) أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بين طلبة الثالث الثانوي والثاني الثانوي في بنود الاستخبار بوجه عام وذلك لصالح طلبة الثاني الثانوي، ويعود ذلك إلى أن سنة التخرج أو إنهاء الدراسة (الصف الثالث

* الفروق دالة إحصائيا

الثانوي) تؤثر في سلوك الفرد، كما يؤثر التفكير في المستقبل في الطالب مما يحتمل ألا يقدم صورة واقعية عن شخصيته وبالتالي عن عاداته الدراسية (عز ١٩٩٠ص٨٦).

كما أن الباحث يفسر ذلك بأن طلبة الصف الثاني الثانوي هم أكثر استقرارا نفسيا ودراسيا من طلبة الصفين الأول والثالث الثانوي. كما أن الضغط النفسي الذي يعيشه طالب الثالث الثانوي المتسبب عن تدخل الأقارب والأهل والمعلمين المستمر في مواعيد الدراسة وطرائقها، يؤثر سلبا في عادات الطالب الدراسية، لذلك جاءت العادات الدراسية لدى طلبة الصف الثاني الثانوي أفضل بشكل دال إحصائيا منها لدى طلبة الثالث الثانوي. كما يتبين من الجدول أن الفروق دالة إحصائيا بين طلبة الصف الثالث الثانوي والأول الثانوي وذلك عند مستوى دلالة ٠,٠٥ لصالح طلبة الأول الثانوي وذلك للأسباب نفسها المذكورة أعلاه.

ويتضح أخيرا من الجدول أن الفارق ذو دلالة إحصائية بين طلبة الثاني الثانوي والأول الثانوي في بنود الاستخبار بشكل عام وذلك عند مستوى دلالة ٠,٠٥ وهو لصالح الصف الثاني الثانوي، ويعود ذلك إلى أن الصف الثاني الثانوي هو تخصصي،وبالتالي فإن المواد التي تدرس فيه محببة للطالب لأنه اختاره بإرادته ورغبته وبناء على قدراته، كما قد يعود ذلك إلى أن خبرة طلبة الصف الثاني الثانوي أكبر من خبرة الصف الأول الثانوي. وبهذا ترفض الفرضية الأولى بشكل كلي.

٣- النتائج بحسب الجنس والتخصص:

جدول رقم (٣)

الفروق الإحصائية بين المتوسطات باختبار (ت) بين الذكور والإناث

والفرعين العلمي والأدبي في المرحلة الثانوية

العينة	ن حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	(ت) المحسوبة
ذكور	١٥٠	١٧,٧	٣٩,٢	٠,١٧
إناث	١٥٠	١٨,٥	٤٢,٢	
علمي	١٠٠	٢٢,٧٥	٤٧,٤٣	١,٠٢٩
أدبي	١٠٠	١٦,٣٧	٣٩,٣٩	

يبين الجدول رقم (٣) أنه لا توجد فروق بين الذكور والإناث من طلبة المرحلة الثانوية في العادات الدراسية بوجه عام، ويعود ذلك من وجهة نظر الباحث إلى إدراك أهمية هذه المرحلة في مستقبل الطالب من الجنسين، كما يعود ذلك إلى أن كلا من الذكور والإناث قد مر بخبرات دراسية متشابهة ومناهج موحدة وطرائق تدريس متشابهة.

إن هذه العوامل أسهمت في جعل العادات الدراسية غير متباينة بينهما وهذه النتيجة تعني تحقق الفرضية الثانية تماما.

كما يبين الجدول نفسه في المقارنة بين طلبة الفرعين العلمي والأدبي من أفراد العينة، أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الفرعين في مجمل المقياس. ويعود ذلك من وجهة نظر كاتب البحث إلى تشابه الخبرات ووحدة المنهاج حتى نهاية الصف

الأول الثانوي. بالإضافة إلى تشابه طرائق التدريس وشروط الحياة الاجتماعية للطلبة. وبذلك تقبل الفرضية الثالثة قبولا كليا أيضا.

٤- نتائج البحث بحسب جوانب المقياس الأربعة:

سوف نعرض النتائج بحسب كل جانب من جوانب المقياس المستخدم:

٤-١-عادات القراءة وأخذ المذكرات: بينت النتائج هنا عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث وطلبة الفرعين العلمي والأدبي من أفراد العينة في القراءة وأخذ المذكرات، كما هو موضح في الجدول رقم (٤) وهذا يعود إلى وحدة المنهاج وتشابه الخبرات الدراسية بين الذكور والإناث، أما بالنسبة لطلبة الفرعين العلمي والأدبي فيعود بالإضافة للأسباب المذكورة إلى أن كلا منهم قد اختار الفرع الذي يناسب ميوله وقدراته وبالتالي فإنه يستخدم العادات الدراسية المناسبة .

جدول رقم (٤)

الفروق الإحصائية بين المتوسطات باختبار (ت) في تقنية القراءة وأخذ المذكرات

العينة	ن حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة
ذكور	١٥٠	٥,٥	١٤,٩	١,٩٤
إناث	١٥٠	٢,٦	١٠,٥	
علمي	١٠٠	٢,٩٤	١٠,١	١,٠٢
أدبي	١٠٠	٤,٥٤	١١.٠٩	

٤-٢- تقنية التركيز:

يوضح الجدول رقم (٥) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في تقنية التركيز، كما يوضح أن الفرق ذو دلالة إحصائية بين طلبة الفرع العلمي وطلبة الفرع الأدبي لصالح العلمي.

ويعود ذلك إلى أن طلبة الفرع العلمي يحتاجون لتركيز أكبر بسبب طبيعة موادهم العلمية التي تتطلب مزيدا من التركيز وبخاصة في الفيزياء والرياضيات. أما الفرع الأدبي فيحتاج أكثر للفهم والحفظ ويمكن أن يكون التركيز المطلوب أقل.

جدول رقم (٥)

الفروق الإحصائية بين المتوسطات باختبار (ت) في تقنية التركيز

العينة	ن	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة
ذكور	١٥٠	-٤,٩	١٣,٣	٠
الإناث	١٥٠	-٤,٩	١٦,٠٢	
علمي	١٠٠	-٣,٧٣	١٥	*٢,٢٤
أدبي	١٠٠	-٨,٢١	١٣,٢	

٤-٣- جانب توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية:

يتضح من الجدول (٦) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلبة الفرعين العلمي والأدبي، وكذلك بين الذكور والإناث فيما يتصل بتقنية توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية ويرجع ذلك إلى إدراك أفراد العينة من ذكور وإناث وطلبة الفرع العلمي والأدبي أهمية توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية.

جدول رقم (٦)

الفروق الإحصائية بين المتوسطات باختبار (ت) في تقنية توزيع الوقتوالعلاقات الاجتماعية

العينة	ن حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة
ذكور	١٥٠	٩,٦	١٩,٤	٠,٠٧
إناث	١٥٠	٩,٤	١٩,٣	
علمي	١٠٠	٩,٩١	٢٠,٠٢	٠,٢٤
أدبي	١٠٠	٩٠٢٥	١٧,٩	

٤ـ٤ـ جانب العادات العامة والمواقف من مسألة العمل:

الجدول رقم (٧)

الفروق بين المتوسطات باختبار (ت) في تقنية العادات والمواقف من العمل

العينة	ن حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة
ذكور	١٥٠	٧٠٧	١٦,٦	١,٧٦٢
إناث	١٥٠	١٠,٩	١٤,٧	
علمي	١٠٠	١٢,٧٤	١٧,٨	١,٥٥
أدبي	١٠٠	٨,٤٣	١٨,٨	

ونرى من الجدول (٧) أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في تقنية العادات العامة والمواقف من العمل، وكذلك عدم وجود فروق بين طلبة الفرعين العلمي والأدبي في الجانب ذاته.

ويعود ذلك إلى تشابه الخبرات الدراسية التي مر فيها الطالب وإلى أن العادات العامة ليست مطلوبة في اختصاص دون آخر. مما تقدم فإننا نقبل الفرضية الرابعة التي تنص على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في جوانب الاستخبار الأربعة قبولاً كلياً.

كما أننا من خلال النتائج المبينة في الجدول (٧) نقبل الفرضية الخامسة والأخيرة التي تنص على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلبة الفرعين العلمي والأدبي في جوانب الاستخبار الأربعة قبولاً جزئياً، لأنه تبين وجود فرق واحد ذي دلالة بين طلبة الفرع العلمي وطلبة الفرع الأدبي في تقنية التركيز لصالح طلبة الفرع العلمي،أما جوانب المقياس الثلاثة الأخرى فلم توجد فيها أي فروق جوهرية.

عاشراً: مقترحات البحث:

من خلال الدراسة الميدانية التي تم إجراؤها في مدارس مدينة دمشق الثانوية نستطيع أن نقترح ما يلي:

١. ضرورة إجراء بحوث محلية وعربية مقارنة لسبر العادات الدراسية لدى الطلبة في المراحل الدراسية المختلفة.

٢. ضرورة إجراء بحوث مماثلة على طلبة المراحل الدراسية الأخرى الابتدائية والإعدادية والجامعية.

٣. استخدام أدوات بحث أخرى مع متغيرات مستقلة من حيث (ريف مدينة)(المستوى الاقتصادي الاجتماعي والثقافي).

٤. ضرورة إرشاد الطلبة لإتباع العادات الدراسية الصحيحة، مما ينعكس إيجاباً على تحصيلهم الدراسي.

الملحق رقم (١)

العادات الدراسية الخاطئة والصحيحة حسب استخبار غلبرت رين (عنبر، ١٩٨٨، ص٣-٥)

جوانب الاستخبار	رقم البند	العادات الدراسة السيئة	العادات الدراسية الصحيحة
	١	القراءة من دون فهم أو تدبر	القراءة مع الفهم
	٢	عدم تمييز النقاط الهامة من المادة المقروءة	تمييز النقاط الهامة من المادة المقروءة
عادات القراءة وتقنيات أخذ المذكرات	٣	إهمال اللجوء إلى المراجعة أو التسميع الذاتي	اللجوء إلى المراحعة والتسميع الذاتي
	٤	القراءة بصوت عال أثناء المذاكرة	اتباع القراءة الصامتة أثناء المذاكرة
	٥	نسيان النقاط الهامة المبحوثة سابقا أثناء الدرس	التذكر الجيد للنقاط الهامة المبحوثة سابقا
	٦	القراءة من دون تركيز والتعرض لتشتت الانتباه	التركيز الشديد على المادة المقروءة وعدم تشتت الانتباه
	٧	الشرود أثناء القراءة والاستغراق في أحلام اليقظة	عدم الشرود أثناء القراءة وعدم العرض لأحلام اليقظة
عادات التركيز	٨	عدم الاندماج السريع مع المهمة الدراسية والاستقرار عليها	الاندماج مع المهمة الدراسية بسرعة والاستقرار عليها
	٩	إضاعة الوقت والتلكؤ قبل البدء بالدراسة	عدم إضاعة الوقت والبدء الفوري بالدراسة
	١٠	فترات دراسة قصيرة جدا أو غير متناسبة	فترات دراسة طويلة نسبيا ومناسبة
توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية في الدراسة	١١	توزيع الوقت بشكل غير حكيم وغير متناسب مع المادة المدروسة	توزيع الوقت بحكمة حسب المادة المدروسة
	١٢	عدم التفرغ للدراسة والانجذاب للمؤثرات الخارجية	التفرغ للدراسة وعدم التأثر بالمؤثرات الخارجية
	١٣	عدم إنهاء الأعمال في مواعيدها	إنهاء الدراسة في مواعيدها
	١٤	الدراسة بشكل جماعي	الدراسة بشكل منفرد

تتمة الملحق رقم (١)

جوانب الاستخبار	رقم البند	العادات الدراسة السيئة	العادات الدراسية الصحيحة
	١٥	تعارض أوقات الدراسة مع أوقات الترفيه	التوزيع العادل للوقت بين الدراسة والترفيه
توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية في الدراسة	١٦	إضاعة كثير من الوقت على موضوعات غير دراسية وعدها أولية	توفير الوقت لصرفه في الدراسة وعدها أولية
	١٧	تعارض أوقات الواجبات الاجتماعية وقضاؤها مع أوقات الدراسة	تنظيم الوقت بين الواجبات الاجتماعية والدراسة
	١٨	القلق أثناء الامتحان والتعبير عن الأفكار بشكل مضطرب	الهدوء أثناء الامتحان والتعبر عن الأفكار بشكل صحيح
	١٩	عدم التخطيط للإجابة عن أسئلة الامتحان قبل البدء بكتابتها	التخطيط للإجابة عن السؤال الموجه في الامتحان قبل البدء بالإجابة
	٢٠	التسرع في أثناء الامتحان وتسليم ورقة الإجابة مبكرا	التروي في أثناء الامتحان وعدم تسليم ورقة الإجابة قبل نهاية الوقت
	٢١	الاستطراد بالقراءة دون فهم ثم العودة من جديد للفهم	محاولة الفهم منذ القراءة الأولى
عادات عامة ومواقف من مسألة العمل	٢٢	عدم ربط التعلم الجديد بالقديم وعدم ربط المساقات ببعضها	ربط التعلم الجديد بالتعلم القديم وربط المساقات ببعضها
	٢٣	عدم اللجوء لتلخيص الحقائق العلمية وتصنيفها وربطها بأخرى سبق تعلمها	اللجوء لتلخيص الحقائق العلمية وتصنيفها وربطها بأخرى سبق تعلمها
	٢٤	الانقطاع عن الدراسة لفترة طويلة	المواظبة والمثابرة على الدراسة يوميا
	٢٥	عدم بلوغ نقطة التذكر المباشر عند التعلم	اللجوء للتعلم الزائد والدارسة المتمكنه
	٢٦	عدم وجود الميل للدراسة بشكل فعال في معظم الأوقات	وجود الميل للدراسة بشكل فعال في معظم الأوقات
	٢٧	الربط بين مشاعر سلبية نحو المعلم مثلا والموضوعات الدراسية	الفصل بين المشاعر السلبية سواء نحو المعلم أم أي مساق مدرسي احر والدراسة

المراجع العربية

١.أولسن، ميرل، م(١٩٧٩): التوجيه، فلسفته وأسسه ووسائله، ترجمة عثمان لبيب فراج ومحمد نعمان صبري، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة.

٢.حلوم، محمد علي (١٩٩٤) : النجاح في الدراسة والحياة وأسباب الرسوب في الامتحان، مطابع مؤسسة تشرين، دمشق.

٣.حمصي، أنطون (١٩٩٢): علم النفس التجريبي، منشورات جامعة دمشق،دمشق.

٤.رفاعي، نعيم، (١٩٨٨): الصحة النفسية، دراسة في سيكولوجية التكيف،منشورات جامعة دمشق، دمشق.

٥.سليمان، سناء محمد (١٩٩٠): محاضرات في سيكولوجية التعليم، المطبعة الفنية،دمشق.

٦.شيخ حمود، محمد (١٩٩٤):الارشاد المدرسي، منشورات جامعة دمشق، دمشق.

٧.شيفر، شارلز – ميلمان، هوارد (١٩٨٩): مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها، ترجمة: نسيمة داود ونزيه حمدي، منشورات الجامعة الأردنية،عمان .

٨.سمارة، عزيز- نمر، عصام (١٩٩٢): محاضرات في التوجيه والإرشاد، دار الفكر، عمان.

٩.صادق، آمال – أبو حطب، فؤاد (١٩٩٤): علم النفس التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

١٠.صالح، أحمد زكي(١٩٩٥):علم النفس التربوي، طبعة ١٣ دار النهضة العربية،القاهرة.

١١.عبد اللطيف، مدحت عبد الحميد (١٩٩٠): الصحة النفسية والتفوق التحصيلي،دار النهضة العربية، بيروت.

١٢.عبد الصمد، محمد كامل (١٩٩٠): سيكولوجية المذاكرة (كيف تتذكر وتتفوق)،دار السلام القاهرة.

١٣.عز، إيمان (١٩٩٠): رائز برنرويتر للشخصية، دراسة الرائز وتعييره في القطر العربي السوري، رسالة ماجستير في علم النفس غير منشورة، كلية التربية،جامعة دمشق، دمشق.

١٤.عنبر، لينة (١٩٨٨): فاعلية التوجيه في تحسين عادات الدراسة. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق، دمشق.

١٥.مورتنسن، د.ج -شمولر، أ.(١٩٨٦): التوجيه في المدرسة، ترجمة ابراهيم حافظ وابراهيم خليل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

١٦.كوشابير، ماري جوزية (١٩٩٢): الذاكرة والنجاح، ترجمة عمر كربوج،مراجعة نخلة كلاس، دار طلاس، دمشق.

١٧-كيرولس، ولسن (١٩٨٢): كيف تذاكر، مراجعة: عدلي سليمان تقديم محمد عبد الخالق علام، مؤسسة أعلام التحرير، القاهرة.

١٨-همام، طلعت (١٩٨٧): كيف تدرس وتتفوق ؟ دراسة لكل الطلبة، دار الفرقان،عمان.

المراجع الأجنبية

1-Heller, K.(Hrsg.) (1976): Handbuch der Bildungsberatung, Ernst Klett Verlag, Stutgart, Deutschland.

2- Hoehn E. (1980) Der schlechte Schuler, R.piper & Co. Verlag Muenchen.

3- Jopt, U,- j;(1985): Schlechte Schuler , Faule Schuler ? Wie Eltern helfen. Koennen Verlag Foer Psychologie Dr. c.j.Hogrefe, Dusseldorf, Deutschland.

4- Kemmler, L.(1987): Schulerfolg und Schulversagen . Verlag Foer Psychologie. Dr c.jHorgrefe, Goettingen, Torento.

5- Kessle, W. (1987): Die Lehrer-Schuler, Beziehungen und paedagogisches Fuhrungsverhalten des Lehrers-aus psychologischer Sicht, Volk und Wissen VE Verlag, Leipzig.

6- Loewe, H.(1975): Probleme des Leistungsversagens in der Schule, Volk und Wissen VE Verlag, Berlin.

تاريخ ورود البحث إلى جامعة دمشق: ١١/٢/١٩٩٨

اتجاهات طلبة جامعة اليرموك - الأردن نحو الأنشطة الترويحية وأوقات الفراغ

د. وليد مارديني

كلية التربية الرياضية ــ جامعة اليرموك

الملخص

تهدف الدراسة إلى التعرف على الاتجاهات السائدة نحو الترويح لدى طلبة جامعة اليرموك (إربد ــ الأردن) وكذلك التعرف إلى تأثير بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية للطلبة وأسرهم في اتجاهاتهم نحو الترويح، ولتحقيق هدف الدراسة تم تصميم استمارة استبيانه مكونة من جزأين يتضمن الأول معلومات ديمغرافية وبيانات شخصية ويتضمن الثاني فقرات الاتجاهات نحو الترويح، وتم توزيع الاستمارة على مئتي طالب من طلبة كلية التربية الرياضية بجامعة اليرموك اختيروا عشوائياً وبعد جمع البيانات وتحليلها إحصائياً أشارت النتائج إلى إيجابية الاتجاهات السائدة لدى الطلاب نحو الترويح، كما أشارت نتائج التحليل التباين إلى وجود فروق في الاتجاهات نحو الترويح تبعاً لمتغيرات المستوى التعليمي للوالدين، وعدم وجود فروق في اتجاهات تبعاً لمتغيرات مستوى الدخل الشهري لأسرهم ومدى الإقبال على الممارسة الفعلية للترويح.

يقاس تقدم الحضارة بقدرتها على دعم القيم الإيجابية نحو الفراغ بوصفه نظاماً اجتماعياً له وظائف مهمة على المستويين الجماعي والفردي كما يؤثر النظام التربوي كماً ونوعاً في أسلوب الأفراد في قضاء وقت الفراغ ويؤثر في نطاق الأنشطة التي يؤديها الفرد وتختلف خبرة الفراغ والترويح باختلاف المجتمعات والثقافات بل وباختلاف الأفراد والجماعات وذلك لتباين عوامل وظروف تلك الخبرة وتنوعها، وقد أكدت الدراسات أن اتجاهات الفرد تشكل وفقاً للمعلومات التي يحصل عليها أو يتعرض لها.

والآن ومع تزايد الإقبال على الجامعات تثار الكثير من التساؤلات حول أهداف الشباب من الالتحاق بالجامعة في ضوء الإطار الاجتماعي لأي مجتمع،وعوامل التنشئة الاجتماعية له واختلاف الدور الاجتماعي لكل من الجنسين والفرص المتاحة لكل منهما في التعليم والعمل في مختلف المجالات، إلا أن هناك فروقاً بين الشباب من الجنسين في أهدافهم من الالتحاق بالدراسة الجامعية والتي تكمن وراءها حاجات نفسية، وقد أكد المهتمون أن الإنسان يولد ولديه خمسة أنظمة من الحاجات مرتبة بشكل هرمي على النحو التالي: حاجات فسيولوجية، حاجات الأمن،حاجات الحب، حاجات الاحترام، وحاجات تحقيق الذات. وتبعاً للتطورات التي تحدث في المجتمع أصبح أحد أهداف التربية هو الاستخدام الهادف البناء لوقت الفراغ إلى جانب أهداف تتمثل في التربية وتحقيق الذات وتنمية العلاقات الاجتماعية والإنسانية والاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية كمواطن في المجتمع، وكل فرد بحاجة إلى أن يعد نفسه لا ليشغل وظيفة فقط بل لاستثمار وقت فراغه بطريقة بناءة تعود عليه وعلى المجتمع بالفائدة ومن ثم فإن التربية الترويحية مهمة تربوية، وتنمية القدرات الترويحية جزء من وظيفة التربية، ولما كانت الأنشطة الترويحية تحقق النمو المتكامل للشباب بصفة عامة وطلبة الجامعات بوجه الخصوص من جميع النواحي البدنية والعقلية والنفسية وهدف إعدادهم للحياة ليكفل لهم المشاركة الفعالة

في بناء المجتمع، لهذا فإن التعرف إلى مدى الارتباط بين أثر ممارسة بعض الأنشطة الترويحية في اتجاهات طلبة الجامعة جدير بالدراسة.

وهناك العديد من المفاهيم التي يقدمها الباحثون لمصطلح الاتجاه ويرى كل من صادق والهاشمي (١١:١٩٨٨) أن الاتجاهات الإيجابية تنمي لدى الطالب الرغبة لترجمة المعلومات والمعارف التي أكتسبها من خلال الممارسة الفعلية مما يؤدي بالتالي لرفع كفايته المهارية. وأضافت آنا ستسيزي (Anastasi, 20, 1945) أن الاتجاه هو الرغبة في الاستجابة نحو مجموعة معينة من المثيرات. وهذا ما يؤكده صادق غسان والهاشمي (١١:١٩٨٨) في (إدماج القيمة) أي عملية إدماج شيء ما في سلوك الفرد والعمل به. كما أشار سلامة (٣:١٩٧٥) إلى أنه رغم اختلاف معاني الاتجاهات وتعاريفها فإنها تكاد تجمع على أن الاتجاه عامل أو متغير من قبل المتغيرات الوسيطة التي تقع بين المثير والاستجابة وما تبدل عليها من نماذج واستجابات الفرد المتعددة التي تتميز بنوع الاتفاق والاتساق نحو مثير معين، وهذا يتفق مع كل من (جلال، ١٩٧٢، ٧، وسلامة، عبد الغفار، ١٩٨٢، ٢)، ومن التعاريف الفعالة للاتجاه يلخص علاوي (١٤:١٩٨٣) إلى أن الاتجاه إما آيجابي أو سلبي أو حيادي: يمكن تشبيه الاتجاه بامتداد أحد جانبي التأييد التام (أقصى الإيجابية) للموضوع الذي يتعلق به الاتجاه، ويمثل الآخر المعارضة المطلقة (أقصى سلبية) لهذا الموضوع. وتنقسم المسافة بين هذين الجانبين إلى نصفين متساويين في نقطة يطلق وكلما ابتعدنا عن نقطة الحياد نحو التأييد التام تزداد درجة إيجابية الاتجاه وكلما ابتعدنا عن نقطة الحياد نحو المعارضة تزداد درجة سلبية الاتجاه.

أما فيما يتعلق بمقياس الاتجاهات نحو النشاط الرياضي بشكل خاص فتعد محاولة ادجنجتون (Edgington, 21, 1966) أولى المحاولات لقياس الاتجاهات نحو النشاط الرياضي والتي من خلالها حاول تطوير مقياس يشتمل على ٦٦ عبارة نصفها موجب والنصف والآخر سالب يقوم كل مبحوث بالاستجابة لكل عبارة من عبارات

المقياس على النحو التالي: أوافق بدرجة كبيرة جدا، أوافق بدرجة كبيرة، لا أوافق، لا أوافق بدرجة كبيرة جدا.

وقد أشار ادجنجتون إلى أنه لم يدخل في المقياس المدرج استجابة حيادية في منتصف المقياس (كما هو الحال في طريقة ليكرت التي استخدمت في هذه الدراسة) لأنه افترض أن المبحوثين سيتخذون إما استجابات إيجابية أو استجابات سلبية تجاه عبارات المقياس.

وقد أكد إبراهيم وجيه (١) على أن الاتجاه هو استجابة خاصة عند الفرد توجه سلوكه لموقف معين، وكذلك اقترح كاتز Katz 22 ستاتلند Statland أن للاتجاهات ثلاثة مكونات وهي الجانب المعرفي Cogntive Domain الجانب الوجداني Affective Domain، الجانب السلوكي Behavioural Domain.

ولما كانت دوافع الأفراد وحاجاتهم واتجاهاتهم لا عدد لها كالحاجة إلى الأمن والحاجة إلى التقدير الاجتماعي في الظهور أو التعبير عن الذات فقد أشار إبراهيم وجيه (١) إلى الحاجة Need بمعناها الواسع على أنها حالة من النقص والافتقار أو الاضطراب الجسمي أو النفسي.

وكذلك أشار محمد حسن علاوي (١٤) إلى أن الكثير من علماء النفس يستخدمون مصطلح الحاجات كمرادف لمصطلح الدوافع.

وعليه وفي ضوء المفهوم الحديث للتربية، نجد أن المنهج الدراسي لا ينحصر نطاقه في المعارف والمعلومات النظرية، بل يتعدى ذلك ليصبح مجموعة الخبرات التي توفرها المؤسسات التربوية خلال المراحل الدراسية المختلفة، وأصبحت الأنشطة التي تقدم في الوقت الحر، متكاملة من العمليات التربوية، وتساهم في النمو المتزن للفرد.

واستثمار وقت الفراغ بين الشباب، من الأهمية بمكان حيث يرى كمال درويش، أن مستقبل الوقت لأي مجتمع من المجتمعات، متوقف إلى حد كبير على كيفية قضاء أبنائه ساعات الفراغ لأن استثمار الوقت الحر بطريقة بناءه، يعود على المجتمع بالفائدة المرجوة، ويعد النشاط الرياضي من بين أهم المجالات لاستثمار الوقت الحر، ومن أهم العوامل التي تسهم في الارتقاء بالمستوى الصحي، والبدني والنفسي للفرد حيث أشارت الدراسات والبحوث إلى أهمية الأنشطة الرياضية في الوقت الحر، وتأثيرها في الجوانب الانفعالية بشكل خاص، فيوضح لوثر Lawther (٢٢) أنه في عصر الحضارة الصناعية تتيح المواقف الرياضية الفرصة للهرب من الضغوط والبعد عن الإحباط، وتؤكد عطيات خطاب (١٠) أنه لا يقتصر على المساهمة في الوقاية من الأمراض النفسية، بل يتعدى ذلك إلى علاجها. ويرى باركر نقلاً عن محمد الحمامي، أن الأنشطة الرياضية تساعد على تحقيق التوازن النفسي، وتقلل من التوتر الناتج عن الإرهاق في العمل، حيث يترتب على الاشتراك فيها إشباع الميول، والاتجاهات والحاجات النفسية والتعبير عن الذات وتفريغ الانفعالات المكبوتة.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات الأجنبية المتعلقة بالاتجاهات نحو ممارسة الترويح أما فيما يتعلق بالدراسات العربية في هذا المجال فقد اطلع الباحث على ما تيسر له ولاحظ أن مثل هذه الدراسات بدأت متأخرة مقارنة بالدراسات الأجنبية.

ففي دراسة قام بها محمد الحمامي (١٨)لدراسة بعض المتغيرات المتصلة باتجاهات طلاب جامعة أم القرى نحو الترويح وذلك على عينة مكونة من (٢٠٢) طالب بكليات التربية والعلوم التطبيقية والعلوم الاجتماعية بالمستويات الدراسية الأربعة بجامعة أم القرى فقد قام الباحث ببناء مقياس للاتجاهات نحو الترويح

مراعياً الأسس العلمية التالية: الأطر النظرية للترويح والتي تم استخلاص أربعة أبعاد رئيسة لتعبر عن الاتجاهات نحو الترويح، كما صنف مفردات المقياس وفقاً للأبعاد المنتمية إليها.

ولقد بلغ عددها (٧٦) مفردة ثم قام بتطبيق المقياس في صورته الأولية على عدد (٦٠) طالباً من طلاب جامعة أم القرى، وفي ضوء نتائج التطبيق الأول أعاد الباحث صيغة بعض المفردات التي كانت تحتمل أكثر من تفسير أو مكامن غامضة في معناها ومفهومها. وقام بعد ذلك بعرض المقياس في صورته الجديدة على خبراء في مجال الترويح والتربية واستبعد المفردات التي اختلفت آراء المحكمين نحوها وبلغت (٨) مفردات، وتكون المقياس من (٦٨) مفردة وزعت على أبعاد المقياس الأربعة وتوصل إلى ألاّ علاقة بين الاتجاه نحو الترويح وكل من (المستوى الدراسي، طبيعة الدراسة، دراسة مادة التربية الترويحية، الممارسة الرياضية) وذلك لعدم وجود فروق جوهرية بين اتجاهات الطلاب في كل من المتغيرات المتصلة بها. بينما أفادت النتائج وجود فروق جوهرية في الاتجاهات نحو الترويح بين الطلاب المفضلين للممارسة الترويحية عن المشاهدة وأقرانهم، من المفضلين المشاهدة عن الممارسة.

كما أظهرت العديد من الدراسات وجود ارتباطات بين المستوى الطبقي وممارسة أوجه النشاط الترويحي وبخاصة أوجه النشاط التي تحتاج ممارستها إلى مستوى ثقافي واقتصادي معين.

وهناك دراسة عايدة عبد العزيز (٨) والتي تناولت اتجاهات خريجات جامعات انديانا نحو ممارسة النشاط الترويحي في وقت الفراغ والتي أوضحت نتائجها وجود تناسب عكسي بين نسبة المساهمة في الأنشطة الترويحية والسن إذا دلت النتائج على أن المساهمة في الأنشطة الترويحية تميل إلى التناقص مع التقدم في السن

وكذلك أشارت النتائج إلى ألاّ تأثير للمهنة في الميل نحو المشاركة في النشاط الترويحي في الوقت الفراغ ولقد أجريت الدراسة على عينة مكونة من (١٦٠٠) خريجة جامعية مصنفة في (٤) مجموعات متساوية العدد وفقاً لسنوات العمر التالية: (٢١-٣٠)، (٣١-٤٠)، (٤١-٥٠)، (٥١-٦٠) سنة.

وفي دراسة قام بها محمد عبد الدايم (١٩٨٢,١٩) لإيجاد العلاقة بين الرضا لدى المشتركين في الأنشطة الرياضية وبعض المتغيرات، أجريت على عينة مكونة من (٧٠٦) طلاب من المدرسة التجريبية الملحقة بجامعة فلوريدا ومن طلبة جامعة فلوريدا، اختيروا عشوائياً من بين الطلاب المشاركين في النشاطات الرياضية،وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن الرضا عن الأنشطة الرياضية يرتبط بمتغيرات الاشتراك الفعلي ومدى الحاجة للاشتراك في النشاط ومستوى المهارات ومستوى التعلم. وألاّ يرتبط بمتغيرات السن والنوع، ولقد استخدم الباحث في دراسته مقياس الرضا عن الأنشطة الرياضية والذي يبلغ معامل ثباته (٠,٩٦) والمكون من (٤٢) عبارة موزعة على (٦) مكونات أساسية وهي: المكون النفسي، المكون العقلي،المكون البدني، المكون الاجتماعي، مكونات الإمكانات، المكون المهني.

وفي دراسة قام بها محمد كمال السمنّودي ويحيى محمد حسن عبده (١٦) تناولت اتجاهات طلاب جامعة أسيوط نحو الترويح وذلك للكشف عن نوع العلاقة بين المتغيرات المتصلة بالاتجاه نحو الترويح حيث تضمنت الدراسة (٤٢٠) طالباً من طلاب جامعة أسيوط ومن كليات التربية والحقوق، والتجارة، والطب البشري، والعلوم، والزراعة، والهندسة، والصيدلة، والتربية الرياضية بالمستويات الدراسية الأربعة. وقد استخلص الباحثان ألاّ فروق دالة إحصائياً في الاتجاهات نحو الترويح بين الطلاب الدارسين بالكليات النظرية والكليات العملية، ووجود فروق دالة إحصائياً بين الطلاب الدارسين لمادة التربية الترويحية وغير الدارسين للمادة في بعدي (أهمية الترويح ـ اهتمام الدولة بالترويح)، وألاّ فروق دالة إحصائياً في

الاتجاهات نحو الترويح بين الطلاب الممارسين وغير الممارسين للنشــاط الريــاضي في الاتجاهات نحو الترويح، وألاّ فروق دالة إحصائياً في الاتجاهات نحو الترويح بين المتفرغين وغير المتفرغين للدراسة.

ومن خلال دراسة تمت على المستويين النظري والامبيرقي عــن الفــراغ والترويح من منظور علم الاجتماع، قام بها محمد علي محمد في عــام (١٩٨٥,١٥) أفادت نتائجها بوجود علاقة بين الاتجاه نحو وقت الفراغ والنوع (الطلاب، الطالبات) وكذلك الاتجاه نحو وقت الفراغ وطبيعة الدراسة(نظرية وعملية) ولقد اعتمد البــاحث في جميع بياناته عن موضوع الدراســة علــى اســتمارة مقابلــة " Interviewing Schedule " تشمل (١٠٧) أسئلة بعد أن أخضعها لصدق المحكمين. ولقــد أجريــت الدراسة على عينة قوامها(٣٨٧٠) طالباً تم اختيارهم عشوائياً من الكليــات العمليــة والنظرية بجامعة الإسكندرية ومن مختلف المستويات الدراسية.

وكذلك من خلال دراســة قــام بــها محمــد الحمــامي وعبــد الرحمــن ظفر(١٩٨٧,١٣) عن أوجه نشاط وقت الفراغ لدى طلاب جامعة أم القرى مــن ذوي التخصصات العلمية المختلفة أوضحت النتائج دور التخصــص العلمــي ــ طبيعــة الدراسة ــ في إقبال الطلاب على نوع أوجه النشاط في وقت الفراغ. فقــد أجريــت الدراسة على عينة قوامها(٣٠٥) طلاب تم اختيارهم عمديــاً مــن قسـمي التربيــة الرياضية (ن= ١٣٥) والتربية الفنية (ن= ٨٠) كما اختير(٩٠) طالباً عشــوائياً مــن الأقسام العلمية الأخرى. وذلك خلال الفصل الدراسي الثاني(١٤٠٥هــــ ــ١٩٨٥م) ولقد دلت النتائج على وجود فروق دالة إحصائياً بين استجابات الطــلاب مــن ذوي التخصصات العلمية المختلفة في ممارسة النشاط الرياضي.

أما فيما يتعلق بالدراسات العربية في مجال اتجاهات الطلبة الجامعيين نحــو الترويح فأنها تمت في بيئات مصرية وسعودية(أم القرى) مما يعطي أهمية خاصــة

لهذه الدراسة التي تمت في بيئة أردنية مما يستدعي الحاجة إلى إجراء دراسات مشابهة في بيئات عربية أخرى.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تعرف الاتجاهات السائدة نحو الترويح لدى طلبة اليرموك، وكذلك التعرف إلى تأثير بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية للطلبة وأسرهم، في اتجاهاتهم نحو الترويح.

أسئلة الدراسة وفرضياتها:

حاولت الدراسة الإجابة عن السؤالين الرئيسين التاليين:

السؤال الأول: ما نوع الاتجاهات (إيجابية، أو سلبية، أو محايدة)، السائدة لدى طلبة جامعة اليرموك نحو ممارسة الترويح؟.

السؤال الثاني: هل تختلف الاتجاهات السائدة لدى طلبة الجامعة نحو ممارسة الترويح باختلاف مستويات بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية لهؤلاء الطلبة وأسرهم.

وقد انبثقت من هذين السؤالين الفرضيات التالية:

فرضيات الدراسة:

١- لا فروق ذات دلالة إحصائية بين الاتجاهات عند طلبة الجامعة نحو ممارسة الترويح تعزى إلى المستوى التعليمي للوالد.

٢- لا فروق ذات دلالة إحصائية بين الاتجاهات عند طلبة الجامعة نحو ممارسة الترويح تعزى إلى المستوى التعليمي للوالدة.

٣- لا فروق ذات دلالة إحصائية بين الاتجاهات عند طلبة الجامعة نحو ممارسة

الترويح تعزى إلى مستوى دخل الأسرة الشهري.

٤- لا فروق ذات دلالة إحصائية بين الاتجاهات عند طلبة الجامعة نحـــو ممارســـة الترويح تعزى إلى مكان الإقامة.

٥- لا فروق ذات دلالة إحصائية بين الاتجاهات عند طلبة الجامعة نحـــو ممارســـة الترويح تعزى إلى مدى الممارسة الفعلية للترويح.

المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن السؤال الرئيس الأول استخدمت التكرارات والنسب المئوية، وللإجابة عن السؤال الرئيس الثاني وما انبثق عنـــه مـــن فـــروض، فقـــد اســـتخدم اختبـــار (ت) الإحصائي واستخدم اختبار تحليل التباين (ANOVA)، واتبع باختبار نيومان كـــول للكشف عن مواقع الدلالات الإحصائية بين مستويات متغيرات الدراسة إن وجدت.

إجراءات البحث:

اتبعت هذه الدراسة المنهجية المسحية لمناسبتها لطبيعة الدراسة.

عينة الدراسة:

تحدد حجم العينة وفقا للمعالجات الإحصائية المناسبة وقد تكونت العينـــة مـــن (٢٠٠) طالب من طلبة جامعة اليرموك (كلية التربية الرياضية) تـــم اختيـــارهم بالطريقـــة العشوائية. وقد استخدمت سجلات الكلية للمساعدة على عملية الاختيار العشوائي وقـــد كان متوسط عمر أفراد عينة البحث عشرين عاماً، أما أهم الخصـــائص الديمغرافيـــة لمستويات كل متغير من المتغيرات التي شملتها الدراسة فـــهي مبينـــة فـــي الجـــدول رقم(١)

جدول رقم (١) **الخصائص الديمغرافية لأفراد عينة البحث**

المتغير	المستويات	النسبة
١- المستوى التعليمي للوالد	أمي	١٠,٨ %
	ثانوي فما دون	٧١,٤ %
	ثانوي فما فوق	١٧,٨ %
٢- المستوى التعليمي للأم	أمي	٤١,١ %
	ثانوي فما دون	٤٦,١ %
	ثانوي فما فوق	١٢,٨ %
٣- مستوى الدخل الشهري للأسرة	أقل من ١٠٠ دينار	٣٠,٦ %
	١٠٠ – ١٩٩	٣٤,٧ %
	٢٠٠ – ٢٩٩	١٨,٨ %
	٣٠٠ – ٣٩٩	٦,٧ %
	٤٠٠ – ٤٩٩	٥,٤ %
	٥٠٠ فما فوق	٣,٨ %
٤- مكان الإقامة الأصلية للوالدين	قرية	٢٩,٢ %
	مدينة	٧٠,٨ %
٥- مدى ممارسة الترويح	باستمرار	٥٢.٥ %
	أحياناً	٤٥,١ %
	لا أمارس مطلقاً	٢,٤ %

أداة البحث:

الأداة التي استخدمت في البحث هي استبانة أعـــدت خصيصـــا مـــن قبـــل الباحث لأغراض هذا البحث وقد اشـــتملت الاســـتبانة علـــى جزئيـــن الأول تنـــاول المعلومات الديمغرافية الخاصة بأفراد العينة والمتعلقة بالعمر ومكان الإقامة والدخـــل الشهري للأسرة والمستوى التعليمي للوالدين ومـــدى ممارســـة النشـــاط الـــترويحي وغيرها من المتغيرات، أما الثاني فتضمن في صورته النهائية ســـت عشـــرة فقـــرة واشتمل على مضامين معينة حول الترويح وأعد بطريقة ليكرت على مقياس مـــدرج من خمسة تدرجـــات، وأعطيت كل فقرة الدرجـــات ١،٢،٣،٤،٥ تبعا للإجابة عنـــها وهي كما يلي: موافق بشدة، موافق، غير متأكد، غير موافق، غير موافق بشدة، هـــذا وعند إعداد المقياس في صورته الأولية اشتمل على ثلاثين فقرة حيث تم حذف أربـــع عشرة فقرة بعد عرض الاستبانة على مجموعة من المحكميـــن وإجـــراء التعديـــلات والمقترحات المناسبة في ضوء ما أبداه المحكمون وبذلـــك انتـــهت الاســـتبانة بســـت عشرة فقرة وهي مجموع ما تضمنته الصورة النهائية، وقد بلغ عدد الفقرات الموجبـــة تسع فقرات، وبلغ عدد الفقرات السالبة سبع فقرات، هذا واستغرق تطبيق أداة الدراسة من ١٥-٢٠ دقيقة.

صدق أداة البحث (Validty):

تم التأكد من صدق أداة القياس التي قام البـــاحث بتطويرهـــا عـــن طريـــق عرضها على لجنة من المحكمين تألفت من (١٥) خمسة عشر محكما ممن يحملـــون الدكتوراه في التربية أو التربية الرياضية، أو علم الاجتمـــاع والذيـــن يعملـــون فـــي الجامعات الأردنية وقد طلب إلى المحكمين جميعهم، تقدير درجة شمول أداة القيـــاس لجوانب الاتجاهات المتعلقة بالنشاط الترويحي، ودقة العبارات لغويا واقتراح ما يرونه مناسبا من أفكار أو فقرات، وحذف غير المناسب منها.

ثبات أداة البحث (Reliability):

قام الباحث بتجربة أداة القياس على عينة استطلاعية مؤلفة من (٤٠) طالباً من كلية التربية الرياضية، وتلخص الهدف من تجريب أداة البحث على هذه العينة الاستطلاعية المذكورة إلى التأكد من وضوح فقرات الأداة والتعليمات الخاصة بها ولحساب معامل الثبات قام الباحث بإعادة تطبيق الاستبانة على العينة المذكورة أعلاه وبفارق زمني مدته عشرة أيام بعد التطبيق الأول للاستبانة وقد بلغ معامل الارتباط بين التعليقين الأول والثاني (٠,٧٩) وعدت درجة معامل الثبات هذه مقبولة لأغراض الدراسة.

نتائج البحث:

فيما يتعلق بالسؤال في هذه الدراسة عن طبيعة الاتجاهات الاجتماعية (إيجابية، أو سلبية، أم محايدة) السائدة عند طلبة التربية الرياضية نحو ممارسة النشاط الرياضي، فإن النتائج المبينة في الجدول رقم (٢) تشير بوضوح إلى أن درجة إيجابية اتجاهات عينة البحث نحو ممارسة الترويح أو سلبيتها أو حياديتها تختلف من موقف إلى آخر. فمثلاً في الموقف الأول (الفقرة الأولى) من مواقف الاستبانة تشير النتائج إلى أن ٩١,٩ % من أفراد عينة البحث ينفقون على أن الترويح يهتم أساساً ببناء الفرد بدنياً وصحياً، منهم ٥٤,٦ يوافق بشدة و ٤١,١ موافق،بينما يبدي ١,٠ % من أفراد عينة البحث عدم موافقتهم و ٠,٥ غير موافق بشدة على أن الترويح يهتم أساساً ببناء الفرد بدنياً وصحياً أما بقية أفراد العينة ٢,٨ فإنهم غير متأكدين من استجابتهم حول هذا الموقف. ففي الموقف الثاني والمتعلق فيما إذا كانت ممارسة الترويح لا تليق بالطالب بالمرحلة الجامعية. فإنه في الوقت الذي تجد فيه أن ٧,٥ % من أفراد عينة البحث يتفقون (١,٢) موافق بشدة و ٥,٢ موافق على أن ممارسة الترويح لا تليق بالطالب في المرحلة الجامعية نجد أن

٨٢,٤% من أفراد العينة لا يتفقون (٣٥,٤) غير موافق و ٤٦,٨ غير موافــق بشــدة على أن ممارسة الترويح لا تليق بالطالب في المرحلة الجامعية في حين أبـــدى مــا نسبته ١١,٤% من أفراد عينة البحث عدم تأكدهم من الاستجابة حول هذا الموقف.

أما فيما يتعلق بتقويم أفراد عينة البحث لأهمية ممارسة الترويح فتشير النتائج إلى أن ١٠,١% منهم يشعرون بأن ممارسة الترويح تؤثر سلبياً في مستوى التحصيــل الأكاديمي في الجامعة (الفقرة رقم ٤) وتتراوح استجاباتهم بين ٣,٢ موافق بشدة و ٦,٦ موافق. وتشير النتائج أيضاً (الفقرة رقم ٥) إلى أن ٨٩,٩% فقط من أفــراد عينــة البحث يرون أن الترويح ضروري لكل فرد وينبغي ممارسته ووزعت استجابتهم بيــن موافق بشدة ٥٦,٩% إلى موافق ٢٣,٢% وتستمر النتائج كما هي مبينة في الجــدول رقم (٢) في إظهار طبيعة الاتجاهات الاجتماعية السائدة عند الطلبة فــي المرحلــة الجامعية نحو ممارسة الترويح، كما تتضح من خلال نوع استجاباتهم وموقف الاستبانة المختلفة. ومن النتائج الملفتة للانتباه في الجدول رقم (٢) تلك المتعلقة بتقويــم أفــراد عينة البحث لفئة ممارسة الترويح في المرحلة الجامعية (الفقرة رقم ١٦) حيث تشــير النتائج إلى أن الغالبية الساحقة من أفراد عينة البحث (٧٣%) تتفق على أن ممارســة الترويح في المرحلة الجامعية مضيعة لوقت الطالب بحيث تتراوح درجات موافقاتــهم غير موافق بشدة ٣٥,١ إلى غير موافق ٤٠,١ والجدول رقــم (٢) يوضــح طبيعــة الاتجاهات المختلفة السائدة عند أفراد عينة البحث نحو ممارسة الترويح.

جدول رقم (٢):

النسب المئوية لطبيعة استجابات أفراد عينة البحث المبينة في الفقرات المختلفة للاستبانة المتعلقة بالترويح

الرقم	الفقـــــــرة	موافق بشدة	موافق	غير متأكد	غير موافق	عير موافق بشدة
١	يهتم الترويح أساسا ببناء صحة الفرد بدنيا وصحيا	٥٤,٦	٤١,١٠	٢,٨	١,٠	٠,٥
٢	ممارسة الترويح لا يليق بالطالب بالمرحلة الجامعية	١,٢	٥,٢	١١,٤	٣٥,٤	٤٦,٨
٣	ممارسة الترويح تساهم في التخفيف من التوترات العصبية والنفسية	٤٣,٢	٣٧,٢	١٤,٥	١,٩	٣,٢
٤	ممارسة الترويح تؤثر في مستوى التحصيل الأكاديمي في الجامعة	٣,٢	٦.٦	٣٠,٥	٤٢,٨	١٦,٩
٥	الترويح ضرورة لكل فرد وينبغي ممارسته	٥٦,٩	٣٢,٢	٥,٣	٤,٠	٠,٦
٦	ممارسة الترويح تعطي فرصة الفرد التعبير عن ذاته	٢٠,٤	٥١,٦	١٩,٩	١,٩	٦,٢
٧	ممارسة الترويح تعطي فرصة الإحساس بالسعادة	٣٧,١	٤٢,٥	١٣,١	٢,٨	٤,٥
٨	ممارسة الترويح أفضل وسيلة لاستغلال وقت الفراغ	٣٠,٦	٣٣,٦	١٩,٢	٨.٨	٧,٨

تتمة الجدول (٢)

الرقم	الفقـــــرة	موافق بشدة	موافق	غير متأكد	غير موافق	غير موافق بشدة
٩	الترويح يجب أن يمارسه لاعبو الفرق الرياضية فقط	١,٩	٢,٩	٣,٧	٢٣,٤	٦٨,١
١٠	الاشتراك في ممارسة الترويح مظهر غير محترم من مدرسي الجامعة غير المختصين بالتربية الكشفية	١٥,١	١١,٩	١١,٨	٢٩,١	٣٢,١
١١	ينبغي تقدير قيمة ممارسة الترويح بصورة أفضل	٢٩,٩	٤٦,٨	٢٠,٨	١,٣	١,٢
١٢	ممارسة الترويح تعلم الفرد التكيف مع المواقف الاجتماعية المختلفة	٢٤,٦	٤٢,٨	٢٠,١	٥,٨	٦,٩
١٣	مادة الترويح لطلبة الجامعة يجب أن تكون إجبارية	٢٠,١	٢٠,٩	٢١,٣	١٢,٩	٢٤,٨
١٤	ممارسة الترويح مرة واحدة أسبوعياً يكفي	٩.٩	١٩,٨	١٣,١	٣٦,٣	٢٢,٩
١٥	ممارسة النشاط الترويحي تضر بالفرد الضعيف بدنياً	٥,٩	٩.٩	٣٠,٥	٢٢,٩	٣٠,٨
١٦	ممارسة النشاط الترويحي في المرحلة الجامعية مضيعة لوقت الطالب	٥,٤	٨,٩	١٠,٥	٤٠,١	٣٥,١

أما فيما يتعلق بالسؤال الثاني والفرضيات المنبثقة عنه حول مدى الاختلاف أو التباين القائم بين اتجاهات الطلاب نحو ممارسة الترويح تبعاً لاختلاف مستويات الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتربية لهؤلاء الطلاب وأسرهم فقد تم استخدام تحليل التباين المعروف بـ (ANOVA) واستخدام اختبار (ت) وطريقة نيومان كولز.

أولاً: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الاتجاهات نحو ممارسة الترويح يعزى إلى المستوى التعليمي للوالد، كما هو مبين في الجدول رقم (٣) حيث تشير نتائج تحليل التباين (ANOVA) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية (عند المستوى ٠,٠٥).

جدول رقم (٣)

تحليل التباين (ANOVA) بين اتجاهات نحو ممارسة الترويح تبعاً لمتغير المستوى التعليمي للوالد

مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	درجات الحرية	قيمة ف*	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	٥٩٣,٨٢	٣١١,٤٠	٢	٤,٠١	٠,٠٢٩
داخل المجموعات	١١١٦٠,٨١	٨١,٧٢	١٩٧		
المجموع	١١٧٥٤,٦٣		١٩٩		

وتشير النتائج في الجدول (٤) إلى وجود فرق دال إحصائياً بين المستوى المتدني (أمي) والمستوى العالي (ثانوي فما فوق)، بينما لم تسجل فروق دالة إحصائياً أخرى لمستويات هذا المتغير.

جدول رقم (٤)

والمقارنات البعدية بين الاتجاهات نحو ممارسة الترويح تبعا للمستوى التعليمي للوالد

	ثانوي فما فوق	ثانوي فما دون	أمي
ثانوي فما فوق (س= ٥٨,٧)	–	١,٧ ·	٤,٥*
ثانوي فما دون (س= ٦٠,٤)		–	٢,٨
أمي (س= ٦٣,٢)			–

جدول رقم (٥)

تحليل التباين (ANOVA) بين الاتجاهات نحو ممارسة الترويح تبعا لمتغير المستوى التعليمي للأم

مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	درجات الحرية	قيمة ف*	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	٦٠٨,٩٥	٣١٨,٩٦	٣	٤,١٢	٠,٠١٩
داخل المجموعات	١١١٤٥,٦٧	٨١,٦١	١٩٧		
المجموع	١١٧٥٤,٦٢		١٩٩		

ثانيا: أما بالنسبة للجدول رقم (٥) تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى المستوى التعليمي للأم كما هو مبين بالجدول، حيث تشير نتائج تحليل التباين إلى وجود فروق دالة إحصائيا.

جدول رقم (٦)

المقارنة البعدية بين الاتجاهات نحو ممارسة الترويح تبعا للمستوى التعليمي للوالد

	ثانوي فما فوق	ثانوي فما دون	أمي
ثانوي فما فوق (س= ٥٥,٣٨)	–	*٦,٩	*٧,١
ثانوي فما دون (س= ٦٢,٢٨)		–	٢,٨
أمي (س= ٦٢,٤٨)			–

وتشير النتائج في الجدول رقم (٦) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مستوى (الثانوي فما فوق) ومستويات كل من (ثانوي فما دون) و (أمي).

ثالثا: وبالنسبة لمستوى دخل الأسرة، فقد أشارت نتائج تحليل التباين (ANOVA) المبينة في الجدول رقم (٧) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغير الدخل الشهري للأسرة.

جدول رقم (٧)

تحليل التباين (ANOVA) بين الاتجاهات نحو ممارسة الترويح تبعا لمتغير الدخل الشهري للأسرة

مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	درجات الحرية	قيمة ف*	الدلالة الإحصائية
بين المربعات	٢٧٤,٤٣	١١٣,٨٠	٣	١,١٩	٠,٠٣٠
داخل المربعات	١١٤٧١,١٩	٨٤,٣٦	١٩٦		
المجموع	١١٦٥٤,٦٢	٨٤,٣٦	١٩٩		

رابعا: وفيما يتعلق بمكان الإقامة الأصلية لطلاب المدينة، القرية فقد أشارت نتائج اختبارات (ت) المبينة في الجدول رقم (٨) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغير مكان الإقامة.

جدول رقم (٨)

اختبار (ت) بين الاتجاهات نحو ممارسة النشاط الرياضي تبعا لمكان الإقامة

المصدر	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت*
المدينة	٩٩	٦١,٣٢	٩,١١	٠,٤٢
القرية	١٠١	٦١,٩٦	٨,٣٦	

خامسا: فيما يتعلق بمدى الممارسة الفعلية أو عدمها للترويح بالاتجاهات نحو ممارسة الترويح، فقد أشارت نتائج تحليل التباين (ANOVA) والمبينة في الجدول رقـــم (٩) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغير مدى ممارسة الترويح.

جدول رقم (٩)

تحليل التباين (ANOVA) بين الاتجاهات نحو ممارسة الترويح تبعا لمتغير مدى ممارسة الترويح

مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	درجات الحرية	قيمة ف*	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	٢٠٥٤,٤٤	١٥٤٢,٧١	٢	٢٧,٨٠	٠,٠٢
داخل المجموعات	٧٩٠٠,٠٨	٨٧,٥٤	١٩٧		
المجموع	١٠٩٥٤,٥٢		١٩٩		

وتشير النتائج الجدولية رقم (١٠) إلى وجود فروق دالة إحصائيا فيما بين متوســـطات مستويات متغير مدى ممارسة الترويح جميعها.

جدول رقم (١٠)

المقارنات البعدية بين الاتجاهات نحو ممارسة الترويح ومدى الإقبال الفعلي على ممارسة الترويح

المصدر	أمارس	أحيانا	لا أمارس
س	٦٤,٤٥	٦٠,٧٢	٤٥,٤٤
أمارس باستمرار ٦٤,٤٥	–	٣,٧٣	٢١,٠١
أحيانا ٦٠,٧٢	–	–	١٥,٢٨
لا أمارس ٤٥,٤٤	–	–	–

مناقشة النتائج:

بناء على تحليل نتائج النسب المئوية لاستجابات أفراد عينة البحث نحو المواقف المختلفة المتعلقة بالترويح (جدول رقم ٢) فإنه يلاحظ بوضوح أنه وعلى الرغم من اختلاف طبيعة الاستجابات من موقف إلى آخر إلا أن مجمل النتائج تشير إلى إيجابية الاتجاهات السائدة عند الطلاب فغالبية أفراد عينة البحث ترى أن ممارسة الترويح يساعد على بناء صحة الفرد بدنيا وصحيا ولا يعد مضيعة للوقت ولا يقلل من إنتاجه الأكاديمي ولا يقتصر على لاعبي الفرق الرياضة فقط ويرى الباحث أن النتائج التي توصلت إليها عند هذه العينة من الطلاب في المرحلة الجامعية أقل مقارنة بالاتجاهات الإيجابية السائدة عند الطلاب الذين يمارسون الترويح.

ومن جهة ثانية أشارت نتائج تحليل التباين (ANOVA) والمقارنات البعدية إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات أفراد عينة البحث نحو ممارسة الترويح ومتغير المستوى التعليمي للوالدين في الجدول ذات الأرقام (٦,٥,٤,٣) على التوالي حيث أظهرت النتائج اختلافات ذات قيمة بين اتجاهات أفراد عينة البحث نحو

الترويح والمستوى التعليمي لآبائهم.

ومن جهة أخرى أظهرت نتائج التباين (ANOVA) والبينة في الجدول رقم (٧)، عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات أفراد عينة البحث نحو ممارسة الترويح ومستوى الدخل الشهري لأسرهم.

وكذلك أوضحت نتائج اختبار (ت) في الجدول رقم (٨) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجمالي الدرجات على مقياس الاتجاهات المستخدم نحو ممارسة الترويح ومدى الإقبال على الممارسة الفعلية للترويح، حيث كان واضحا إن الأفراد الذين يقبلون على ممارسة الترويح باستمرار يحملون اتجاهات أكثر إيجابية نحو الترويح من الذين يمارسونه أحيانا ومن الذين لا يمارسونه أحيانا عن أفراد الذين لم يمارسوه مطلقا. وهذه النتيجة تؤكد العلاقة بين الاتجاه الإيجابي والسلوك الفعلي،وعلى اعتبار أن الاتجاه سابق ومحرك للسلوك نلاحظ علاقة واضحة بين الاتجاه الإيجابي نحو ممارسة الترويح من جهة والإقبال على الممارسة الفعلية للترويح من جهة أخرى.

التوصيات:

١- عقد ندوات دورية تبين أهمية الترويح وأوقات الفراغ.

٢- العمل على إقامة المعسكرات الترويحية داخل الجامعة وخارجها وتقديم الجوائز والحوافز للمبدعين من خلالها.

٣- إجراء المزيد من الدراسات والبحوث في مجال الترويح من أجل تدعيم الأنشطة والهوايات الترويحية في الجامعات وتلافي أوجه القصور فيها.

٤- العمل على تشجيع إقامة المعسكرات الدولية بين كليات الجامعات العربية للإطلاع على الثقافات الهوايات المختلفة.

المراجع

المراجع العربية:

١ ــ إبراهيم وجيه محمود، التعلم، القاهرة، عالم الكتب ١٩٧١.

٢ ــ أحمد سلامة، عبد السلام عبد الغفار: علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢.

٣ ــ أحمد سلامة: علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥.

٤ ــ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١.

٥ ــ أسامة راتب: ((مستوى الأداء الحركي وعلاقته بمفهوم الذات والاتجاهات لتلاميذ المرحلة الثانية)) رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلوان، كلية التربية الرياضية للبنين بالقاهرة، ١٩٨٢.

٦ ــ حامد زهران: علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية،١٩٧٣.

٧ ــ سعد جلال: علم النفس الاجتماعي، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب،طرابلس، ١٩٧٢.

٨ ــ عايدة عبد العزيز ((دراسة مسحية عن الأنشطة الترويحية للطلبة الأجانب بالجامعة الأمريكية بالقاهرة)) دراسة منشورة في كتاب مؤتمر الرياضة للجميع، كلية التربية الرياضية بالقاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٤.

٩ ــ عزيزة سالم: ((الاتجاهات النفسية لطالبات المرحلة الثانوية نحو النشاط الرياضي)) رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلوان، كلية التربية الرياضية للبنات بالقاهرة، ١٩٧٧.

١٠ ـ عطيات محمد خطاب: أوقات الفراغ والترويح، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦.

١١ ـ غسان صادق، فاطمة الهاشمي: الاتجاهات الحديثة في طرق تدريس التربية الرياضية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة بغداد،١٩٨٨.

١٢ ـ فهد الكنعان، أحمد خاطر: ((اتجاهات طلبة وطالبات قسم التربية الرياضية بمعهدي التربية للمعلمين والمعلمات نحو مهنة تدريس التربية الرياضية بدولة الكويت)) بحث منشور، المؤتمر الرياضي الأول، كلية التربية الرياضية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٦.

١٣ ـ محمد الحمامي، عبد الرحمن ظفر أوجه نشاط وقت الفراغ لدى طلاب جامعة أم القرى، من ذوي التخصصات العلمية المختلفة، المؤتمر العلمي الأول للتربية الرياضية والبطولة، جامعة حلوان، كلية التربية الرياضية للبنات بالقاهرة ٨-١١ يناير ١٩٨٧.

١٤ ـ محمد حسن علاوي: علم النفس الرياضي، ط٥، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٣.

١٥ ـ محمد علي محمد: وقت الفراغ في المجتمع الحديث، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٥.

١٦ ـ محمد كمال السمنودي، يحيى محمد حسن عبده: ((اتجاهات طلاب جامعة أسيوط نحو الترويح))، المجلة العلمية للتربية الرياضية والرياضة.

١٧ ـ محمد كمال السمنودي: ((أثر ممارسة بعض الأنشطة والهوايات الترويحية على الحاجات النفسية للشباب))، المجلة العلمية للتربية الرياضية

والرياضة ـــ جامعة حلوان، كلية التربية الرياضية للبنين ـــ الهرم، ١٩٩١.

١٨ ـــ محمد محمد الحمامي: ((دراسة لبعض المتغيرات المتصلة باتجاهات طـلاب جامعـة أم القـرى نحـو الـترويح)) المؤتمـر العلمـي تطـور علـوم الرياضة،جامعة المنيا ـــ كلية التربية الرياضية، المجلد الثالث، ١٩٨٧.

١٩ ـــ محمد محمود عبد الدايـم: ((العلاقة بين الرضا لدى المشتركين في الأنشطة الرياضية وبعض المتغيرات لطلبة المدرسة التجريبية وكلية جامعة فلوريـدا بالولايات المتحدة الأمريكية)) المؤتمر العلمي الرابع لدراسـات وبحـوث التربيـة الرياضيـة، كلية التربيـة الرياضية لبنيـن بالإسكندرية،١٧ـــ٢٠ فبراير ١٩٨٣.

المراجع الأجنبية:

20- Ansatasi, A. Psychological Testing, Macmillan Company, New York.

21- Edgington, C, 1966, "Development of an Attitude Scale To Measure Attitudes of High School Freshman Boys Toward Physical Education ", Research Quarterly, Vol. 42, 322-334.

22- Katz, D. and Statand, E. A.: "Preliminary Statement to theory of attitude structure and change" in Koch S. (ed.) psychology: A study of a science, Vol. 3, New York, McGraw Hill, 1959.

23- Lawther, R. Sport Psychology, Prentice Hall, Inc. Englewood Cliffs, New Jersey, 1972.

تاريخ ورود البحث إلى جامعة دمشق: ١١/٢/١٩٩٨

مذهب وحدة الوجود عند ابن عربي

ودلالته الإنسانية والاجتماعية

د.محمود خضرة
قسم الفلسفة ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

يرفض ابن عربي مذهب وحدة الوجود رفضاً قاطعاً القائل: منفصلتين هما الله والعالم. أي يرفض القول بوجه واحد للحقيقة (الله) أو (العالم) فالله والعالم عنده وجهان لحقيقة وجودية واحدة. وهذا يعني أنه يرفض مبدأ الفصل المطلق بين الله والعالم. ويرفض فهم الفقهاء للشريعة القائم على عدهم إياها الوسيط الوحيد الثابت للعلاقة بين الله والإنسان.

وهذا الرفض يعكس في رأيي، رفض ابن عربي لأيديولوجيا الخلافة القائمة على الانفصال المطلق بين الخليفة ممثل الله على الأرض وبين رعاياه الذين لا يحق لهم الاعتراض على طريقة حكمه.

ولهذا ترتب على مذهبه في وحدة الوجود وقوله بحقيقة وجودية واحدة أمران اثنان:

أولهما: دعوته إلى الإيمان بعالمية الإنسان (الإنسان الكامل المتأله) الإنسان بعيداً عن النظر إلى لونه أو عرقه أو دينه، الإنسان من حيث هو إنسان، من حيث حقيقته الإنسانية، الإنسان آدم الذي هو تجليات الله اللامتناهية. وابن عربي هنا كان يتوجه إلى مناهضة الفقهاء الذين كانوا

يحيلون الإسلام إلى مسائل تشريعية بحتة، يجعلون من الإنسان شيئا أو آلة لا يختلف عن شيئية وآلية الموجودات الأخرى.

وثانيهما: دعوته إلى عالمية الإله المغاير لإله المعتقدات، لأن إله المعتقدات من خلق الإنسان، إذ يتصوره كل معتقد وفق استعداده وحظه من العلم أو الرقي الروحي. أما إله ابن عربي فلا يحده عقل لأنه هو المعبود على الحقيقة في كل ما يعبد، المحبوب على الحقيقة في كل ما يجب، فإله ابن عربي يتعالى على إله المعتقدات. وابن عربي هنا يحاول بناء مذهب في التسامح الديني يقف فوق الصراعات الدينية أو المذهبية التي أدت إلى اقتتال أبناء البشرية عبر تاريخهم المأساوي. إن إله ابن عربي هو إله التسامح، والرحمة الشاملة، والحب المطلق.

أولاً: مقدمة في علاقة التصوف بالسياسة:

يشكل التصوف الإسلامي جزءاً هاماً من تراثنا، لا يجوز لنا إغفاله، كما لا يحق لنا أيضاً الجزم بأن البحث فيه قد انتهى، وأن نتائجه قد أصبحت ناجزة.

لقد نشأ التصوف العربي الإسلامي نتيجة طبيعية للتغيرات الاجتماعية والثقافية التي عصفت بالمجتمع العربي الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة ولاحقاً.

والمسألة الأساسية التي لم تدرس دراسة موضوعية كافية في التراث الصوفي هي أنه كان في الغالب الأعم رفضاً لسلوك السلطة الحاكمة وأنصارها وردة فعل سلبية على الواقع الاجتماعي الذي كان يوحي بصعوبة تغييره. والتراث الصوفي الذي يبدو لا عقلانياً يمكن أن نفهمه في ضوء العقل عندما نستقرئ مراحل التاريخ التي كان فيها هذا المتصوف أو ذاك، إذ يبدو حينئذ أن هذا التراث يدلنا بالإشارة الواضحة تارة، وبالرمز الخفي تارة أخرى على علاقة مذاهب المتصوفة بالسلطة القائمة وسياستها.

وأبني هذه المقولة على قضية أراها منطقية هي: إن المتصوف بوصفه أخلاقياً ومفكراً هو إنسان وليس كائناً خيالياً يعيش خارج المجتمع فهو وإن ابتعد عن الدولة والمجتمع والناس، يبق سلوكه وفكره محكومين بعلاقته الاجتماعية. وبسبب الشعور بالعجز عن تغيير الواقع كان من الطبيعي جداً أن تأتي هذه العلاقة سلبية، عبر عنها المتصوف باغترابه على مستويي السلوك والفكر. فعندما رفض على مستوى السلوك طرائق حياة الآخرين وسلوكهم ناضل مع اخوته ومريديه لكي يخلق مجتمعاً جديداً، وظروفاً اجتماعية جديدة أكثر إنسانية وأخلاقية من تلك التي يحياها الآخرون ولهذا ناضل المتصوفة من أجل (...إحلال الأخوة الروحية محل العصبية القبلية اقتداء بالرسول الأعظم (صلعم) وجماعته الأولى من المهاجرين والأنصار... كما أنهم كانوا على الغالب يتجنبون انتقاد التسميات بين الفرق

الدينية..)[1] لأنهم كانوا يريدون خلق جماعة متماثلة في السلوك والفكر وهذا الأمر لم يكن يرضي الحكام، لأنهم رأوا في طريقة المتصوفة وسلوكهم ما يشبه تنظيما سياسياً، إذا ما كتب له الانتشار والسيادة قد يقوض وحدة الجماعة الإسلامية التي يفهم الحكام تماثلها على أساس خضوعها المطلق لهم ولأنصارهم من رجال الدين (فقهاء أو قضاة).

وأما على مستوى الفكر، فقد كان يبدو فكر المتصوفة للسلطة وفقهائها خروجا على عقيدة الإسلام ونقائه الفكري، لاسيما وأن السمة الأساسية لفكرهم هي لا عقلانيته ولكن هذه اللاعقلانية تبدو في الرؤية التاريخية الشمولية تعبيرا عن شقاء واقعي يعيشه المتصوف وعن رفض لواقع شقي واحتجاج عليه.

لقد رغب المتصوفة بنية صادقة في الإصلاح الأخلاقي الشامل للجماعة الإسلامية حاكمة ومحكومة، فقدموا أنفسهم لهذه الجماعة كأطباء نفسيين يتوخون تخفيف البلوى عنها، وإزالة ما لحق بقلبها من عمى وبوجدانها من تخريب، ولكنهم في الوقت نفسه أبقوا معرفتهم سراً مضنوناً به على غير أهله، ومن هنا فهم يدركون شقاء وعيهم ويعيشونه عبر تناقض مؤلم، يتمثل في الرغبة في الإصلاح، والعجز عن الإفصاح. والهرب من المجتمع والسلطة والناس.

لقد وجدت السلطة الحاكمة عبر التاريخ العربي الإسلامي سندها القوي في الفقهاء فقد كانوا على الغالب أدواتها الفكرية والقمعية يسوغون سياستها ويسحقون من يناوئها بتلفيق تهمة الزندقة، أو الخروج عن الدين، أو الإساءة إلى وحدة الجماعة أو غير ذلك ومعروف في نظام الحكم الإسلامي أنه لا يجوز فصل الدين عن الدولة.

ولهذا استطاعت السلطة الحاكمة عبر التاريخ الإسلامي أن تثبت في الأذهان أنها تحكم بأمر إلهي، وعلى الرعية السمع والطاعة. ومن هنا كان التصوف ـ بوصفه

سلوكا يوميا في الحياة أو فكرا ـ رفضا لواقع تحاول السلطة أن تجعله أبديا، وتساندها طبقة من الفقهاء ورجال الدين.

والمسألة المعروفة التي أزعم أنها لا تحتاج إلى برهان هي: أن الإسلام الذي كتبت له السيادة في تاريخنا العربي الإسلامي هو إسلام السلطة إسلام أهل السنة وإذا أدركنا وجود علاقة تعاطف بين التصوف والتشيع(٢)، (الإسلام المناوئ للسلطة) أدركنا وجود علاقة تضاد بين التصوف والسياسة، وهي علاقة نتلمس التدليل عليها من خلال مواقف مفكري أهل السنة الكبار المناهضة للتصوف.

فنجد مثلا أن أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفي عام ٥٩٧هـ) يشن هجوما عنيفا على التصوف والمتصوفة ويأخذ عليهم (قولهم بالحلول، وتجاوزهم الحدود في الطهارة والصلاة وحبهم العزلة عن الناس)(٣).

وبدرجة العنف نفسها يهاجم ابن تيمية (المتوفى عام ٧٢٨هـ/١٣٢٨م) المتصوفة القائلين بحلول الله في بعض الأشياء وفي أنواع المشايخ، ثم القائلين بوحدة الوجود أو اتحاد الله في جميع الموجودات..كأصحاب ابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض.(٤)

ويأخذ ابن تيمية بشكل خاص على ابن عربي(على ما تضمنه كتابه فصوص الحكم من قوله: بوحدة الوجود، وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه)(٥).

وأما في الأندلس فيأخذ الفقيه الشاطبي (المتوفى سنة ٧٩٠هـ) على المتصوفة (استنادهم إلى الرؤيا في استخراج الأحكام الشرعية...... ومبالغتهم في الوجود والرقص والدوران، والضرب على الصدر......وإن أحوالهم يجب أن توزن بميزان الشرع، فإن وافقته كانت صحيحة وإلا كانت بدعة)(٦).

وعلى هذا نقول: إن العلاقة السلبية، علاقة التضاد بين التصوف والسياسة نجدها في تاريخ المتصوفة، الذي هو تاريخ اضطهادهم على يد السلطة في كل مرحلة. فقد طرد أبو يزيد البسطامي من بلده عدة مرات، ويروى أنه كان نموذجاً للزهد والعبادة، وأُحضِر ذو النون مقيداً بالسلاسل من القاهرة إلى بغداد ليعذب فيها.

وخاف الشبلي فلجأ إلى التقية والتستر. وقتل الحلاج واقتيد من قصر الخلافة، ولم تنفع شفاعة والدة الخليفة وابنها، لدى الحكام الفعليين أعداء الحلاج، فقطعت أطرافه وصلب وأحرق، لقد قتل الحلاج تفادياً لأزمة مالية حلت في بغداد لكي لا يستغلها العامة فيثورون ويربطون بين سجن الحلاج واحتكار الأقوات في بغداد[٧] وقتل تلاميذ الحلاج بعده بقليل.

وقتل السهروردي في قلعة حلب، ولم تنفعه صداقة الأمير غازي بن صلاح الدين، لأن فقهاء الشافعية كانت لهم كلمة الفصل في كثير من القضايا السياسية ولم يشأ صلاح الدين الأيوبي وهو في القاهرة إغضابهم وهم في حلب[٨].

وعند قتل كل صوفي كان الفقهاء بإيعاز من السلطة يكفرون المتصوف ثم يطلبون من الحاكم استصدار الأمر بمحاكمته ثم الحكم عليه بالإعدام.

وأخيراً تبقى المشكلة الأساسية المعبرة عن سياسة السلطة وأيديولوجيتها هي: مبدأ الفصل المطلق بين الله والعالم. حيث جاهدت السلطة طيلة فترة سيادتها أن تجعل هذا المبدأ أبدياً لما يترتب عليه من تأكيد لعلاقة الانفصال بين الحاكم والرعية (ما دام الحاكم كما أشرنا يحكم بأمر الهي، وعلى الرعية السمع والطاعة). ولهذا طرح المتصوفة في مذاهبهم مبدأ الحلول أو الاتحاد، أو وحدة الوجود، وتأنيس الإله، وتأليه الإنسان كمحاولة لإلغاء مبدأ الفصل المطلق بين الله والعالم، وبالتالي كتقويضٍ لأهم ركن قامت عليه تلك السلطة وسياستها.

ولهذه الأسباب التي ذكرتها رأيت أن أشير إلى الدلالة الإنسانية والاجتماعية في مذهب وحدة الوجود عند ابن عربي، حيث أزعم أن هذا المذهب جاء معارضاً للأيديولوجيا الدينية أيديولوجيا السلطة التي بلغت في عصره أوج سيادتها، متمثلة في تيار فقهاء المالكية والعقيدة الدينية الجديدة لدولة الموحدين.

ثانياً: تيار فقهاء المالكية:

ومن المعروف أن مذهب الإمام مالك ينزع نزعة عملية بحتة. إذ كان مالك يقول لأصحابه:

(لا أحب من القول إلا ما تحته عمل)[٩]، كان على الدوام يوجه تعنيفه للمعتزلة الذين بحثوا في مسائل ليست عملية، مثل بحثهم في الله و صفاته، وتأويلهم للقرآن ومطالبتهم بحرية الإنسان من منظورهم الخاص للعدل الإلهي. فقال: (اتركوا بدع أهل الدين الذين يتكلمون في الله و صفاته وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه المسلمون الأوائل)[١٠] فالإمام مالك يرى أنه لا حاجة للحديث في المسائل الاعتقادية، وقد سلم بها المسلمون الأوائل كما وردت في القرآن الكريم والسنة ويجب الإقتداء بهم ولهذا اتجه مالك إلى الجانب العملي من الإسلام ووجد أن من واجبه وضع قواعد للحياة العامة للمسلم، حسب ما جاء في القرآن والحديث فالمذهب المالكي يتجه إلى الأخذ بحرفية النص القرآني ويحذر من اللجوء إلى استعمال العقل والتأويل العقلي.

من المعروف أنه يوجد في الشريعة الإسلامية ما يسمى بعلم الأصول وهو دراسة الشريعة واشتقاقها من القرآن والحديث، أي دراسة النصوص الشرعية بالأدلة العقلية. ثم علم الفروع وهو دراسة العبادات والمعاملات اليومية وأحكامها، أي دراسة الجانب العملي الدنيوي في الشريعة. وفقهاء المالكية في المغرب والأندلس اقتصروا على دراسة علم الفروع (فلم يكن يتوظف في مناصب القضاء إلا من

يجيد علم الفروع على مذهب مالك)[11]، وعندما استقرت مؤسسات الدولة السياسية والاجتماعية تكونت في المغرب والأندلس طبقة من فقهاء المالكية ملكت كلمة الفصل النهائية في أي مسألة، وطبعت بطابعها مجالات الحياة الفكرية والسياسية كافة. (وظن الفقهاء أنهم يملكون الحقيقة المطلقة، فألغوا حرية الفكر وسدوا باب الاجتهاد وكل أبواب البحث العلمي)[12].

ولكي تحافظ هذه الطبقة على نفوذها ومصالحها ربطت مصيرها بمصير الحكام وأوحت لهم بملاحقة كل اتجاه فكري يختلف معها في الرأي. (فعد فقهاؤها كافراً كل من ظهر منه تعاطي شيء من علم الكلام والفلسفة، وقرروا لدى الحكام العمل على محاربة المتفلسفين لأنهم أصحاب البدع في الدين)[13].

وهكذا (ففي الأندلس لا يعرف الناس إلا كتاب الله وموطأ مالك، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي قتلوه)[14].

والسبب في إقفال فقهاء المالكية لباب الاجتهاد هو أنهم كانوا يشغلون في الدولة مناصب رفيعة المستوى كوزراء، أو قضاة أو مفتشين أو كتاب أو أساتذة أو غير ذلك من المناصب التي يطمح إليها ولا ينالها إلا الراسخون في المذهب المالكي. فالحياة الاقتصادية ملك أيديهم، وهم الأداة التي تسير بوساطتها الدولة، والعين الساهرة على حمايتها وهذا ما جعلهم يتصلبون في مواقفهم الفكرية، ويخافون من ظهور أي فكر جديد، فلسفة كان أم تصوفاً، أم مذهباً في الإسلام يخالف مذهبهم.

ثالثاً: العقيدة الدينية لدولة الموحدين:

إن الذي كان يخافه فقهاء المالكية قد حدث. فنجح المهدي محمد بن تومرت (٤٧١هـ-٥٤٢هـ) (١٠٧٨م-١١٣٠م) في إنشاء دولة ووضع لها عقيدة دينية جديدة مناهضة للمالكية. وقام المهدي بتوليفة دينية جديدة من عدة اتجاهات فكرية ومذاهب

إسلامية أخرى من أشعرية وظاهرية واعتزال وتشيع والظاهرية هي العنصر السائد في هذه التوليفة.

ووضع كتابه أعز ما يطلب وبه يشرح العقيدة الجديدة، وقد بدأ ابن تومرت بنقد فقهاء المالكية مدعيا عدم فهمهم للدين. ففي رأيه (أنهم لم يفهموا الشريعة، وبهذا يريدون أن يهدموا الدين)[١٥] وإن المؤهل لتطبيق تعاليم السنة والقرآن هو المهدي أي هو نفسه (فالباطل كما يقول لا يزيله إلا المهدي والحق لا يقوم به إلا المهدي)[١٦]. ولهذا سلك سلوكا فاق في تعصبه درجات سلوك فقهاء المالكية[١٧]. وكذلك سلك تلميذه المحبب لديه عبد المؤمن بن علي الكومي[١٨].(٤٨٧هـ ــ ٥٥٨هـ)، (١٠٩٤م ــ١١٦٢م) وفي عهد الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠هـ ــ ٥٩٥هـ)، (١١٨٤م ــ ١١٩٩م). كانت الدولة قد استقرت، فاتجه المنصور اتجاها عقلانيا، وازدهرت الفلسفة في عصره لفترة وجيزة (وهي فترة ابن طفيل وابن رشد الذين عاشا في بلاطه). وقد أراد المنصور أن بجابه جمود فقهاء المالكية تارة بالفلسفة وتارة بالسيف فقد كان كما يقول المراكشي (قصده على الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القران والحديث ...وفي عهده انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر باحراق كتب المذاهب. وترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه)[١٩]ولكنه أخطأ في تقديره لقوة تيار فقهاء المالكية فقد كان راسخا في المغرب أكثر مما تصوره هو وأسلافه السابقون وإجراءات القمع والإرهاب التي مارسها الموحدون ضد المالكية لم تنجح في حمل الناس على تركها وأثارت ردود فعل قوية لدى العامة فبقي الفقهاء يحتفظون بمراكزهم القوية السلطوية والمعنوية إذ لم يكن هناك مذهب آخر ينافسهم ومعروف مثلا أنه في أعنف مرحلة عداء للمالكية كان هناك أشهر قاض عقلاني في ذلك الزمان وهو ابن رشد كان قاضيا لقرطبة على المذهب المالكي وعندما أدرك المنصور قوة المالكية قرر أن يتخذ موقفا براغماتيا فغير موقفه ونكب العقل

والحرية وأسلم زمام السلطة للفقهاء ولعل السبب في ذلك كما يروى المؤرخون أنه كان يجهز جيشه لخوض معركة مع المسيحيين في الأندلس (وهي معركة الأرك) وكان بحاجة إلى الفقهاء من أجل الدعوة إلى الجهاد(٢٠) وهم يملكون سلطة مطلقة على العامة الذين سيرفدون الجيش المحارب بقوة ضاربة.

لقد أرادت الدولة الموحدية إجبار الناس على الأخذ بالعقيذة الموحدية فعندما رفضت تعصب فقهاء المالكية قامت هي بدورها بتبني تعصب آخر وحاولت فرض أيديولوجيتها بحد السيف.

إن الخلاف الذي كان يبدو قائماً بين العقيدة الموحدية وبين فقهاء المالكية إنما هو خلاف على المصالح الاقتصادية والسلطة التي تحميها*(٢١) وهذا الخلاف كانت تلبسه أي سلطة قائمة لباس الأيديولوجيا الدينية فلا خلاف إذن لأن المجتمع كان محكوماً بالأيديولوجية الدينية ومعلوم أن الأيديولوجية الدينية ليست هي الدين، فهي تتجاوزه لكي تتخذ منه أساساً لبناء مذهب عام تسيطر به على مؤسسات المجتمع الاقتصادية والفكرية والسياسية.**

وهكذا فإن دولة الخلافة الموحدية في مراكش والأندلس عدت نفسها كبقية السلطات القائمة المعاصرة لها أو التي سبقتها في بغداد ودمشق والقاهرة، الممثل الشرعي الوحيد للدين الإسلامي بعقيدته وشريعته، وهدفت من ذلك إلى إيجاد السند النظري لترسيخ حكمها المطلق، لهذا عكست واقع العلاقة بينها وبين المجتمع الذي تسيطر عليه وواقع علاقات النظام الإقطاعي السائد. والصورة الدينية لهذه العلاقة تتمثل في فكرة الله الواحد المتعالي المنزه المنفصل انفصالا مطلقاً عن العالم والإنسان. وهذا ما يدعم علاقة الانفصال المطلق بين الخليفة الحاكم كممثل لله على الأرض، وبين رعاياه الآخرين فما دام الخليفة يحكم باسم الإرادة الإلهية فهو يحكم بجبرية إلهية يلغي فيها إرادة الناس، فليس لهم الحق في تنصيبه أو عزله، أو في

إبداء رأيهم في أي شأن من شؤون سلطته لأنها محددة في الشريعة الإلهية ومادام الخليفة هو الموكل إليه أمر تنفيذها، وما دامت الخلافة حامية للوحي الإلهي الذي هو المصدر الوحيد للشريعة وللمعرفة واللذين هما بدورهما الحقيقة المطلقة من هنا فإن للخليفة الحق في أن يكون رقيباً متسلطاً على أفكار الناس وعلى طريقة تحصيلهم للمعرفة ولهذا حصرت دولة الخلافة المعرفة بالتعاليم الإسلامية كما فهمها الفقهاء، وأخضع هؤلاء لتصوراتهم كل مصادر المعرفة الأخرى العالمية (يونانية وفارسية وهندية ورومية) كما أخضعوا لسياق هذه التصورات كل ما يتعلق بمعرفة الكون والطبيعة والإنسان. وفسروا كل أنواع المعرفة على أساس يخدم ويرسخ أيديولوجية الدولة. من هنا كانت سلطة الخلافة وأيديولوجيتها تريد أن تجعل صورة العالم كما رسمها منظروها باقية وثابتة في أذهان رعاياها. وكل هذا كان ينسجم مع واقع النظام الاقتصادي ــ الإقطاعي وعلاقاته التي تحاول سلطة الخلافة ترسيخها والمحافظة عليها. أما المفكرون الآخرون[***] الذين ينتمون إلى فئات اجتماعية مناوئة لدولة الخلافة وحصلوا معارفهم بطرق غير الطرق الرسمية فقد كونوا لأنفسهم صورة عن العالم غير الصورة التي تقدمها المعرفة الآتية من السلطة. وكان ينظر إليهم:على أنهم يتجاوزون حدود معرفتها. المعرفة التي حددها الوحي الإلهي. على وأنهم يتجاوزون حدود السلطة القائمة بإرادة الله وبعبارة أخرى ينظر إليهم كمنكري الشريعة بوصفها وسيطاً وحيداً ثابتاً في العلاقة بين الله والعالم، وبين الله والإنسان.

وعندما كانت تتكشف عيوب النظام الإقطاعي بصورة فاضحة في القرنين الثاني عشر وحتى منتصف القرن الثالث عشر الميلاديين، حيث كانت أوربا المسيحية والعالم العربي الإسلامي في مشرقه مغربه مأخوذين بسعير الحروب الصليبية.

[***] أنظر نهاية البحث ــ نهاية المراجع والحواشي

وكانت ــ كما يخبرنا ابن خلدون ــ تنهار ممالك ودويلات وتحل محلها أخرى في المشرق والأندلس وشمالي إفريقيا. كان يرافق كل ذلك تحولات في الفكر والسياسة والاجتماع ويحدث عنها تغيير في صورة العالم، ومقابل الإيديولوجيا الدينية للدولة الرافضة لرؤية هذه التغييرات، طرح الفلاسفة والمتصوفة كل من جانبه تصورا جديدا للعالم، وفكرا رافضا لعلاقة الفصل المطلق بين الله والعالم، العلاقة التي رسختها الأيديولوجيا الدينية عبر قرون من سيادتها، أي فكرا مناهضا للشريعة لا بوصفها شريعة دينية بل بوصفها وسيطا وحيدا وثابتا بين الله والعالم وبين الله والإنسان.

وهذا الرفض نجده في المذاهب الصوفية في القول بالحلول الإلهي، أو الاتحاد مع الله، أو الفناء فيه. وقد حاولت الحركة الصوفية منذ الحلاج أو قبله بقليل أن تكون حركة فكرية رافضة لما يجري في المجتمع، وأن تعبر عن هذا الرفض بطريقتها السلبية بالابتعاد عن الواقع. فحاولت أن تؤنسن الله وتؤله الإنسان. وفي حمأة الصراعات الدموية والسياسية، وفي قلب التحولات الفكرية التي عاشها ابن عربي في الأندلس ومراكش والقاهرة وبغداد والموصل والأناضول ودمشق طرح ابن عربي مذهبه في وحدة الوجود كدعوة إلى إله مغاير لإله العقائد والأديان والنحل المتكثرة (إلى إله عالمي) وكدعوة إلى إنسان يتعالى على اللون والعرق والإقليم إلى (إنسان عالمي).

رابعا: وحدة الوجود عند ابن عربي وإلغاء الفصل المطلق بين الله والعالم:

يرفض المذهب رفضا قاطعا القول بحقيقتين منفصلتين: الله، والعالم، كما يرفض القول بوجه واحد للحقيقة فقط هو الله، أو هو العالم، فالله والعالم عنده ــ كما سنرى وجهان لحقيقة وجودية واحدة. (فلما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء... أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كله... أوجد

العالم. فكان كمرآة غير مجلوة..)[٢٢] ولقد اقتضت إرادة الله خلق العالم على صورة يرى فيها عينه ليس لأنه بحاجة للعالم. فهو غني من حيث الذات، بل لأن أسماءه اللامتناهية تفتقر إلى الوجود إذ لا وجود لها إلا بالعالم.

وموجودات العالم ليست إلا مظهراً أو تجليات لتلك الأسماء. فمشيئته من حيث أسماؤه لا من حيث ذاته اقتضت خلق العالم. والغاية من هذا الخلق هي أن يرى الله نفسه في مرآة العالم، أو يرى عينه التي ليست سوى ذاته المتصفة بالأسماء. فكشف عن ذاته المطلقة ليس في إطلاقها وتجردها من النسب والإضافات بل في تعيينها بصور الوجود اللامتناهية. وقد خلق الله منذ الأزل لكل موجود (...الاستعداد لقبول فيض التجلي الدائم الذي لم يزل ولا يزال ...)[٢٣]. ولولا هذا الاستعداد لما وجد الوجود، فكل موجود يقبل روحاً ألهياً، وروح الله سارية في الموجودات جميعها، بحسب مراتبها واستعدادها لقبول فيض التجلي. (لولا سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان للعالم وجود... ومن هذه الحقيقة كان العالم مفتقراً إلى الحق في وجوده)[٢٤]. إذ لا وجود للعالم إلا بالله، وبه وجوده الدائم، والخلق ليس إلا الصورة والمظهر الخارجي للحق. كما أن الحق (الله) يفتقر إلى الخلق ليس من حيث الذات الإلهية المجردة عن كل وصف وعن كل نسبة بل من حيث أنه أحب أن يظهر ويعرف ويرى عظمته وكمالاته، ويرى أسماءه وصفاته كما يقول الحديث القدسي الذي يستشهد به إبن عربي مراراً:

(كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق، فبه عرفوني)[٢٥].

أن الحق له من الأسماء و الصفات ما لا يتحقق إلا عن طريق الخلق الذي هو مظهرها، ولولا هذا المظهر الصفاتي والأسمائي لظل الكنز مخفياً.هكذا يرى ابن عربي أن كلاً من الحق والخلق يفتقر أحدهما للآخر فثنائية الحقيقة إذن ملغاة، ولا

وجود لهوة فاصلة بين الله والعالم، فالحقيقة الوجودية (الله والعالم) واحدة وكل وجه من وجهيها يفتقر إلى الآخر.

الكل مفتقر ما الكل مستغنِ هذا هو الحق قد قلنا لا نكني[٢٦]

وقد تمت عملية الخلق بفيض أقدس هو تجلي الله لذاته في (قوابل أو صور الوجود)[٢٧] وهذه الصور كما يسميها ابن عربي هي الأعيان الثابتة، الصور المعقولة الموجودة في عالم الغيب، التي ليس لها أي وجود واقعي حسي، وبهذه الصور الشبيهة بالمثل الأفلاطونية عرف الحق ذاته بذاته. وعندما أراد أن يرى ذاته في غير ذاته نقل الأعيان الثابتة في العالم المعقول (عالم الغيب). وأظهرها إلى العالم المحسوس، فكان الفيض المقدس، التجلي الإلهي الدائم (ولولا تلك الحقائق المعقولة الكلية ما ظهر حكم في الموجودات العينية)[٢٨]. و(العالم ليس إلا تجلي الحق في صور أعيانهم الثابتة التي يستحيل وجودها من دونه، وأنه يتنوع ويتصور بحسب حقائق هذه الأعيان وأحوالها)[٢٩].فكل عين من هذه الأعيان الثابتة تحمل في ذاتها مستقبل تاريخها وما قدر لها أن تكون عليه في ذلك الثبوت الأزلي، وفي هذا يقول ابن عربي (إن الحق لا يعطي الموجود رتبته في الوجود إلا بحسب القبول والاستعداد)[٣٠].وعندما تتحقق الأعيان بالفعل فلا تخضع في تحققها لشيء ما إلا لقوانينها الذاتية الأزلية التي هي جزء من قوانين الوجود الذاتي الذي نسميه العالم. وهي بهذا المعنى ــ عندما توجد ــ صورة من صور وجود الحق (لأن التجلي من الذات لا يكون أبداً إلا بصورة استعداد المتجلى له)[٣١]. وهذا يعني أن الموجودات ليس فيها شيء من ذات الله المطلقة، ليس فيها مما يحقق وجودها إلا طبيعتها الخاصة التي طبعها بها الله منذ الأزل.ووجودها راجع إلى الصورة المعقولة التي انتقلت من الوجود في عالم الغيب (العالم المعقول) إلى الوجود العيني الظاهري (العالم المحسوس).

إن عملية الخلق التي تمت على هذا النحو تذكرنا بجبرية مفرطة**** كما هو الحال عند الأشاعرة. كما تذكرنا بنظرية الانسجام الأزلي المسبق عند ليبنتز، وبنظرية الفيض عند أفلوطين. وإن كان ابن عربي يختلف في كل ذلك عنهم جميعا هل يمكننا أن نقول عن هذه الجبرية المفرطة أنها انعكاس لما كان يجري في عصر ابن عربي في المغرب والمشرق في عالم الصراع و السياسة،حيث بدا له أن كل ما يحدث هو أمر إلهي مقدر منذ الأزل، وبدا له أن تغييره بإرادة الإنسان هو أمر مستحيل ؟ إن جبرية ابن عربي كما أفهمها هنا ليست تسويغا لما يقوم به الخلفاء و السلاطين والولاة، بل هي وصف وانعكاس لواقع قائم لأن ابن عربي يعارض ما كان يقوم به الحكام بمذهب في الحب الإلهي، (الرحمة الإلهية) والحب الإنساني. وعملية الخلق عند ابن عربي ليست إيجادا من العدم المحض، بل هي تجل إلهي دائم فيما لا يحصى عدده من صور الموجودات، وتحول دائم في الصورة في كل آن. والصورة (لا تكون إلا من فيضه الدائم)[٣٢] الفيض الذي يمد كل موجود في كل لحظة بروح من الله فيرى الناظر الحق في صور الخلق ومظاهره المتجددة في كل آن، ويرى أن أي مظهر من هذه المظاهر ليس هو عين الآخر، بل لا مظهر منها هو عينه في اللحظة التي تليه، لأنه(ليس في الحضرة الإلهية لاتساعها شيء يتكرر أصلا)[٣٣]. أو لأنه كما يتأول الآيتين القرآنيتين الكريمتين (وكل يوم هو في شأن) (بل هم في لبس من خلق جديد). فكل شيء يخلق خلقا جديدا في كل آن، والوجود بجملته هو المسرح الكبير اللامتناهي الذي تتعاقب عليه الصور في الوجود أزلا وأبدا ولا تظهر صورة عليه مرتين. إن رفض ابن عربي لمبدأ الخلق من العدم المحض والأخذ بمبدأ آخر هو التجلي الإلهي الدائم في الوجود إنما يعني في جوهره رفضا لمبدأ الفصل المطلق بين الله والعالم ورفضا للعقائد الدينية التي تؤكد على مبدأ الخلق من العدم المحض. الذي ينسجم مع ترسيخ الهوة بين الله والعالم كما

**** انظر نهاية البحث. نهاية المراجع والحواشي

أن التجلي الإلهي الدائم في الوجود (الخلق المستمر) ــ ليس على طريقة الأشعري ــ الذي لا يدركه إلا المؤيدون بنور من الله يعني من جهة ثانية رفضا لعقلية السكون والجمود التي اتسم بها الفقهاء والنصيون وحكام عصره، وهؤلاء قد رفضوا قبول مفهوم الصيرورة الوجودية الإلهية الأزلية، لأن قبولهم لهذا المفهوم يتناقض مع أيديولوجيتهم الدينية التي تستروا خلفها لحماية مصالحهم الاقتصادية وامتيازاتهم السياسية والمعنوية ولما كانت كما يقول ابن عربي: (إن أسماء الله لا تتناهى ... وما يكون عنها غير متناه)[٣٤]. وهي الموجودات اللا متناهية وهي تجليات أسماء الله وصفاته التي وصف بها نفسه، ووصفناه نحن بها،(...فما ثم إلا حقيقة واحدة تقبل جميع النسب والإضافات التي يكنى عنها بالأسماء الإلهية ......)[٣٥]. (والحق من حيث الوجود عين الموجودات، وا عين واحدة من المجموع في المجموع... والعالم كله عين تجلي الحق لمن عرف لحق)[٣٦]. لهذا فالحق والخلق وجهان لحقيقة وجودية واحدة لها كثرة وجودية بالصور والتعينات، ولها تعدد اختلاف في مظاهرها وهي ليست إلا صورا للمرايا الأزلية التي ترى بها ذات الحق وصفاته وأسماؤه. فالكثرة الوجودية التي نراها هي إذن حقيقة واحدة في جوهرها، أو هي مجال كثيرة لحقيقة واحدة هي الله. وإذا كان الأمر كذلك وإذا كان الوجود واحدا فيكون إذا نظرنا إليه من وجه قلنا: إنه حق وخالق، وإذا نظرنا إليه من وجه اخر قلنا إنه خلق وصورة ومخلوق، وإذا نظرنا إليه من حيث الذات قلنا: إنه واحد وإذا نظرنا إليه من حيث الصفات والأسماء قلنا: إنه كثير ومتعدد ولهذا وصف الحق (الله) بالأضداد بأنه الأول والآخر، والباطن والظاهر، هو الأول والباطن من حيث الذات والوحدة. وهو الأخر والظاهر من حيث الصفات والأسماء وكثرة تجلياتها، وهذا معنى قول أبي سعيد الخراز الذي يستشهد به ابن عربي:(إن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها)[٣٧] ثم قول ابن عربي:

يا خالق الأشياء في نفسه	أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لاينتهي كونه	فيك فأنت الضيق الواسع[٣٨]

ولما كانت (صور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها)، فلذلك يجهل حد الحق، فإنه لايعلم حده إلا بعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله، فحد الحق محال)[٣٩] ومن هنا التبست معرفته لأنه يمكن أن يعرف بكل صورة محدودة من صور العالم (لأن للحق في كل خلق ظهورا)[٤٠] ولكن العارف لا يعرف إلا على مقدار رتبته، إذ (لا تعلم حدود كل صورة إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته ...)[٤١] ولما كانت – كما أشار سابقا – بأن صور العالم لا متناهية ولا يمكن الإحاطة بها فلذلك لا يعلم حد الحق إلا بعلم حدود كل الصور والظهورات اللامتناهية وهذا مستحيل. هذا من جهة.ومن جهة ثانية فإن الذين يدعون معرفته صنفان:

صنف ينزهه على الإطلاق فيعطله على طريقة المعتزلة (المنزه إما جاهل و إما صاحب سوء أدب). وصنف يشبهه (فيقيده ولا يعرفه)[٤٣] على طريقة المجسمة والفقهاء، وهو باطن عن فهم الاثنين (باطن عن كل فهم إلا عن فهم من قال: إن العالم صورته وهويته ...) [٤٤]. أو الذين يقولون (...إن الحق المنزه هو الخلق المشبه وإن كان قد تميز الخالق من المخلوق ...)[٤٥].

فالقائلون بهذا هم الذين يعرفون الله المعرفة الحقة، وهم قلة من أصحاب وحدة الوجود كما يزعم ابن عربي وهم من طرازه.

ولما كانت (...صور العالم لا يمكن زوال الحق عنها أصلا فحد الألوهية له بالحقيقة لا بالمجاز)[٤٦]. فالعالم تطلق عليه الألوهية بالحقيقة لا بالمجاز لأن روح الحق سارية في صوره وتجلياته اللامتناهية ولا تفارقها مثلما تطلق الألوهية على الحق (الله) وهذا بديهي ــ لأن العالم يفتقر إليه في وجوده.

وهكذا يصح عند أبن عربي أن نقول:إن الله هو العالم بمعنى أن موجوداته المتكثرة هي صور لذات الخالق، كما هي صور لأسمائه ولكن لا يصح أن نقول: إن أي مجلى منها هو عين الذات المتصفة بجميع الأسماء كما لا يقال أنه غيرها ويبدو واضحا أنه لا فرق عند ابن عربي بين أن تنسب الألوهية إلى الحق من وجه، أو إلى العالم من وجه آخر فإن الحقيقة واحدة في الحالين، وإن اختلفت في الاعتبار.(فالأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق، كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة)[٤٧].

إن مظاهر الطبيعة جميعها (الكائنات الروحية أو المادية الناطقة أو غير الناطقة) هي كلها مجال وصور للحق، هذا ما يفصح عنه ابن عربي في قصيدته الشعرية في مقدمة كتابه ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق. فا طبيعة بكليتها هي كائن حي عاقل. (من الطبيعة ومن الظاهر منها ؟ ما رأيناها نقصت بما ظهر منها ولا زادت بعدم ما ظهر، وليس الذي ظهر غيرها وليست هي عين ما ظهر لاختلاف الأحكام بالصور عليها)[٤٨].استعمل في السؤال عنها من للعاقل،ولم يستعمل ما لغير العاقل لأنه عدها حية عاقلة وقوة سارية في الكون، وهي اسم آخر لله متجل في صورة الاسم الموجد الذي يعطي كل موجود خصائصه وصفاته، وهي لا تنقص شيئا بما يظهر عنها ولا تزيد بما لا يظهر – وهذا يذكرنا بمبدأ مصونية المادة والطاقة – وما يظهر عنها هو عينها من حيث اشتراكه بالمبدأ " العين الطبيعية" ولكنه في الوقت نفسه ليس عينها من حيث اختلاف الصور بالحكم عليها فمهما تعددت ظواهرها، وتكثرت صورها، فإن (...الجامع بينها الطبيعة لا بل العين الطبيعية فعالم الطبيعة صور في مرآة واحدة، لا بل في مرايا مختلفة)[٤٩].فكما هو واضح يؤله ابن عربي الطبيعة إلى جانب تأليهه للحق.

هذا هو مضمون وحدة الوجود عند ابن عربي، كما عرضه بإسهاب في الفتوحات المكية وبتكثيف في فصوص الحكم وعلى الرغم مما قد توحي به النصوص

ــ التي سقتها ــ بوحدة وجود مادية، إلا أنني لا أستطيع أن أجزم بأن ابن عربي يقول بهذه الوحدة على طريقة جيوردانوبرونو أو اسبينوزا، لأنني ألاحظ أن لديه عاطفة دينية مشبوبة، وحباً إلهياً سامياً، ولا أستطيع أن أجزم بأن هذه العاطفة وهذا الحب هما ضرب من النفاق أو التقية خوفاً من رجال الدين أعوان السلطة آنذاك.

لكن يمكنني أن أقول: إنه من المحتمل إلى درجة كبيرة من الاحتمال أنه كان يتوجه بمذهبه هذا بوصفه مذهباً معارضاً لتعصب الفقهاء الذين لم يرض ابن عربي عن فهمهم للدين، ولا عن سلوكهم اليومي.

أقول ذلك لأنه لا يعقل أن يكون ابن عربي غافلاً عن الالتزامات والنتائج الخطيرة (آنذاك) التي تترتب على القول بمذهبه، على المستوى الأخلاقي والديني، وسأكتفي ببعض ما يترتب على المذهب وهو نظرية الإنسان الكامل. ثم مفارقة إله ابن عربي لإله الأديان والعقائد.

خامساً: الإنسان الكامل (عالمية الإنسان):

الإنسان آدم بعيداً عن النظر إلى لونه، أو عرقه أو دينه، الإنسان من حيث هو إنسان من حيث حقيقته الإنسانية، به (اقتضى الأمر جلاء مرآة العالم فهو النشء الدائم الأبدي، والكلمة الفاصلة الجامعة ... ولا يزال العالم محفوظاً ما دام فيه هذا الإنسان الكامل، فظهر جميع ما في الصورة الإلهية من الأسماء في هذه النشأة الإنسانية، فحازت رتبة الإحاطة والجمع بهذا الوجود)[٥٠]. بالإنسان وحده انجلت مرآة العالم، وبهذه المرآة المجلوة ظهرت جميع الصفات والأسماء الإلهية فلولا آدم الإنسان لظلت مرآة العالم الوجود معتمة، لا ينعكس فيها الكمال الإلهي ففي الإنسان تتجلى كمالات الحق في أعظم صورها.(خلق الله الإنسان على صورته)، (وهو العالم الأصغر ... وهو روح العالم وعلته وسببه، وصح له التأله

لأنه خليفة الله ... وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ...والعالم مسخر له، مألوه به ... كما أن الإنسان مألوه بالله ...)(٥١).

إن الإنسان بموقعه من العالم هو أحق الموجودات بسريان روح الله فيه. ولهذا حق له التأله، لأن الله كما يقول ابن عربي (... هو مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت مرآته في رؤيته أسماءه وصفاته وظهور أحكامها، وليست سوى عينة)(٥٢). ولكن ظهور الله وتجليه في الإنسان يتفاوت بحسب استعداد الإنسان المقدر منذ الأزل لقبول هذا التجلي (لأن التجلي من الذات لا يكون أبداً إلا بصورة استعداد المتجلَّى له وغير ذلك لا يكون..)(٥٣). ومن هنا تكون رؤية الإنسان لصورته في مرآة الحق ووصفه له على قدر درجة استعداده لقبول التجلي. لهذا: (فما وصفناه بوصف إلا كنا نحن ذلك الوصف فوجودنا وجوده، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه)(٥٤). (والحق ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات، فإذا ظهر الله في صورة الإنسان الكامل كان عين ما بطن، وعين ما ظهر من ذلك الإنسان الذي ظهر بصورته، لأن الظهور والبطون بالنسبة إلينا أمران اعتباريان في حال نظرنا إلى نماذج أفراد الإنسان الكامل. أما فيما يتعلق بالحق فلا ناظر ولا منظور، فالحق ظاهر بالمعنى نفسه الذي هو باطن فيه، وباطن بالمعنى نفسه الذي هو ظاهر، وكذلك الحال في جميع صفات الأضداد التي وصف بها الحق نفسه، وتجلت في مخلوقاته، وفي الإنسان تمثلت أكمل تجليات الخالق على الإطلاق.

وإذا كان الأمر هكذا فيستطيع ابن عربي أن يؤكد تأليه الإنسان ثم العلاقة المتبادلة المتوازية بينه وبين الله. فيقول:

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده

ففـــي حـــال أقربـــه وفـــي الأعيـــان أجحـــده

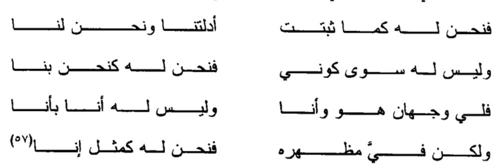
فيعرفنـــي وأنكـــره وأعرفـــه فأشـــهده

لـــذاك الحـــق أوجدنـــي وحقـــق فـــيّ مقصـــده[٥٦]

الحمد والعبادة هما الطاعة والخدمة وهما أمران متبادلان بين الله والإنسان.

فالله يفيض الوجود عليه، والإنسان يظهر كمالات الله. والإنسان يقر بوجـود الله فـي كل شيء في حال الجمع والوحدة، ولكنـه ينكـر وجـود الله فـي حـال التفريـق والكثرة، فينكر أنه هو عين الموجودات الخارجية والله يعرف الإنسان بجميع أحوالـه لأنه صورته، ولكن الإنسان ينكر وجوده في أعيان الموجودات الخارجية علـى أنـها هي هو بعينه، والإنسان الكامل يعرف الله معرفة ذوقية كشفية ويعرف أن الله يتجلـى في مخلوقاته ولهذا كانت الغاية التي أوجـد الله لأجلـها العـالم والإنسـان هـي أن يُعرف وتُعرف كمالاته الصفاتية والأسمائية.

هذه العلاقة الجدلية المتبادلة بين الله والإنسان. تأنيس الله وتأليه الإنسان هي محـور نظرية ابن عربي الصوفية التي لا يفتأ يرددها في كتبه ورسائله فيقول:


فنحـن لـه كمـا ثبتـت أدلتنـا ونحـن لنـا

وليـس لـه سـوى كونـي فنحـن لـه كنحـن بنـا

فلـي وجـهان هـو وأنـا وليـس لـه أنـا بأنـا

ولكـن فـيّ مظـهره فنحـن لـه كمثـل إنـا[٥٧]

إن الإنسان الكامل بأدلته الذوقية يعرف أنه منسوب إلى الحق وإلى الخلـق، والحـق ليس له سوى إظهار هذا الإنسان إلى الوجود ـ وليس الخلق مـن العـدم ـ فنحـن منسوبون إليـه تمامـاً، كنسـبتنا إلـى أنفسـنا، ونحـن ظـاهرون إلـى الوجـود بأعياننا، والإنسان له وجهان: فمن الوجه الأول يقال: إن الإنسان هـو الحـق مـن

حيث أن كمالاته الصفاتية والأسمائية قد تجلت فيه،ومن وجه آخر، يقال:إن الإنسان هو الإنسان فقط من حيث الصورة البشرية.

ففي الوجه الأول تمحى أنية الإنسان وتثبت هوية الحق، وفي الوجه الآخر تثبت أنية الإنسان وتمحي هوية الحق، وعلى هذا يكون الإنسان الكامل من جهة أولى هو الحق (الله) لأن وجوده عين الوجود المطلق من حيث تعينه، ويكون من جهة ثانية هو الخلق (الإنسان) من حيث أن الوجود المطلق لم يتعين ولا يتعين بكليته، أما الحق (الله) فليست له أي نسبة حقيقية إلى أي مظهر إنساني، إلى أي أنا. لأن الإنية هي الوجود المتعين، ولا ينسب إلى الحق أي وجود متعين دون غيره، ولهذا قال وليس له أنا بأنا. وكل ما يمكن أن يقال: إن الحق ظهر في الإنسان الكامل الرسول أو الولي أو النبي، لا إنه بعينه هو هذا الرسول أو ذاك النبي أو الولي. فالرسل والأنبياء والأولياء هم نماذج للإنسان الكامل، هي التجليات التامة الكاملة للحق التي لايتناهى ظهورها. فجميع الرسل والأنبياء بدءا من آدم (الإنسان الأول) وحتى خاتمهم محمد هم كلمات الله التي لا تنفد وكل كلمة من تلك الكلمات قد تجلت في هذا الرسول أو ذاك النبي، بحسب مرتبته عند الله وبحسب تقدير مشيئته الأزلية في كل مرحلة من مراحل الخلق، فآدم هو كلمة الله التي تجلت فيها الحكمة الإلهية من خلق الإنسان، وعيسى هو كلمته التي ألقاها إلى مريم وتجلى فيها روحه وإعجازه، وموسى هو كلمته التي تجلت فيها عظمته وعلوه ومحمد هو كلمته التي تجلى فيها نوره الأزلي وفرديته (ثلاثية الخلق: وجود الذات الإلهية، والإرادة وقول كن).

وعلى هذا الأساس بحسب مذهب ابن عربي يمكن القول، وهو ضرب من الإيمان:

إن الله هو موسى، وإن الله هو عيسى، وإن الله هو محمد، إذا كان القصد بأن أي واحد هو تجل لله، وإن معجزات أي منهم راجعة إلى ألوهية الحق ذاته، لا إلى

الصورة البشرية، ولكن ذلك القول يغدو، كفرا إذا كان القصد منه، تقييد الله وحده في أي واحد منهم أو غيرهم، أو إذا كان القصد ستر الألوهية وراء الصورة البشرية لكل منهم. لأن الإنسان الكامل كمثل الإناء (لون الماء لون الإناء) كما يقول الجنيد هذا صحيح، ولكن ليس صحيحا القول: إن الإناء هو الماء، فصورة الإنسان الكامل تحمل الذات الإلهية ولكن الصورة ليست هي المحمول بعينه لأن الصورة ليست سوى الذات المتعينة، ولكنها ليست الذات المطلقة.

وبمعنى آخر: (إن الصورة المتجلية في المرآة ليست متجسدة ولا حالة في جوهر المرآة الإنسان في الصورة البشرية)، كما أن هذه الصورة ليست شخص الحقيقة بعينه (الحقيقة كذات مطلقة). (لهذا فالإنسان الكامل ونماذجه هي صور ومظاهر إلهية لأسماء الله وصفاته.)[٥٨]

إن الإنسان الكامل عند ابن عربي (محدد على أساس أنه ماهية كلية تنطوي في وعيها ـ وهنا يؤخذ الحديث الشريف القائل: من عرف نفسه عرف ربه ـ بحرفيته ـ على كل ما هو إلهي قديم وكل ما هو مخلوق حادث معا وهو إذن كامل من الناحيتين اللاهوتية والناسوتية، وهو حلقة الوصل بين الله والعالم وعلى هذا النحو هو خليفة الله، فيه تتجلى الألوهية، ويستمر تجليها خلال العصور).[٥٩]

هذا التصور للإنسان الكامل نجد له صدى في الغنوصية (العرفان) المسيحية حيث يقول الأب كليمانت الإسكندري: (ليس في الوجود إلا نبي واحد هو الإنسان خلقه الله على صورته، الذي يحل فيه روح القدس والذي يظهر منذ الأزل في كل زمان بصورة جديدة)[٦٠]. كما نجد له صدى في نظرية الغنوص الإمامية عند الشيعة (أي في نظرية "النبي الصادق" الموجود منذ الأزل الذي تتوارث روحه وفضله سلسلة الأنبياء التاريخيين، ويرمز إلى تلك الروح والفضل بالجوهر النوراني الإلهي. وهذا النبي هو نموذج الإنسان الكامل الذي ينظر إليه على أنه الغاية من حوادث

العالم ومعناها، وانه الوسيط بين الواحد الإلهي وبين مظهره الخارجي. وابن عربي يفك فكرة الإنسان الكامل من القيد العيني بالنبي عند الشيعة، والغنوصية المسيحية، ويعممها لكي تشمل الولي، وأعلى مرتبة للولي هي القطب وهو يحمل ملامح الإمام المستور نفسها عند الشيعة والإسماعيلية، وهو يمثل الوحي الإلهي في كل جيل. فالولي الكامل هو إذن الإنسان الكامل وهو كالنبي حلقة الوصل بين الله والعالم وهو خليفة الله في الكون [٦١].

من المؤكد أن ابن عربي لم يكن بعيدا عن نظرية العرفان الشيعية، ولا عن فكر إخوان الصفا عموما[٦٢]، ولا عن فكر الإسماعيلية خصوصا[٦٣].

وإذا عرفنا أن الحركة الإسماعيلية امتدت كتنظيم سري من الهند إلى الأندلس. وطرحت مشروعها الكبير تقويض أركان الخلافة في بغداد وغيرها وإقامة دولة عالمية بديلة على أساس عالمية الإنسان. فيمكن أن نسوق فرضية استنتاجيه هي: أن ابن عربي كان بدوره يتوجه بإنسانه الكامل المتأله، إلى مناهضة رجال الدين النصيين والفقهاء الذين يحيلون بوساطة السلطة الإسلام إلى مسائل تشريعية بحتة، ويجعلون من الإنسان شيئا وآلة لا يختلف عن شيئية وآلية الموجودات الأخرى.

سادسا: إله المعتقدات وإله ابن عربي (عالمية الإله):

إن قول ابن عربي بالحقيقة الوجودية الواحدة ألزمه أن يعد الله هو الجامع لكل شيء، الحاوي لكل موجود، الظاهر بصورة كل موجود، ومن هنا يكون إله ابن عربي مخالفا لإله العقائد الذي يتصف بصفات تميزه عن صفات الخلق، بينما ابن عربي لا يعطي لإلهه إلا صفة خاصة وحيدة ينفرد بها عن الخلق، هي صفة "الوجوب الذاتي التي لا قدم فيها لمخلوق".

كما يلزم عن قوله بالحقيقة الوجودية الواحدة أن تنسب إلى الله جميع صفات الأشياء المحمودة والمذمومة، وجميع الأفعال الخيرة والشريرة، وفي ذلك يقول ابن عربي (... ألا ترى الحق يظهر بصور المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات الذم والنقص ؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها، وكلها حق له، كما هي صفات المحدثات حق للحق)[٦٤].

إن الموجودات لا توصف بذاتها محمودة أو مذمومة، وكذلك الأفعال لا توصف بذاتها خير أو شر، فالتفرقة بين المدح والذم والخير والشر هي تفرقة أخلاقية دينية، هي اعتبارية لا حقيقية (... لأن الشر في نظر ابن عربي عدم محض، أي عدم وجود صفات إيجابية، ليس للشر وجود حقيقي بالنسبة لله، الذي ليس في طبيعته تقابل (تناقض)، والشر من الأشياء المتقابلة بالتضاد، فوجوده مقصور على عالم الظواهر حيث تعرف الأشياء بأضدادها)[٦٥].وعلى هذا فكل ما يمكن أن يقال في أي موجود، هو أنه مجلى يظهر فيه الحق بصفة أو صفات سواء أكانت هذه الصفات مما اصطلح عليه الشرع أو الأخلاق محمودة أو مذمومة، أم لم تكن. وهذا يعني أنه يستوي أن نقول: إن الحق يظهر بصفات المحدثات المحمودة أو المذمومة، وأن نقول: إن الخلق يظهر بصفات الحق. فالحق يظهر بصفات المحدثات كما أخبر عن نفسه في قوله تعالى: (ومكروا ومكر الله) وقوله: (الله يستهزئ بهم)، وقوله (إن الذين يؤذون الله والرسول)، وغير ذلك من الآيات الكريمة التي يفهمها ابن عربي بما يتفق مع مذهبه في وحدة الوجود، ولا يفهمها على سبيل المجاز والتوضيح للإنسان المسلم العادي. وعنده أن الله هنا هو الظاهر في صورة الماكر والمستهزئ والمؤذى. (إن الله يظهر فيما لا يتناهى من صفات الجبروت والقهر مثلما يظهر فيما لايتناهى من صفات اللطف والرحمة. ولو أن اسما إلهيا من أسمائه ظل معطلا ولم يتحقق معناه في صورة من صور الوجود لما كان تجلي الحق كاملا)[٦٦].

أما ظهور الخلق بصفات الحق فمثل ظهور الإنسان بصفة العلم أو الرحمة أو الكرم، وغاية ابن عربي في ذلك هي أن يقول: لو أن الله لم يتجل بصفات المحدثات حتى المذمومة منها لكان تجليه ناقصا. إن نواقص العالم وكمالاته من خير وشر، وشرك وإيمان ومعاص، فهي لا تعدو كونها آثارا ومظاهر لأفعال الله، وإنها من صفات الكمال الالهي، يقول ابن عربي:

(... إن الذات لو تعرت عن هذه النسب لم تكن إلها، وهذه النسب أحدثتها أعياننا، فنحن جعلناه بمألوهيتنا إلها، فلا يعرف حتى نعرف، قال عليه السلام: (من عرف نفسه عرف ربه)[٦٧] إن النسب هي الصفات التي تتجلى في أعيان المحدثات. وإذا تجردت الذات الإلهية عن هذه النسب الوجودية، وابتعدت عن متناول الإدراك الحسي فإنها لا تغدو إلها. لأن الألوهية تقتضي المألوهية، بمعنى أن الحق الوهاب يقتضي الخلق الموهوب، والحق الرحيم يفرض الخلق المرحوم. ولا تعرف الألوهية وصفاتها، إلا إذا عرفت المألوهية وصفاتها، وهذا يعني إن الإنسان يعلم الله ويوجده، ويصوره بصورة مُعتَقَدِه، يعلم الله بحسب ما يتجلى له من أسمائه وصفاته في صور الكائنات، فيخلق من ذلك إلهه الخاص الذي اعتقد فيه وعبده، ولكنه لا يخلق الله كذات أحدية، كوجوب ذاتي، أو كمجموع لتجلياته اللامتناهية وقد ورد في الحديث الشريف كما يزعم ابن عربي: أن الله يتجلى يوم القيامة في بعض الصور فيقبل، ثم يتجلى في بعضها فينكر، وليست هذه الصور سوى معتقداتنا فيه، فكل منا يقبله يوم القيامة في صورة معتقده، وينكره في صورة معتقد غيره، يقول ابن عربي:

كل عقد عليه شخص يحله من سواه عقد[٦٨]

هكذا في رأي ابن عربي وصف الشرع الله، ولكن هذا الوصف ليس الله كما هو في ذاته، فالله الذي يتجلى في صور موجودات العالم هو نفسه الذي يتجلى لنا يوم

القيامة في صور معتقداتنا فيه فكل عبد يعتقد اعتقادا خاصا بربه، يستمد اعتقاده من النظر في نفسه، وبهذا اختلفت الاعتقادات في الله لاختلاف تجليات الأسماء والصفات.

عقد الخلائق في الإلــه عقــائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقــدوه[٦٨]

إن إله المعتقدات إذن من خلق الإنسان يتصوره كل معتقد بحسب استعداده وحظه من العلم أو الرقي الروحي، يقول ابن عربي: (اعلم أن من شأن الحق تعالى أنه حيثما تصور كان له وجود في ذلك التصور، ولا يزول وجوده برجوع ذلك المتصور عما تصوره، بخلاف المخلوق، لأن المخلوق إذا تصورته كان له وجود في تصوراتك، فإذا تبين لك أنه ليس كذلك زال وجوده بزوال تصورك عما تصورته.. إن الحق تعالى قابل صورة كل مُعتقَدٍ، ولو لم يكن كذلك ما كان إلها.. والله تعالى موجود عند كل تصور، كما هو موجود في خلاف ذلك التصور بعينه)[٧٠].

نعم: إن الملايين من الناس الذين يتصورون الله، يأتي تصور كل واحد منهم مخالفا لتصورات الآخرين حتى بين الذين ينتمون إلى ديانة واحدة أو مذهب واحد، ويكاد يوجد من التصورات عن الله في أذهان الناس بمقدار تعدادهم بالملايين أو بالمليارات فشخصية الله المتصورة لدى واحد من الناس يستحيل أن يوجد ما يطابقها من الصور لدى الآخرين. وهذا لا يعني اشراكا، بل يعني أن لانهائية التصورات عن الله نابعة كما يقول ديكارت من لا نهائية الذهن البشري.

فكل امرئ يتصور إلهه ويحده على مقدار علمه. أما إله ابن عربي فلا يحده عقل لأنه هو المعبود على الحقيقة في كل ما يعبد، المحبوب على الحقيقة في كل ما يحب. وإن العارف كما يرى ابن عربي: هو من رأى في كل معبود مجلى للحق يعبد فيه. فالمُعتَقِدُ يعبد إلهه الخاص الذي خلقه في معتقده ويجحد غيره من آلهة الاعتقادات. ويثني على الحق ما درى أنه يثني على نفسه، لأن إله المعتقد من

صنعه. ولو عرف المعتقد أن غيره الذي يخالفه العقيدة ما عبد إلا الحق في صورة خاصة من صور الاعتقاد لما أنكر على هذا الغير ما يعبده.

إذن، إن البشر يخلقون إلههم فبعضهم (وهم المؤمنون) يعبده في صورة الهادي، وبعضهم (وهم الكافرون يعبده في صورة المضل ولكنه يبقى عين كل معبود لأنه الروح السارية في جميع مراتب الوجود، وحتى الوثنيون فمنهم يعبدون الموجود الذي يتخلل كل جزء من أجزاء العالم المادي، فالمجوسي والوثني واليهودي والمسيحي والمسلم وغيرهم كل يعبده على الحقيقة من حيث ما يظهر لكل منهم، (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه....) ويترتب على هذا أن نهاية الجميع إلى النجاة. وعلى هذا يسقط ما تقرره الأديان السماوية من مفهومات الجنة والنار، والثواب والعقاب.فمآل الجميع إلى السعادة الأبدية حتى في جهنم.

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة في نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين

يسمى عذابا من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشر صاين[٧١]

وعلى هذا الأساس يسوغ ابن عربي لإبليس رفضه السجود لآدم لأنه طاع الأمر التكويني وعصى الأمر التكليفي فكان موحدا [٧٢]، ويبرئ ساحة فرعون في عصيانه لموسى، وكفره عندما عبد إلهه الخاص كما فهمه، ويبرئ ساحة السامري الذي صنع عجل الذهب ونفخ فيه

وعبده[٧٣] ويبرئ ساحة مشركي قريش وعدائهم لمحمد وساحة الذين قتلوا السيد المسيح وصلبوه.

فكل هؤلاء عند ابن عربي كما تقول الآية القرآنية الكريمة: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)[٧٥]. يتأول ابن عربي الآية الكريمة: بأنهم مشركون لما يطرأ في

نفوسهم من مزيد التصورات عن الله، (ولهم في كل مزيد تصور ليس هو عين التصور الأول، وليس إلا الله تعالى في ذلك كله. فما جاء الله بهذه الآية إلا لإقامة عذرهم ولم يتعرض للتوحيد)[٧٦].

(...لأن أحدية الله تعالى أحدية المجموع، لا أحدية كل واحد من المجموع)[٧٧].وإن فهم ابن عربي لله المتعالي – على هذا النحو – فوق إله المعتقدات يجعلني أميل إلى القول:

إنه كان يتوجه بهذا الفهم إلى مناهضة الفقهاء وأنصارهم من العامة، إلى بناء مذهب في التسامح الديني يقف فوق المنافرات والمشاحنات والاختلافات الدينية والمذهبية التي أدت بالبشرية جمعاء إلى إهراق أنهار الدم عبر تاريخها المأساوي، وكأنه أراد في فهمه هذا لله أن يرجع بالإنسان – من حيث الإيمان – إلى فطرته الأولى التي تحدث عنها النبي محمد (صلعم) إلى فطرة البراءة الأولى، للإنسان واقترابه بها من الألوهية قبل أن يتمجس أو يتهود أو يتنصر، قبل أن يتعود التعصب الديني أو المذهبي أو العرقي أو القومي، أو أي لون من ألوان التعصب الذي مارسه البشر قديماً وحديثاً.

وأنه ربما كان للصراعات المذهبية في العالم الإسلامي، بين فرقه المتناحرة.

وأصل صراعها عوامل اقتصادية وسياسية – وربما كان للغزو الصليبي الذي أُلبس اللباس الديني لكي يخفي عيوب النظام الإقطاعي في أوربا. أقول ربما كان لكل ذلك أساس أو صدى في مقولة ابن عربي: إن كل إنسان يخلق إلهه الخاص، وإله ابن عربي يتعالى فوق الكل، إنه إله التسامح والرحمة الشاملة والحب المطلق. والحب في صيغة الهوى اسم من أسماء الله الحسنى:

وحق الهوى إن الهوى سبب ولولا الهوى في القلب ما عُبِدَ الهوى[٧٨]

سابعاً: الخاتمة والنتائج:

مما تقدم يمكن أن نقول: إن مذهب وحدة الوجود عند ابن عربي يمثل إلغاء لمبدأ الفصل المطلق بين الله والعالم، ويترتب عليه إلغاء مبدأ الفصل بين الحاكم والرعية ويمكن أن نستشف ذلك في جدل بارع رفيع المستوى يقوم عنده على التركيب بين طريقة المتصوفة وسلوكهم في الوصول إلى الحقيقة، وبين تفكير الفلاسفة الإلهيين. وبهذا يتجاوز كل الذين أخذوا بهذا المذهب من متصوفة أو فلاسفة إلهيين. ولذا فهو في آن واحد متصوف وفيلسوف إلهي.

فمن حيث كونه متصوفاً يرى أن بمقدور بعض البشر أن يرتقوا إلى الاتحاد بالذات الإلهية ويشاهدوا تجليات الحق في ذواتهم. ووحدة الوجود عنده هي أساس يستند إليه – كغيره من أصحاب المذهب – في تجربة الكشف، وفي النضال لتحقيق الوحدة في تجربته الذاتية. ولهذا فهو بوصفه متصوفاً كان يعيش النطرية في تجربة ذاتية حية. ويترتب على هذه المعايشة في مجال المعرفة، أن تكون أداة المعرفة هي ملكة الوجدان أوالذوق، أو الحدس، أو الكشف، أي أن المعرفة هنا تتم بصورة مباشرة من دون مقدمات عقلية، إنها معرفة فوق عقلية، لا يؤتاها إلا كل ذي حظ عظيم، وإلا من منَّ الله عليه بحسب درجته بقبس من نوره الكلي الأزلي. هي معرفة لا تأتي إلا بالرياضة والمجاهدة التي تجعل النفس على أتم الاستعداد لقبول تجلي ذلك النور. بفيض مقدس، أو فيض أقدس.

ولهذا نجد ابن عربي في مئات الصفحات في الفتوحات المكية يفيض في شرح المقامات التي يرتقي إليها المتصوف على أساس مذهب وحدة الوجود، وهي المقامات التي تشكل مضمون علم الباطن مثل التصديق والأيمان والصدق واليقين، والإخلاص والتوكل، والمحبة والتفويض والتسليم والوجد ..الخ . وهذا الشرح ليس إلا شرحاً لتبدلات وتحولات نفسه الباطنة، وعلاقتها بالله، على أساس

منهج الإستبطان النفسي. وهو في ذلك كله، يجعل من نفسه طبيباً نفسياً يحاول أن يستقي من تجربته الذاتية وسائل لعلاج آلام البشرية التي مزقتها البغضاء، وأعمتها الأحقاد، إنه يحاول أن يرتقي بمستوى حياته الروحية ليجعل منها نموذجاً يقدمه للآخرين. ويستهلك نفسه في الحب الإلهي والحب الإنساني لكي يحيل قلبه من حيز ضيق إلى فضاء رحب لا متناهي يتسع لكل الخطاة والقديسين معاً، ولكل من يدين بأي دين كان.

ومن هنا تنبع الدلالة الإنسانية والاجتماعية لمذهبه، أي تنبع من قيمته النفسية. ويترتب على تبدلات أحوال النفس الدائمة مسألة ذات أهمية هي: أنه لا يجوز أن نفهم الإنسان فهماً سكونياً، فهذه التبدلات تعكس جدل العلاقة بين الإنسان والمجتمع، وقد عبر عنها ابن عربي بجدل العلاقة بين الله والإنسان فدعوته الدائمة إلى أنه من الممكن أن يتأله الإنسان، (الإنسان الكامل، النبي المتصوف، الولي). إنما تهدف إلى ضرورة العمل على رفع مكانة الإنسان وإنقاذه من الشيئية التي تتجلى في قيود الحياة اليومية الرتيبة المملة المعذبة المغربة، وهي القيود التي تتعلق بأعمال الجوارح، بالأعمال الظاهرة التي تتولى الشريعة تنظيمها وضبطها. ومن هنا يأتي النقد المبطّن للفقهاء الذين وقفوا بالدين عند حدود الظاهر ورفضوا الوصول إلى عمق الدين - أي دين كان - وابتعدوا عن تراثه الروحي.

وأما من حيث كونه فيلسوفاً إلهياً فقد أفاض في شرح ترتيب الكون، وكيفية تركيبه بصدوره عن الواحد في صدورات ومراتب وتجليات لا حصر لها، وقدم بذلك نظرية في الكون غايتها إدراك الوحدة وإثبات وجودها. ويشرح في جدل نازل تجليات الحق (تأنسن الله) وكيف يصير الحق إنساناً، وكيف يصير الحق خلقاً، ويشرح في جدل صاعد ترقي الإنسان إلى مرتبة الألوهية بالممارسة والمعرفة. وابن عربي في كل ذلك يستخدم التراث الروحي للإسلام، وكل التراث الروحي للبشرية. وهو بهذا يفصح عن نزعة إنسانية يمكن أن نتلمسها في تفاصيل

المذهب وخطوطه العريضة. وهذه النزعة تنسجم مع روح الإسلام ذاتـــه، فالإســـلام في جوهره منفتح على كل الأجناس ولايفرق بين مسلم ومسلم يختلفـــان فـــي اللـــون أو العرق أو الانتماء إلى أمة أو مكان. وابن عربي يوسع الآفـــاق التـــي استشـــرف إليها الإسلام فيمدها إلى الأديان الأخرى. ومن هنا نقـــول: إن ابـــن عربـــي يدعـــو ويناضل من أجل مجتمع مفتوح، لأنه فـــي مذهبـــه منفتـــح علـــى كـــل التجـــارب الدينيـــة الإنســـانية، ولا ينـــاقض التيـــارات الروحيـــة الأخـــرى، ويطلـــب تحقيق الأخوة الإنسانية بين النـــاس جميعـــاً مـــهما اختلفـــت مواطنـــهم وأزمانـــهم. ولهذا يحاول أن يشيد نظرية في الحب على أساس مبـــدأ عالميـــة الديـــن، وعالميـــة الإنسان. ولهذا أيضا فإن مـــا قدمـــه يعـــد جـــزءا هامـــا مـــن تراثنـــا الروحـــي.

المراجع والحواشي

١. لوي ماسينيون: المنحنى الشخصي لحياة الحلاج. ضمن كتاب شخصيات قلقة في الإسلام. ترجمة عبد الرحمن بدوي القاهرة ١٩٦٦-صفحة ٦٥-٦٧.

٢. كامل مصطفى الشيبي الدكتور. الصلة بين التصوف والتشيع ج٢.ط٣ بيروت ١٩٨٢. صفحة ٤٠-٨٥.

٣. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. تلبيس ابليس، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣. انظر البابين العاشر والحادي عشر١٨٣-٤٢٨.

٤. ابن تيمية . مجموعة الرسائل الكبرى . الرسالة السابقة . الوصية الكبرى ج١ القاهرة ١٩٦٦ صفحة ٢٩٢.

٥. ابن تيمية. مجموعة الرسائل والمسائل ج١ طبعة رشيد رضا. القاهرة بدون تاريخ النشر صفحة ١٧٢.

٦. الشاطبي (ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي - كتاب "الاعتصام" ج١ نشر المكتبة التجارية . القاهرة بدون تاريخ النشر، صفحة ٢٣٠.

٧. لوي ماسينيون. المنحنى الشخصي لحياة الحلاج. نفس المعطيات السابقة صفحة ٧٦-٨٢.

٨. = = السهروردي المقتول "مؤسس مذهب الإشراق" ضمن كتاب شخصيات قلقة في الإسلام. ترجمة عبد الرحمن بدوي القاهرة ١٩٦٦، صفحة ١٣٠،١٣١.

٩. علي سامي النشار. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الإسكندرية ١٩٦٢ صفحة ٣٦.

١٠. = = = = = = = = = =
= ٣٦.

١١. محمد عبد الله عنان. دولة إسلام في الأندلس. عصر الموحدين. القاهرة ١٩٦٤صفحة ١٧١.

١٢. إحسان عباس. تاريخ الأدب في الأندلس عصر سيادة قرطبة ٢٤-٢٩.

١٣. محمد عبد الله عنان نفس المصدر السابق صفحة ٤١٢.

١٤. المقدسي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم صفحة ٢٣٦.

١٥. ابن تومرت أعز ما يطلب. الجزائر ١٩٠٣صفحة ١٦٣.

١٦. = = = = = = = ٢٧٥.

١٧. أعدم ابن تومرت ١٥ ألف مواطن اجتمعوا لكي يسمعوا وعظه. نقلا عن محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين صفحة ١٨٢. وأعدم تلميذه عبد المؤمن بن علي الكوفي ٣٠ ألف مواطن صفحة ٢٦٤.

١٨. محمد عبد الله عنان ـ دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين. القاهرة ١٩٦٤ صفحة ٣٠٠ ـ ٣٥٠.

١٩. +٢٠. ـ عبد الواحد المراكشي ـ المعجب في أخبار المغرب. تحقيق محمد سعيد العريان + محمد العربي العلمي القاهرة ١٩٤٩ـ صفحة ٢٧٩.

٢١. ايف لاكوست ـ ابن خلدون ـ ترجمة ميشال سليمان بيروت ١٩٧٤ ـ٤٠ حيث يشير إلى قيام دولتين ثيوقراطيتين (المرابطين والموحدين) تحت شعار الإصلاح الديني.

٢٢. ابن عربي. فصوص الحكم تحقيق أبوالعلا عفيفي القاهرة ١٩٤٦ فــــص آدم صفحة ٤٨.

٢٣. = = = = = = فص آدم صفحة ٤٨.

٢٤. = = = فص آدم صفحة ٥٥ .

٢٥. ابن عربي. فصوص الحكم فص آدم صفحة ٥٥ .

٢٦. = = = = فص آدم صفحة ٥٥ .

٢٧. = = = = فص شيث صفحة ٦٠ .

٢٨. = = = = فص آدم صفحة ٥٥ .

٢٩. = = = = فص ابراهيم صفحة ٨١ .

٣٠. = = = = فص شيث صفحة ٥٥ .

٣١. = = = = فص شيث صفحة ٦١ .

٣٢. فصوص الحكم. فص شيث صفحة ٦٥ .

٣٣. ابن عربي فصوص الحكم ــ فص شيث صفحة ٦٥ .

٣٤. ابن عربي فصوص الحكم فص شيث صفحة ٦٥ .

٣٥. = = = = = = = ٦٥ .

٣٦. ابن عربي الفتوحات المكية ج٣ صفحة ٣٤٩ .

٣٧. ابن عربي ــ فصوص الحكم ــ فص ادريس صفحة ٧٧ .

٣٨. = = = = = = = ٧٧ .

٣٩. = = = = فص نوح صفحة ٦٨ .

٤٠. = = = = = = = ٦٨ .

٤١. = = = = = = = ٦٨ .

٤٢. = = = = = = = ٦٩ .

٤٣. = = = = = = = ٦٩ .

٤٤. = = = = = = = ٦٨ .

٤٥. = = = = = ادريس صفحة ٧٨ .

٤٦. = = = = = نوح صفحة ٦٩ .

٤٧. ابن عربي فصوص الحكم. فص ادريس صفحة ٧٨ .

٤٨. ابن عربي فصوص الحكم. فص ادريس صفحة ٧٨ .

٤٩. ابن عربي فصوص الحكم. فص ادريس صفحة ٧٨ .

٥٠. = = = = = آدم صفحة ٤٩ .

٥١. = = = = = آدم صفحة ٥٠ .

٥٢. ابن عربي ــ الفتوحات المكية ج٣ صفحة ٣٤٩ .

٥٣. ابن عربي ــ الفتوحات المكية ج١ صفحة ٣٩٧ + فص شيث صفحة ٦٢ .

٥٤. ابن عربي فصوص الحكم فص شيث صفحة ٦١ .

٥٥. ابن عربي فصوص الحكم فص ادريس صفحة ٧٧ .

٥٦. ابن عربي فصوص الحكم فص ابراهيم صفحة ٨٣ .

٥٧. ابن عربي فصوص الحكم فص إبراهيم صفحة ٨٤ .

٥٨. هنري كوربان تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة نصير مروة + حسن قبيسي بيروت ٩٦٦صفحة ٩٨ .

٥٩. هانز هنريش شيدر. ضمن كتاب عبد الرحمن بدوي الإنسان الكامل في الإسلام الكويت ١٩٦٧ صفحة ٦٧ .

٦٠. أبو العلا عفيفي. شرح فصوص الحكم صفحة ٢١٨ .

٦١. هانز هنريش شيدر. ضمن كتاب عبد الرحمن بدوي الإنسان الكامل في الإسلام الكويت ١٩٦٧ صفحة ٦٦ .

٦٢. هنري كوربان تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة نصير مروة + حسن قبيسي بيروت ١٩٦٦صفحة ١٠٢ــ صفحة ١١٥ .

٦٣. هنري كوربان تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة نصير مروة + حسن قبيسي بيروت ١٩٦٦صفحة١٤٥ ــ ١٥٢ .

٦٤. ابن عربي فصوص الحكم فص ابراهيم صفحة ٨٠ ــ ٨١ .

٦٥. رينولد نيكلسون التصوف الإسلامي ترجمة أبو العلا عفيفي الإسكندرية ١٩٤٦صفحة ٨٨ .

٦٦. رينولد نيكلسون التصوف الإسلامي ترجمة أبو العلا عفيفي الإسكندرية ١٩٤٦صفحة ٨٨ .

٦٧. ابن عربي فصوص الحكم فص ابراهيم صفحة ٨١ .

٦٨. ابن عربي فصوص الحكم فص اسماعيل صفحة ٩٢ .

٦٩. ابن عربي التعليق على فص اسماعيل صفحة ٩٣.

٧٠. ابن عربي كتاب المعرفة. تحقيق سعيد عبد الفتاح ــ باريس بــيروت ١٩٩٣ صفحة ٣٨ ــ مسألة ٢٠.

٧١. ابن عربي فصوص الحكم. فص إسماعيل صفحة ٩٤ .

٧٢. انظر فص عيسى.

٧٣. انظر فص موسى.

٧٤. انظر فص محمد.

٧٥. سورة يوسف مكية آية ١٠٦ .

٧٦. ابن عربي كتاب المعرفة تحقيق سعيد عبد الفتاح باريس بيروت مســألة ٢٠ صفحة ٣٩ــ٤٠.

٧٧. ابن عربي كتاب المعرفة تحقيق سعيد عبد الفتاح باريس بيروت مســألة ١٩ صفحة ٣٨.

٧٨. ابن عربي كتاب المعرفة تحقيق سعيد عبد الفتاح باريس بيروت مسـألة ٢٩٦ صفحة ١٨٧.

*يثبت المؤرخون المعاصرون وبعض علماء الاجتماع من عرب وأجانب (محمد عبد الله عنان في كتابه "دولة الإسلام في الأندلس" وعبد الله العروي في كتابه مجمل تاريخ المغرب ج٢" وايف لاكوست في كتابه "ابن خلدون" وكارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية:) أن قيام دولتي المرابطين والموحدين الثيوقراطيين تحت شعار الإصلاح الديني، كان في الحقيقة من أجل السيطرة على تجارة الذهب، على محطات القوافل التجارية المحملة بالذهب الآتية من حدود مالي ونهر النيجر عبر الصحراء الإفريقية الكبرى إلى السواحل الشمالية لافريقيا المغرب، ثم الأندلس فأوربا. وقد ارتبط نشوء كل من الدولتين

بالنجاح في السيطرة على هذه التجارة، لكن الفارق هو أن المرابطين قد تبنوا آراء فقهاء المالكية الذين قصروا فهمهم للإسلام على جانب واحد منه هو علم الفروع، وأغلقوا باب الاجتهاد، وصاغ الفقهاء أيديولوجيا الدولة وشكلوا أداتها وفكرها. بينما تبنى الموحدون أيديولوجيا دينية جديدة تتسم بأنها تفهم الإسلام فهما عقليا منفتحا يدعو ويحض على الاجتهاد والنظر العقلي. لكنها مع ذلك كأيديولوجيا السلطة، رفضت ــ لاعتبارات سياسية واقتصادية ــ كل الاتجاهات الدينية الأخرى.

* * الايديولوجيا الدينية هي نسق فكري يتكون من جملة الآراء والأفكار السياسية والقانونية والأخلاقية والفلسفية التي تشتق من الدين، أي "من الثوابت الروحية للدين ولكنها تتجاوزه وتتجاوز ثوابته وقد تخالفها. والأيديولوجيا الدينية تتخذها في كثير من الأحيان الفئة الحاكمة أو الطامحة إلى الحكم كوسيلة تسوغ بها مشروعية سيادتها، أو تغطي بها مصالحها الاقتصادية أو السياسية. ومعروف مثلا أن الإسلام كدين هو غير الأيديولوجيا الدينية للأحزاب الدينية الإسلامية، وإن المسيحية كدين هي غير الأيديولوجيا الدينية للأحزاب الدينية المسيحية. والأيديولوجيا الدينية كأي أيديولوجيا تتطور بتطور العلاقات الاقتصادية الاجتماعية فرجال الدين في القرون الوسطى المناصرون للسلطة فهموا الدين فهما يسوغ للسلطة أن تفعل ما تشاء وشكلوا بذلك الأيديولوجيا الدينية للسلطة بينما شكل المتنورون من فلاسفة ومتصوفة وحتى من رجال دين آخرين أيديولوجيا مناهضة للسلطة القائمة. ولهذا فالأيديولوجيا الدينية وإن كانت مشتقة من الدين إلا أنها تملك بعض الاستقلال النسبي.

* * * ليس المقصود هنا بمفكري أوائل وآخرين على وجه الترتيب، بل المقصود بالمفكرين الأوائل، مفكري السلطة مثلا رجال الدين، الفقهاء، الأشاعرة، أبي حامد الغزالي، امام الحرمين الجويني. ابن تيمية. الخ). والمقصود بالمفكرين الآخرين الذين حصلوا معارفهم عن طريق غير طريق السلطة (المعتزلة، مفكري الشيعة.

إخوان الصفا. المتصوفة. بعض الفلاسفة (الفارابي الرازي) وكان هؤلاء يملكون شيئا من التحرر النسبي في تفكيرهم وعدائهم للفكر السائد، وتصوروا للعالم يخالف تصور مفكري أهل السلطة.

* * * تتبدى الجبرية المفرطة عند ابن عربي في عده كل ما هو كائن أو ما سيكون إنما مقدر له منذ الأزل أن يوجد، أو سيوجد على الصورة التي رسمت له بعلم الله وإرادته. إن في الوجود استعداد أزليا طبعه فيه الله ، هذا الاستعداد الأزلي هو الذي يعين وجوده ويكيف ما يوحى إليه من العلم. ومن هنا كانت مقامات ومراتب أهل الذوق والكشف وأهل العلم، والعامة. فعند ابن عربي هناك درجات في المعرفة تمنح بحسب استعداد العارف.وابن عربي عندما يخاطب الكل، فهو يدرك أن بعضا من الكل بحسب مرتبته سيستوعب بعض ما يعطى له، وعندما يخاطب الكل فهو يتمثل سلوك الأنبياء حتى تسقط عنه الحجة.

وهذا ينسجم مع مبدأ الفيض الذي يقول به. إن الفيض عام وشامل، ولكن خيرية المعرفة وخيرية الوجود الذين يفيضهما الله ينالهما كل موجود بحسب مرتبته وشرفه وقدرته . أي بحسب ما قدر له منذ الأزل من استعداد أن ينال حظه في الوجود والمعرفة. فكل الموجودات مقدر لها منذ الأزل أن توجد أو ستوجد على هذا النحو أو ذاك، وهذا مبدأ الانسجام الأزلي المسبق الذي أخذ به لايبنتز.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٨/٦/٢

وفرة المصطلح والاحتياجات الاصطلاحية في ميدان الترجمة التقنية

د. نبيل اللو
قسم اللغة الفرنسية ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

تعدّ وفرة المصطلح عقبةً كأداء تقف حائلاً أمام شيوع المصطلحات العلمية والتقنية وانتشارها واستخدامها. تظهر المشكلة أولاً على مستوى اللغة الواحدة، ثم تظهر على مستوى لغات مختلفة تتقاطع فيما بينها عن طريق النقل والترجمة. القاعدة الفضلى في ميادين العلم والتقانة هي أحادية المعنى: مصطلح وحيد لكل مسمّى. لكن الواقع يثبت أن اللغة التقنية ليست بمنأى عن ظاهرة المترادفات وتعدد المعاني: مصطلحات مختلفة لمعنى واحد، ومصطلح واحدٌ لمعانٍ مختلفة. لذا تبدو مقابلة ومقارنة تعريفات مختلفة لقضية المترادفات ضرورية بدايةً لاعتماد تعريف موسّع للمسألة. تطرق البحث إلى دراسة مختلف أنواع المترادفات. وخَلُصَتْ الدراسة إلى نتائج تشير إلى أن انتشار المترادفات في العلوم غالباً ما يكون عشوائياً فوضوياً وينجم عنه مشكلات عديدة تزيد من صعوبة مهمة مترجم النصوص التخصصية. وللمترجم ــ اللساني في هذا دور تحليلي لمصطلحات موجودة أو مستحدث للمصطلح إن لم يكن موجوداً. لكنه يمكن أن يكون له أيضاً دور مقيّس للمصطلحات قادر على الخيار والمفاضلة فيما بينها وفق معايير وأسس لغوية علمية.

يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الفرنسية في الصفحات (56-21) من هذا العدد.

ظاهرة الإقحام وقواعد صوتية أخرى في لهجة بني صخر

د. محمد ناصر البدارين
قسم اللغة الإنكليزية ــ كلية الآداب
جامعة اليرموك

ملخص

يعالج هذا البحث قاعدتين في النظام الصوتي للهجة عشائر بني صخر؛ وهما تغيير البناء الصوتي لصوت اللين السفلي / a / ليصبح صوتا علويا قصيرا / i /، وذلك في عملية اشتقاق لبعض الأسماء والأفعال، وإدخال صوت لين قصير علوي / I / بين صوتين ساكنين أو أكثر للوصول إلى بنية سطحية مسموح بها في النظام المقطعي لهذه اللهجة. كما يناقش هذا البحث تطبيق القواعد الصوتية وفق ترتيب خاص لإيضاح التفاعل بين هاتين القاعدتين فيما بينهما، ومع قواعد صوتية أخرى كقاعدة النبر وحذف صوت اللين وحذف الهمزة. *

* يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الإنكليزية في الصفحات (74-57) من هذا العدد.

رسائل الدكتوراه والماجستير

عاقل، فريال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. عبد اللطيف عمران.

الموضوع: حسينم بن أحمد الجزري ـ حياته وشعره ـ دراسة وتحقيق.

Husen Al-Jazry – life and poetry.

ابن الجزري (٩٩٧ ـ ١٠٣٣هـ)، (١٥٨٩ ـ ١٢٦٤م) هو حسين بن أحمد بن حسين الجزري شاعر من أهل حلب، أصله من جزيرة ابن عمر، ونسبته إليها، تنقل بين الشام والعراق والروم، ومدح بني سيفا (أمراء طرابلس الشام) واستقر في حلب، ثم رحل إلى حماة فتوفي فيها، له "ديوان شعر" لم يحقق أو ينشر من قبل وقد اعتمدت نسختين مخطوطتين من ديوان ابن الجزري، ووقفت عليهما في مكتبة الأسد الوطنية، النسخة الأولى تقع في /٨٢/ ورقة، مسطرتها /٢١/ سطراً، وقياسها /٢٠ × ٣سم/، وكتبت بخط معتاد فيه بعض الشكل. والثانية تقع في /١١٢/ ورقة مسطرتها /٢٤/ سطراً،، وقياسها /٢١ × ٤سم/ وكتبت بخط نسخي معتاد، وديوان ابن الجزري هذا هو مجموع قصائد في مدح رجالات عصره في حلب وطرابلس وغيرهما، وقد تناولت هذا الديوان بالدراسة والتحقيق.

الأحمد، حسن ابراهيم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربيـــة، جامعـة دمشق.

إشراف: أ. د. م. عبد اللطيف عمران.

الموضوع: نص الثعالبي بين الإبداع والنقد.

Ath-Tha'alibi between creativity and criticism.

يقدم البحث دراسة موسعة لأدب الثعـــالبي ونقـده، خاضعـة لإجـراءات التحليـل النصي، للظاهرة الأدبية والنقدية، مع ربطها بالمتعاليات النصية.

تقوم الدراسة على تقديرين رئيسيين، أولهما أن النص ممارسة لغويـــة تـهدف إلـى تفكيك الأجناس الأدبيـــة والنقديـــة، وتداخلـــها، وتشـــبكها. وثانيـــهما أن الثعـــالبي (٣٥٠هـــ ــ ٤٢٩هــ) منتج للأجناس الثلاثة: الشـــعر والنـــثر والنقـــد. وتفـــترض الدراسة أيضاً عدداً من الفرضيات تتعلق بالنظرية الأدبية، والمنهج والمنتج، والمادة.

وبناء على التقديرات والفرضيات، تنقسم الدراسة إلى ستة فصـــول، تتســـاوق مـــع العنوان المطروح، وتشمل النص، والشخص، والمادة. يقدم الفصـــل الأول مقاربـــات ومفهومات أولية نظرية في ماهية النص والتناص قديما وحديثا، ويخصـــص الفصـــل الثاني للبحث في مصادر الإبداع والنقد عند الثعالبي، ويبحث الفصـــل الثـــالث فـــي النص النثري، وشعرية النثر، أما الفصل الرابع فيتحدث عن النص الشـــعري، وأمـــا الفصل الخامس فمخصص لدراسة النص النقدي، ومنهج الثعـــالبي النقـــدي، وختـــام الدراسة، الفصل السادس، هو قراءة تناصيـــة لنقـــد الثعـــالبي تنبنـــي علـــى كشـــف التناص، وأنواعه، ووظائفه.

أبو راس، أحمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم الاجتماع، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. م. عدنان مسلم.

الموضوع: الزواج المبكر وأثره في الحياة الزوجية. دراسة ميدانية سوسيولوجية في مدينة حماه وريفها).

Early marriage, its influence on marital life (a sociological field study covering Hama city and rural area).

تعد ظاهرة الزواج المبكر من الظواهر التي شملتها مشكلات الأسرة، وهي جزء من العادات الاجتماعية في مجتمعنا العربي عامة والسوري خاصة، وترتبط هذه الظاهرة بمرحلة اقتصادية واجتماعية سابقة تعود إلى فترة الأسرة العربية الممتدة التي تعد سمة من سمات المجتمع العربي، إلا أن آثار هذه العادات ما زالت في صميم حياتنا الاجتماعية لاعتبارات عدّة وخاصة في الريف.

غير أن ظاهرة الزواج المبكر ليست مقتصرة على الريف وحده بل تشمل المدينة أيضاً. قمت بدراسة هذه الظاهرة نظرياً وميدانياً فشمل الجانب النظري مدخلاً عاماً تجلى بتسليط الضوء على أبعاد الظاهرة من حيث معرفة أسبابها ومنعكساتها ومسوغاتها النظرية والعملية وأهدافها إضافة إلى عدد من الدراسات العربية السابقة. تلا المدخل ثلاثة فصول نظرية يعالج الفصل الأول البعد التاريخي للظاهرة والفصل الثاني الأسباب الدافعة للزواج المبكر، ويعالج الفصل الثالث طبيعة الزواج المبكر في الأوساط الريفية والمدنية، ويبين الفصل الرابع الخطوات المنهجية للدراسة الميدانية أما الفصل الخامس فقد تضمن نتائج الدراسة الميدانية التي تم إنجازها في محافظة حماه مدينة وريفاً. وفي الختام تضمن هذا البحث العلمي خلاصة عامة للنتائج الرئيسية والمقترحات والتوصيات المرتبطة بهذه النتائج.

قنوت، مها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. دة. منى الياس.

الموضوع: الصحراء في الشعر الجاهلي.

Le desert de la poesie preislamique.

اتخذت من دراسة (الصحراء في الشعر الجاهلي) موضوعاً لبحثي في رسالة الدكتوراه، ولي أمل في أن أصنع دراسة علمية تكشف عن أثر البادية في الحياة الجاهلية من خلال ما رصده الشعراء في أشعارهم، ولا سيما في التلاحم بين الصحراء والقبيلة، وأثر الصحراء في الحرب والغزو، وأ رها في ما كان للعرب من مثل أو قيم أو عادات، أو ما إلى ذلك، ضمن إطار الد ياة الاجتماعية والفكرية التي برزت في لشعر الجاهلي. بعد ذلك اتجهت إلى أثر الصحراء في موضوعات الشعر الجاهلي، ومعانيه وبنائه الفني، وما أبرزته في أخيلة الشعراء من مشاهد وصور هامة سواء منها ما كان يتصل بالطبيعة التي تحيط بالشاعر، أم بالحيوان الذي كان يراه في حله وترحاله، أو ما كان له من صلة بالمشاهد الإنسانية الصرفة كمشاهد الترحل وما تخلفه من آثار وانفعالات في نفس ذلك العربي وما كان ينشأ عن هذه الانفعالات من مشاهد وصور تتركز في قصائد الشاعر الجاهلي.

وقد توزعت الرسالة في ثلاثة أبواب في تسعة فصول: الباب الأول تحدث عن الصحراء والحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي ضمن فصول ثلاثة: الصحراء والقبيلة في الشعر الجاهلي، أثر الصحراء في الحرب والغزو، أثر الصحراء في المثل والقيم وبحث الباب الثاني في الصحراء والاتجاهات الفنية في الشعر الجاهلي فكانت فصوله: الصحراء وبناء القصيدة الجاهلية، الصحراء وموضوعات الشعر الجاهلي، الصحراء ومعاني الشعر الجاهلي، وفي الباب الثالث بحثت في مشاهد

الحمدان، سهيل، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. عدنان الأحمد و د. محمد جميل عمر.

الموضوع: كفاية التعليم الاقتصادي والتجاري (دراسة مقارنة بين خريجي كلية الاقتصاد والمعهد المتوسط التجاري من حيث التكلفة والعائد).

Sufficiency of economic and commercial education "a comparative study between faculty of economy graduates and commercial in statutes graduates in terms of cost / benefit"

من بداية ظهور علم اقتصاديات التعليم وتبلور مفهوم رأس المال البشري عام ١٩٦٠م، بدأ الأفراد والحكومات ينظرون إلى التعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص على أنه استثمار (له تكلفة وعائد) وبالتالي أصبح الطلب عليه اقتصادياً.

اشتمل البحث على قسم نظري وقسم تطبيقي ميداني: ضم القسم النظري بابين، ناقش الأول التعليم الاقتصادي والتجاري في سورية (نشأته، بنيته، واقعه ومشكلاته)، كما ناقش مفهوم الاستثمار لرأس المال البشري وقيمة التعليم الاقتصادية. وناقش الثاني الكفاية الاقتصادية للتعليم ومؤشراتها (هدر، رسوب، تسرب)، وكذلك تمويل التعليم، وتكاليفه مضافاً إليها الفرصة الضائعة، ثم عائدات التعليم وأدوات قياسها.

أما القسم التطبيقي الميداني: فقد حاول الباحث الوصول إلى أهداف البحث والإجابة عن أسئلته واختبار فرضياته عبر تتبع خريجي فوج حقيقي من كلية الاقتصاد والمعهد التجاري في كل أنحاء القطر من أجل تحليل التكلفة والعائد للتعليم العالي الاقتصادي والتجاري المتوسط، والتعرف إلى قيمة هذا التعليم الاقتصادي ودوره في التنمية على المستويين الفردي والقومي باستخدام الأدوات الاقتصادية، كمعدل استرداد التكلفة، صافي القيمة الحالية، معدل الربحية، معدل

غنام، أحمد محمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. عادل العوا.

الموضوع: الفكر الانتقادي لدى الجاحظ.

The critical method at-Al-Gahez.

تناولت الأطروحة الفكر الانتقادي لدى المفكر الفيلسوف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كبير أدباء العربية من غير منازع، وذلك في ضوء الفكر النقدي المعاصر مع الأخذ بعين النظر وبالحسبان الوضع التاريخي للجاحظ، والمعطيات العلمية والفكرية والحضارية السائدة، ولتكشف لنا بالتالي عن أصالة الجاحظ ومعاصرته المتجددة الحيوية، حتى تجعلنا نخاله من أبناء عصرنا على الرغم من عمق تجذره في روح عصره، وهكذا يكون المفكرون العباقرة، إنهم أبناء كل العصور بآن معا وهذا أحد الجوانب الهامة التي دعتنا إلى بسط تراث الجاحظ النقدي على بساط البحث لكي نحاول أن نمتح من معينه ما قد يفيدنا في واقعنا الحاضر مما نحتاج إليه من عمق فكر هذا الناقد المتميز، وموضوعيته، وحسه النقدي اللاذع الذي يدفعه للدفاع عن الحق والحقيقة مهما كلفه ذلك من ثمن، ولتحقيق هذا الغرض انقسمت الرسالة إلى ثمانية فصول تناول أولها عصر الجاحظ، انطلاقا من المسلمة القائلة بأن المفكر ابن بيئته وعصره، ثم الاعتزال الجاحظي، وبعده أسس منهجه النقدي، وبعد ذلك النقد الجمالي والنقد الأدبي والنقد التهكمي والنقد الأخلاقي والأخلاق الاجتماعية ومعاييرها.

الحاج، عبد اللطيف أحمد، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. دة. فاطمة الجيوشي.

الموضوع: تقويم مستوى التحصيل في مادة علم الأحياء في الصف الثاني الإعدادي (دراسة ميدانية في مدينة دمشق وريفها).

Evaluation of students achievement in biology second grade preparatory school in Damascus and Damascus countryside.

يهدف البحث إلى تقويم مستوى تحصيل التلاميذ في الصف الثاني الإعدادي في مادة علم الأحياء، وفق الأهداف وتصنيف بلوم للأهداف في المجال المعرفي في محافظتي دمشق وريف دمشق. طبق اختبار البحث في عام ١٩٩٧ على عينة ضمت ١٠٨٠ طالبا وطالبة تم اختيارهم بطريقة العينة الطبقية، وطبقت استبانتان لآراء الطلبة المعلمين، فرغت النتائج باستخدام الحاسب وحللت باستخدام برنامج SPSS وبرنامج EXEL و(t) ستيودنت لاختبار فرضيات العدم. وقد أظهرت النتائج انخفاض مستوى تحصيل التلاميذ في اختبار البحث. وأظهرت النتائج أيضا ارتفاع تحصيلهم في المستويات الدنيا (تذكر، فهم، تطبيق) من تصنيف بلوم وانخفاضه في المستويات العليا (تحليل، تقويم، تركيب) وبين اختبار الفروض فرقا ذا دلالة إحصائية عند مستوى ٥٪ بين متوسط تحصيل طلاب المدينة ومتوسط تحصيل طلاب الريف وكذلك بين الذكور والإناث. وبينت النتائج أن تحصيل التلاميذ في اختباراتهم المدرسية في مادة علم الأحياء أفضل من تحصيلهم في اختبار البحث، وكانت نتائج الطلاب في مادتي الفيزياء والكيمياء من خلال اختباراتهم المدرسية مقاربة لنتائجهم في اختبار البحث، وكذلك حللت نتائج استبانتي المعلمين والطلاب، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من مقترحات هامة.

خضور، نينيت إبراهيم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. مسعود بوبو.

الموضوع: خصائص العربية في خصائص ابن جني.

The specifics of Arabic in Ibn Jinni's specifics.

هي قراءة تحليلية نقدية معاصرة لكتاب "الخصائص" في ضوء الدرس اللغوي الحديث. ولا يزال كتاب الخصائص ـ لأبي الفتح عثمان ابن جني المتوفى (٣٩٢هـ) ـ يعد قمة في الدراسات العربية الحديثة قديمها وحديثها.

وقد تناولت هذه الدراسة في الباب الأول الخصائص الصوتية للحروف العربية مفردة ومركبة، وأكدت أن الدراسة الصوتية أساس كل دراسة صرفية. وأوضحت كذلك كيف يمكن توظيف الخصائص الصوتية في تفسير الكثير من الظواهر اللغوية وحل العديد من إشكالياتها.

أما الباب الثاني فقد خصص لدراسة الدلالة في مستوياتها المختلفة، فعلى المستوى الصوتي؛ أظهرت الدراسة القيمة التعبيرية للحرف التي بنى عليها أبو الفتح نظرية الاشتقاق الكبير. وعلى المستوى الصرفي أكدت التناسب الطردي بين الصيغة والمعنى. وعلى المستوى النحوي أوضحت أن كل خروج عن الرتبة في تركيب الجملة العربية إنما يجري لعلة دلالية. وقد بلغ الدرس الدلالي ذروته عند ابن جني في دراسة لدلالة سياق الحال. واهتمت الدراسة بالمجاز بالقدر الذي اهتم به ابن جني فهو عنده إطلاق لحرية التعبير، ولذا ربطه بشجاعة العربية التي هي الإبداع بلغة عصرنا، وتكمن أهمية ذلك في تنبيه أبي الفتح في زمن مبكر إلى أهمية القواعد التحويلية في بناء الكلام.

وفي الباب الثالث تناولت الدراسة القياس والعلة والحكم، فتحرَّت فيه دلالات مصطلح (الأصل) من أبسطها إلى أوسعها، كما أظهرت الدراسة أهمية نظرية الأصل والفرع وامتدادها عمقاً في مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية وأهميتها في فهم العلاقات بين البنية العميقة والبنية السطحية، وبينت وظيفة الأصل والفرع في تأصيل ابن جني لنوعين من القياس: القياس التطبيقي الاستعمالي والقياس النحوي. وجاء مبحث العلة ليعكس ارتقاء العلة النحوية على يدي أبي الفتح.

References

Abdo, D. A. (1969). On Stress and Arabic Phonology, a Generative Approch. Beirut: Khayyats.

Al-Mozainy,H. Q. (1981). "Vowel Alternations in a Bedouin Hijazi Arabic Dialect: Abstractness and Stress". Unpublished Doctoral Dissertation, University of Texas, Austin, Texas.

Birkeland, H. (1954). Stress Patterns in Arabic. H.E.K. No.3, Oslo.

Brame, M.K. (1973). "On Stress Assignment in Two Arabic Dialects." In S. Anderson and P. Kiparsky (eds.) A Festschrift for Morris Halle. Holt, Rinehart and Winston: New York.

El-Badarin, Mohammed (1992a). "Some Phonological Aspects of Bani Sakhr Dialect. Submitted."

Janssens, Gerard. (1972). "Stress in Arabic and Word Structure in Modern Arabic Dialects," Oriental Gandensia, Vol. 5.

McCarthy, J.J. (1979). "On Stress and Syllabification." Linguistic Inquiry 10, 443 - 465.

Received, 9/6/1993

Endnotes

1. For the statement of these rules and their motivation see El-Badarin 1992a.

2. The following symbols will be used in this paper:

h	voiceless pharyngeal fricative	j	voiced affricate
c	voiced pharyngeal fricative	s	voiceless alveopalatal fricative
?	glottal stop	$	syllable boundary
x	voiceless uvular fricative	#	word boundary
y	voiced uvular fricative	+	morpheme boundary
s	voiceless alveolar emphatic sibilant	C	consonant
t	voiceless alveolar emphatic stop	V	vowel
c	voiceless affricate	V:	long vowel

3. The rule that assigns stress in Bani Sakhr Arabic is stated as follows (See El-Badarin, 1992a for details):

   $V \longrightarrow [+\text{stress}] \;/\; \underline{\quad\quad} C_0 \; (\; (VC) \; VC_0^1) \; \#$

4. We assume a concomitant rightward stress shift when a stressd vowel is deleted.

5. The antepenultimate syllables of the forms in (11) will be stressed according to the sub-rule (3a),

   $V \longrightarrow [+\text{stress}] \;/\; - CoVCVC_0^1 \; \#$

G.S. Deletion	--------	--------	--------	?atluballah
H.V. Syncope	yaktbu:n	--------	--------	?atlballah
Raising	-------	ktibat	--------	-----------
Epenthesis	yakitbu:n	-------	fihimit	?atilballah
	[yakitbú:n]	[ktíbat]	[fihímit]	[?atilbállah]

As can be seen from the examples in (21), the rules of Stress Assignment, Low Vowel syncope, Glottal Stop Deletion, High Vowel Syncope, Raising, and Epenthesis should apply in this order if correct surface forms are to be derived.

5. Conclusion

This paper has examined certain phonological processes of Bani Sakhr dialect, raising and epenthesis. It has also been demonstrated that for the correct derivation of surface forms, the stress rule must apply at the underlying phonemic level.

We have shown that for the derivation of certain verbs and nouns a rule of raising should be postulated. This rule raises the low vowel /a/ to /i/ if it is in an open syllable and followed by another syllable whose vowel is also /a/. Moreover, the consonant clusters that result form suffixation or the application of vowel syncope are broken up by epenthesis. The epenthesis rule inserts the high vowel /i/ to break up these impermissible clusters so that they conform to the syllable structure of this dialect.

Furthermore, it has been demonstrated that the ordering of the phonological rules of Bani sakhr Arabic is very crucial in the derivation process. If a certain rule applies before some other rule, unacceptable forms will be generated. Therefore, a proper ordering of these rules has been established.

as well as others, Raising must be ordered after Low Vowel Syncope and High Vowel Syncope as in (16), (18), and(19) above.

Finally, let us examine the relation of the Epenthesis rule to other rules. To see what the order must be, consider the derivations in (20) below:

(20)	/yaktubu:n/	/katabat/	/fihimt/	/?atlub?allah/
Strees	yaktubú:n	kátabat	/fihímt/	/?a̱tlub?állah
L.V. Syncope	-----------	ktabat	--------	------------
G.S. Deletion	----------	--------	--------	?a̱tluballah
Epenthesis	----------	---------	fihimit	-----------
H.V. Syncope	yaktbu:n	---------	fihmit	?a̱tlballah
Raising	--------	ktibat	--------	------------
	*[yaktbú:n]	[ktíbat]	*[fihmít]	[?a̱tlbállah]

As can be seen from the forms above, the High Vowel Syncope rule deletes the epenthetic vowel / i / in fihimit yielding the unacceptable form *[fihmit]. Moreover, it deletes the high vowel /u/ in yaktubu:n giving the incorrect surface form *[yaktbu:n] instead of the correct form [yakitbu:n]- Similarly the form ?atlballah is unacceptable because epenthesis is ordered before H.V. Syncope, and thus the three consonant cluster has not been broken up. These incorrect forms would have been correctly generated had Epenthesis applied after High Vowel Syncope. Therefore, the epenthesis rule should apply at the end of the derivation as illustrated in (21) below:

(21)	/yaktubú:n/	/katabat/	/fihimt/	/?a̱tlub?allah/
Stress	yaktubú:n	kátabat	fihímt	?a̱tlub?állah
L.V. Syncope	-------	ktabat	-------	-----------

Raising	ktíbat	-------	-------	-------
	[ktíbat]	[kútbak]	[?álasil]	[?álabu]

The ordering of Glottal Stop Deletion with respect to High Vowel Syncope must be determined. The application of Glottal Stop Deletion feeds the rule of High Vowel Syncope, that is, it yields the appropriate structural description for High Vowel Syncope as in (19):

(19)	/katabat/	/kutubak/	/?al?abu/	/?atlub?allah/
Stress	kátabat	kútubak	?ál?abu	?atlub?állah
L.V. Syncope	ktabat	---------	-------	-----------
G.S. Deletion	---------	---------	?alabu	?atluballah
H.V. syncope	-------	kutbak	--------	?atlballah
Raising	ktibat	--------	--------	----------
Epenthesis	--------	--------	--------	?atilballah
	[ktíbat]	[kútbak]	[?álabu]	[?atilbállah]

It is clear from the derivation in (19) that if High Vowel Syncope is ordered before Glottal Stop Deletion, the high vowel /u/ will not elide since it is in a closed syllable. Once Glottal Stop Deletion applies, the high vowel /u/ becomes in an open syllable, and hence it deletes giving rise to the application of the Epenthesis rule. The Epenthesis rule should then apply to break up the three consonant cluster that resulted from the deletion of the high vowel /u/ However, Glottal Stop Deletion and Raising are not ordered with respect to each other. The output of Glottal Stop Deletion will not be affected by Raising since its structural description will not be met because of the phonetic environment, i.e., /a/ is followed by /l/ in which case Raising will not apply. Yet, to derive forms other than ?álabu and ?atilbállah such as ?ínkitab, skítat, kitábna, Ktíbat

L.V. Syncope	ktabat	skatat	-------	ktabak
H.V. Syncope	--------	-------	-------	-------
Raising	ktibat	skitat	kitabna	ktibak
	[ktíbat]	[skítat]	[kitábna]	[ktíbak]

As for the rule of Glottal Stop Deletion, it should be ordered alter Low Vowel Syncope because once the glottal stop elides, the structural description of Low Vowel Syncope is met, and the vowel /a/ of the definite article /?al/ must delete yielding unacceptable forms as in (17) below:

(17)	/katabat/	/kutubak/	/?al?asil/	/?al?abu/
Stress	kátabat	kútubak	?ál?as̱il	?ál?abu
G.S. Deletion	---------	---------	?alas̱il	?alabu
L.V. Syncope	ktabat	---------	?las̱il	?labu
H.V. Syncope	--------	kutbak	-------	-------
Raising	ktibat	-------	-------	-------
	[ktíbat]	[kútbak]	*[?lás̱il]	*[?lábu]

As can be seen, the forms ?lasil and *?labu are unacceptable. Their unacceptability is due to the deletion of the vowel /a/ in the first syllable in these forms Therefore, to generate the correct surface representation, Glottal Stop Deletion should apply after Low Vowel Syncope as follows:

(18)	/katabat/	/kutubak/	/?al?asil/	/?al?abu/
Stress	kátabat	kútubak	?ál?as̱il	?ál?abu
L.V. Syncope	ktabat	---------	--------	---------
G.S. Deletion	-------	-------	?alas̱il	?alabu
H.V. Syncope	-------	kutbak	-------	------

It is evident that the derived forms in (13) are unacceptable because of the deletion of the high vowel /i/. Therefore, in order to generate the correct surface representations, High Vowel Syncope must apply before Raising. The derivations in (14) illustrate the correct order of the rules.

(14)	/?inkasar/	/?infatah/	/?inkatab/
Stress	?ínkasar	?ínfatah̲	?ínkatab
H.V. Syncope	---------	--------	----------
Raising	?inkisar	?infitah̲	?inkitab
	[?ínkisar]	[?ínfitah]	[?ínkitab]

Moreover, the rules of Low Vowel Syncope , High Vowel Syncope, and Raising should be ordered too. Consider the sample derivations in (15) below:

(15)	/katabat/	/sakatat/	/katabak/
Stress	kátabat	sákatat	kátabak
Raising	kitibat	sikitat	kitibak
L.V. Syncope	--------	--------	--------
H.V. Syncope	kitbat	siktat	kitbak
	*[kíbat]	*[síktat]	*[kítbak]

The derived forms in (15) above are unacceptable. Therefore, we should change the order in which these rules may apply. If Raising applies last, the correct forms will obtain as in the derivations in(16).

(16)	/katabat/	/sakatat/	/katabna/	/katabak/
Stress	kátabat	sákatat	katábna	kátabak

Stress	?ínksarat	?íns?alat	?ínftah̲at
	*[?ínksarat]	*[?íns?alat]	*[?ínftah̲at]

The derived forms in (11) are unacceptable because stress should fall on the penultimate syllable. If, on the other hand, Stress Assignment applies before Low Vowel Syncope, the desired surface forms will be derived. Consider the derivations in (12).

(12)	/?inkasarat/	/?insa?alat/	/?infatahat/
Stress	?inkásarat	?insá?alat	?infátah̲at
L.V. Syncope	?inksarat	?ins?alat	?inftah̲at
	[?inksárat]	[?ins?álat]	[?infatáh̲at]

The examples in (12) demonstrate that stress should apply at the underlying level in order to derive correct surface forms. If stress applies at the surface level as in (11), the antepenultimate syllables will be stressed[4] giving incorrect stress patterns as in *?ínksarat, *?íns?alat, *?ínftahat.

High Vowel Syncope and Low Vowel Syncope are not ordered with respect to each other because they delete two different vowels. Each rule can be applied before the other and yet the correct derivation will be maintained.

The ordering of High Vowel Syncope and Raising is also crucial as the examples in (13) illustrate:

(13)	/?inkasar/	/?infatah̲/	/?inkatab/
Stress	?ínkasar	?ínfatah̲	?inkatab
Raising	?inkisar	?infitah̲	?inkitab
H.V. Syncope	?inksar	?inftah̲	?inktab
	*[?ínksar]	*[?ínftah̲]	*[?ínktab]

To account for the appearance of the epenthetic vowel /i/ in the forms in (8) and (9) above, the following epenthesis rule can be utilized:

(10)
$$\emptyset \longrightarrow \begin{bmatrix} V \\ +\text{high} \\ -\text{back} \end{bmatrix} \; / \; C __ C \begin{Bmatrix} C \\ \# \end{Bmatrix}$$

The examples in (9 b, c, d, e, f, g, and h) show that when two or more words are produced together, sequences of four consonant clusters arise because in each the preceding word ends with two consonants and the following word begins with two consonants. The Epenthesis rule, thus, applies to break up these impermissible clusters by inserting an epenthetic vowel in the middle of these clusters, two consonants to the left of the epenthetic vowel and two to the right as in ?alharbitkallif, and ?al^{c}irsimtawwil. With regard to the example in (9 a), a sequence of three consonant cluster arises after the application of the Glottal Stop Deletion rule. Therefore, the Epenthesis rule applies by inserting the epenthetic vowel /i/ between the first and second consonant of the cluster yielding the correct surface form [?atilballah].

4. Rule Ordering

An important issue that needs to be addressed here is the interaction between the rules discussed above and those referred to here, namely stress, syncope, and glottal stop deletion. We have to determine the order in which the rules of stress, syncope, glottal stop deletion, raising, and epenthesis may apply. It will be shown that rule ordering is very crucial for the derivation of correct surface forms.

If Low Vowel Syncope applies before Stress Assignment, the following derivations will obtain:

(11)	/?inkasarat/	/?insa?alat/	/?infatahat/
L.V Syncope	?inksarat	?ins?alat	?inftahat

	[?addarbitwaddi:klaham]
	'The road will take you to them'
d.	/?al^{c}irs# #mtawwil/
Epenthesis	?al^{c}irsimtawwil
	[?al^{c}irsimtawwil]
	'The wedding will take a long time'
e.	/?alharb# #tkallif/
Epenthesis	?alharbitkallif
	[?alharbitkallif]
	'(The) war is costly'
f.	/makatabt# #dru:sak/
Epenthesis	makatabtidru sak
Raising	makitabtidru:sak
	[makitabtidru:sak]
	'You didn't write your lessons'
g.	/haraθt# #bla:diy/
Epenthesis	haraθtibla:diy
	[haraθtibla:diy]
	'I ploughed my land'
h.	/ðibaht # # rja:luh/
Epenthesis	ðibahtirja:luh
	[ðibahtirja:luh]
	'I killed his men'

As can be seen, the application of High Vowel Syncope results in the creation of three consonant clusters, a sequence that is not permissible in this dialect. Therefore, an epenthetic vowel is inserted between the first and second consonant as in yakitbu.n and yatriku:n or the second and third consonant of the cluster as in kutbikam and zulmihin, depending on which vowel in the stem is deleted. If the deleted vowel is the first vowel in the stem, then the epenthetic vowel is inserted between the first and second consonant of the cluster. If, on the other hand the deleted vowel is the second vowel in the stem, the epenthetic vowel is inserted between the second and third consonant of the cluster.

Not only does epenthesis apply within a word, it also applies across word boundary to break up a sequence of four consonants as in (9):

(9) a.	/?atlub# #?allah/
Glottal Stop Deletion	?atluballah
High Vowel Syncope	?atlballah
Epenthesis	?atilballah
	[?atilballah]
	'I ask God'
b.	/garayt# #?addars# #bsa c/
Glottal Stop Deletion	garaytaddarsbsa.c
Epenthesis	garaytaddarsibsa:c
	[garaytaddarsibsa:c]
	'I read the lesson quickly'
C.	/?addarb# #twaddi:k# #laham/
Epenthesis	?addarbitwaddi:klaham

Condition: a > (a ∧ b)

The raising rule as stated above will apply to forms like katab, šakat, sakar, galam, baladuh , kasar, šama^c, and rasan. However, it will not apply to forms like šjara, xatab, sahabat, daxal, balay, habas, ga^cad, and tarak as in the following sample derivation.

(7)	/sakatat/	/galamiy/	/sahabat/	/daxal/	/baladuh/
Stress	sákatat	gálamiy	sáhabat	dáxal	báladuh
L.V. Syncope	skatat	glamiy	shabat	_____	'bladuh
Raising	skitat	glimiy	_____	_____	bliduh
	[skítat]	[glímiy]	[shábat]	[dáxal]	[blíduh]

3. Epenthesis

Epenthesis is a phonological process by which an epenthetic vowel is inserted between consonant clusters to break up these clusters so that they conform to the syllable structure of the language. In Bani sakar Arabic, vowel epenthesis applies within a word to break up two or three consonant clusters that may arise after the application of some phonological rules as in the forms below (See El-Badarin, 1992a for details of High Vowel Syncope and Glottal Stop Deletion):

(8)	/fihimt/	/kutubkam/	/zulumhin/	/yaktubu:n/	/yatrıku n/
Stress	fihímt	kútubkam	zúlumhin	yaktubú n	yatrikú n
H-V- Syncope	------	kutbkam	zulmhin	yaktbu:n	yatrku n
Epenthesis	fihimit	kutbikam	zulmihin	yakitbu:n	yatirku:n
	[fihímit]	[kútbikam]	[zúlmihin]	[yakitbú:n]	[yatirkú:n]

sahab	'he pulled'	sa^{c}ad	'luck'
laham	'meat'	fanak	'he ran away'
xatab	'he made a speech'	tanak	'tin'
daxal	'he entered'	sarag	'he stole'
saxal	'a young goat'	tarak	'he left'
yadar	'he betrayed'	karam	'genrousity'
bayam	'he talked,mumbled'	salab	'he plundered'
nayam	'tune'	balad	'town'
^{c}arab	'Arab'	hajal	'partridge'
marað	'sickness'	sahan	'plate'
barak	'sat down'	habat	'descend'
darak	'danger'	lahab	'flame'

If we examine these forms carefully, we find that the vowel /a/ is not subject to raising because of its phonetic environment, i.e , the types of consonants either preceding or following it. If the preceding or following consonant is /h/, /h/, /x/,/c/, or /y/, as in habas, sahan, xatab, daxal, ga^{c}ad, lahab, and yadar, /a/ is not raised to /i/. Moreover, if the following consonant is /n/, /r/, or /l/, as in fanak, tarak, salab, balad, and barak, raising is also blocked (see AL-Mozainy (1981) for similar proposals). In order not to apply in these contexts, the raising rule has to be amended as follows:

(6) Raising

$$\underset{[+\text{low}]}{V} \longrightarrow \begin{bmatrix}+\text{high}\\ -\text{back}\end{bmatrix} \Big/ \underset{\langle -\text{larn}\rangle\, c}{C} \;\rule{2em}{0.4pt}\; \$ \quad \underset{\substack{[-\text{larn}] \\ \begin{pmatrix}-\text{son}\\ -\text{cor}\end{pmatrix} b}}{C} \quad \underset{\langle +\text{low}\rangle a}{V}$$

	/katab/	/šakar/	/sakat/	/šamaᶜ/	/lajam/	/rasan/	/šajar/
Stress	kátab	šákar	sákat	šámaᶜ	lájam	rásan	šájar
Raising	kitab	šikar	sikat	šimaᶜ	lijam	rısan	šıjar
	[kítab]	[šíkar]	[síkat]	[šímaᶜ]	[líjam]	[rísan]	[šíjar]

It should be noted that for the Raising rule to apply, /a/ must be in an open syllable. This stipulation is required to prevent the raising of /a/ in cases where it occurs in closed syllables as in šafra 'blade', šamᶜa 'candle', bakraj 'kettle', ðabhak 'your killing', bahdal 'he insulted', basma 'a smile'.

The phonetic representation of some of the forms in (1) can now be generated from their phonological representation through the application of Stress[3], Low Vowel Syncope, and Raising:

(4)	/katabti/	/katabna/	/katabaw/	/katabat/	/kataban/
Strees	Katábti	katábna	kátabaw	kátabat	kátaban
L.V. Syncope	_____	_____	ktabaw	ktabat	ktaban
Raising	kitabti	kitaban	ktibaw	ktibat	ktiban
	[Kitábti]	[kitábna]	[ktíbaw][4]	[ktíbat]	[ktíban]

However, there are surface forms to which Raising has not obviously applied in spite of the fact that they meet the structural description of the rule.Consider the following examples

(5)

habas	'he imprisoned'	ᶜasar	'he squeezed'
hakam	'he ruled'	gaᶜad	'he sat down'

However, if we look deeper into the problem, we find that in this dialect the majority of verbs in the perfective fall into two classes: CiCiC and CaCaC. Stems of the form CiCiC include verbs like fihim, simiʕ, širib, firiḥ, tilif. The second class includes stems of the form CaCaC such as, salak, Saḥab, marag, ḥalaf, gaʕad, waʕad, talaʕ, sanaʕ, hakam, tarak, sarag, farak, manaʕ, xataf, malak, sanaʕ and raḥal. I want to argue that verbs like kitab, šikat, sitar, and šikar, are underlyingly katab, sakat, satar, and šakar just like tarak, malak, xaṭaf, saḥab etc. In fact, these are the forms in Classical Arabic as well as in many other Arabic dialects including those bedouin dialects in Saudi Arabia. Furthermore, if the underlying form is CiCaC High Vowel Syncope will apply giving incorrect surface forms like *ktab and *ktbaw. Therefore, I will consider surface CiCaC verbs as CaCaC in their underlying form For the same arguments just mentioned, this analysis can also be extended to nouns with surface CiCaC as CaCaC in their underlying representation. In addition to the argument that these nouns are CaCa in Classical Arabic and other Arabic dialects, there are so many nouns with surface CaCaC such as, ʕarab, xaṭar, saḥan, yaraḍ, karam, salag, ḥaial, laɟam, ʕasam, laḥam taʕam, maraḍ, and ḥaṭab. Thus, following Al-Mozainy (1981) in his study of Bedouin Hijazi Arabic, I will propose a Raising rule which has the effect of raising /a/ to /i/ in an open syllable if it is followed by another syllable whose vowel is also /a/.

(2) Raising

$$\underset{[+\text{low}]}{V} \longrightarrow \begin{bmatrix} +\text{high} \\ -\text{back} \end{bmatrix} \; / \; \underline{\qquad} \text{-\$C} \quad \underset{[+\text{low}]}{V}$$

The Raising rule will convert the following forms into their desired phonetic representations:

(3)

(1)

kitab	'he wrote'	šikar	'he thanked'
kitabit	'I/you (m.) wrote'	šikarit	'I/you (m) thanked'
kitabna	'we wrote'	šikarna	'we thanked'
kitabtu	'you (m.pl.) wrote'	šikartu	'you m,pl) thanked'
kitabtin	'you (f.pl) wrote'	šikartin	'you (f.pl) thanked'
kitabti	'you (f.s) wrote'	šikarti	'you (f.s.) thanked'
ktibat	'she wrote'	škarat	'she thanked'
ktiban	'they (f.) wrote'	škaran	'they (f.) thanked'
ktibaw	'they (m.) wrote'	škaraw	'they (m.) thanked'
ktibak	'he wrote you (m.s.)'	škarak	'he thanked you (m s)'
kitbič	'he wrote you (f.s.)'	škirič	'he thanked you (f s)'

In the forms above, the vowel /i/ in initial syllable appears in certain forms and not in others. If we take the stems of the verbs in the paradigms above to be Kitab and šikar, then the rule of High Vowel Syncope must be applied to the forms with /i/ in initial syllable (See El-Badarin, 1992a). However, once this rule applies it will yield the incorrect surface forms *ktab, *ktabit, katabti *ktabtin, *katabtu, *ktabaw, *ktabat, and *škarit, *škartu, *škartin, *škarti, and *škrič. To derive the correct surface forms, an alternative account may suggest itself to the effect that a special rule may be introduced to account for the elision of /i/ in forms like ktibat, ktiban, ktibaw, ktibič, and škarat, škaraw, škaran, škarak, škirič. This account seems very costly since it will be limited to a small set of verbs in the perfective in addition to the fact that we have already proposed a general high vowel syncope rule (El-Badarin, 1992a).

1. Introduction

Bani Ṣakhr dialect is a bedouin Jordanian dialect spoken by Badu Al-Wasat, bedouins of the center. This dialect is similar to the dialects spoken in the northern section of Saudi Arabia (Janssens, 1972; Birkeland, 1954). The phonology of this dialect has not been investigated and studied thoroughly and independently except by El-Badarin (1992a) who presents a complete account of the issues of stress patterns, vowel syncope, and glottal stop deletion. In that study, El-Badarin states that stress in Bani Sakhr dialect is similar to stress assignment in other Arabic dialects (Abdo, 1969; Mccarthy, 1979; Brame, 1973; Janssens, 1972) He also argues that in Bani Sakhr Arabic, there are two syncope rules The first is the high vowel syncope rule which deletes /i/ and /u/ in open syllables. The second is the low vowel syncope rule which deletes the low vowel /a/ in an open syllable when followed by another open syllable whose vowel is also /a/ Furthermore, he postulates a glottal stop deletion rule which deletes /ʔ/ when it is preceded by a consonant, whether that consonant is the /l/ of the definite article /ʔal/ or any other consonant of a preceding word[1] In this paper, we will discuss two phonological processes, namely vowel raising and epenthesis that are indispensable for the production of surface phonetic forms Moreover, we will demonstrate that for the generation of correct phonetic representations, these rules have to be ordered with respect to each other.

2. Raising

Raising is a process whereby the low vowel /a/ is raised to the high vowel /i/ in a certain context in Bani Ṣakhr Arabic. To begin with, let us consider the examples below:[2]

Raising and Epenthesis in Bani Siakhr Dialect

Dr. Mohammed El-Badarin
English Department
Yarmouk University

Abstract

This research paper examines two phonological rules in Bani Sakhr dialect, raising and epenthesis. It also discusses rule ordering, i.e., the interaction of the application of these two rules with each other and with respect to other rules, namely stress assignment, vowel syncope, and glottal stop deletion (EL-Badarin 1992 a). The raising rule, which applies only in the derivation of certain nouns and verbs, raises the low vowel /a/ to the high vowel /i/ in certain contexts. The epenthesis rule, which applies within a word as well as across word boundary, regardless of morphological, syntactic, and semantic categories, inserts an epenthetic vowel to break up certain impermissible consonant clusters.

LYONS, John, *Linguistique générale,* Paris, Larousse, 1970

MALMBERG, Bertil, « Contenu et référent. Synonymie », in *Lignes et symboles,* Paris, Picard, 1977.

MOUNIN, Georges, *Dictionnaire de la linguistique,* PUF, 1974

ORECCHIONI, Catherine, *De la sémantique lexicale à la sémantique de l'énonciation,* Thèse, Tome 1, 1979.

POTTIER, Bernard, *Présentation de la linguistique, fondement d'une théorie,* Paris, Klincksieck, 1967.

REY, Alain, « préalable à une définition de la terminologie »

REY-DEBOVE, Josette, « Le domaine du dictionnaire », in *Langages,* n° 19.

WÜSTER, Eugen, « La formation en terminologie et en lexicographie terminologique », *Infoterm.*

Received, 11/6/1998

GUILBERT, Louis, « Séance plénière: Questions et Discussion », in *Actes du Colloque international de terminologie:* « Essai de définition de la terminologie », Québec, 1976

GUILBERT, Louis, *La formation du vocabulaire de l'aviation*, Paris, Larousse, 1965.

HAKKI, M., *Dictionnaire des Termes Juridiques et Commerciaux*, Beyrouth, Librairie du Liban, 1972.

HENNI, Mustafa, *Dictionnaire des Termes Economiques et Commerciaux*, Beyrouth, 1981.

LE GUERN, Michel, « Discours », in *Actes du colloque Traitement automatique des langues naturelles et systèmes documentaires*, Clermont-Ferrand, 1984.

LE GUERN, Michel, « Les descriptions d'un système documentaire. Essai de définition », in *Actes du Colloque Traitement automatique des langues naturelles et systèmes documentaires*, Clermont Ferrand, 1984, pp. 163-169.

LEBRUN, Y., in *Premier colloque international de la linguistique appliquée*, cité d'après Catherine Orecchioni (voir Orecchioni).

Lexis, « Préface », Paris, Larousse, 1977.

Livret méthodologique du D. F. C..

Bibliographie

ABDEL-NOUR, J. et IDRISS, S., *Al Manhal,* Beyrouth, 1977

BESSE, H., « Problème de sens dans l'enseignement d'une langue étrangère », in *Langue française,* n° 8.

CORBEIL, Jean-Claude, « Problématique de la synonymie en vocabulaire spécialisé », in *La Banque des mots,* n° 7, Paris, P. U F., pp. 53-58.

DUBOIS, Claude, « Séance plénière: Questions et Discussion », in *Actes du Colloque international de terminologie:* « Essai de définition de la trminologie », Québec, 1976.

DUBOIS, Jean, *Dictionnaire de linguistique,* Larousse, Paris, 1973

DUBUC, Robert, *Manuel pratique de terminologie.*

FELBER, Helmut, « Quelques questions fondamentales au sujet de la terminologie », in *Infoterm,* 4-81 fr, pp. 1-50.

GUILBERT, Louis, « La spécificité du terme scientifique et technique », in *langue française,* N° 17, 1973.

GUILBERT, Louis, « Terminologie et linguistique », in *Actes du colloque international de terminologie:* « Essai de définition de la terminologie », Québec, 1976.

serait de toute manière illusoire Il s'agit seulement, dans des domaines restraints de la science et de la technique, de s'accorder sur l'usage et la dévolution des termes employés, ce qui rendrait la tâche du traducteur de textes de spécialités à la fois plus facile et plus efficaces et précise. C'est là une entreprise relativement modeste, et peut être réalisable.

Encore n'y-a-t-il pas dans ce domaine aucune instance susceptible d'imposer les résultats d'un tel travail, si un jour il se trouvait effectué. Pour être suivi d'effet, ce travail ne pourrait s'appuyer que sur la commune conviction des utilisateurs.

En matière linguistique, on ne légifère pas ex. cathedra On peut, peut-être pourtant travailler à rendre plus ordonné et plus efficace l'outil commun.

problèmes qui préoccupent beaucoup les terminologues mais pas du tout les lexicographes »[74]

5- Conclusion

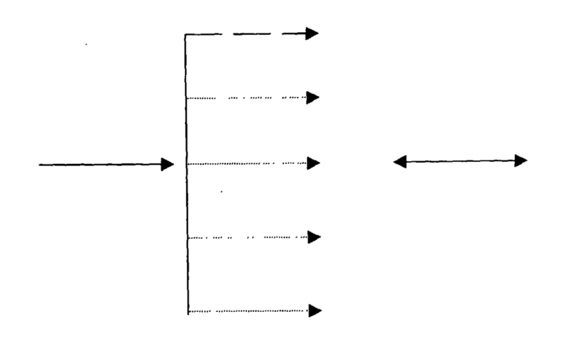
Nous avons dans ces pages fait une constatation, et émis un souhait. La constatation est que la prolifération des synonymes, souvent anarchique, entraîne nombre de difficultés, et complique singulièrement le travail des traducteurs dans le domaine scientifique et technique, ou, en d'autres termes, le traducteur de textes de spécialistés. Le souhait est qu'une commission de spécialistes s'attèle à cette difficulté et n'attarde à choisir, parmi les nombreux synonymes existants, le terme le plus approprié à tel ou tel référent précis.

Toutefois, nous nous rendons bien compte que l'idée de parvenir un jour à un seul terme dénotant un unique référent, même si cela simpliferait la tâche du traducteur de textes de spécialités, relève de l'idéal. Et ceci pour une raison trés simple: ce ne sont pas les linguistes qui déterminent l'évolution d'une langue, mais les interlocuteurs qui la parlent.

Les capacités d'inventer des locuteurs peuvent plaire ou ne pas plaire aux lexicographes-terminographes, non seulement elles existent, mais encore, elles manifestent la vitalité même de la langue Le linguiste a seulement un rôle d'analyse, et encore ne le fait-il qu'après coup.

Aussi bien notre ambition est-elle plus modeste Il ne s'agit pas de vouloir peser en général sur l'évolution des terminologies ce

[74] Claude Dubois, « Séance plénière: Questions et Discussion », in Actes du Colloque international de terminologie: « Essai de définition de la trminologie », pp. 99-100.



Terme en période de formation.	Pléthore synonymique: phase intermédiaire provisoire	Unicité. relation biunivoque entre le terme et le référent basée sur l'identité référentielle.

De toute façon, la question de l'occurrence ainsi que celle du contexte capable de neutraliser les oppositions entre deux termes[73], et la question de la synonymie, sont toutes deux nettement différentes dans un dictionnaire de langue et dans un dictionnaire spécialisé. Ainsi: « Les soucis juridiques, [...], la préoccupation que chaque partie d'un objet soit nommée, qu'il n'y ait pas de synonymes pour un même niveau de langue, ce sont là des

[73] Dictionnaire de linguistique, p. 477.

4-3 Le cas de la synonymie témoigne de la richesse de la langue, et tout le monde s'accorde sur ce point En fait, les lexicographes, dans les dictionnaires de langue, trouvent dans la synonymie un procédé particulièrement économique. « La mention des synonymes devient vraiment utile quand le cadre particulier de leur emploi est indiqué, quand ils peuvent aussitôt être exploités dans les énoncés. »[71].

Ainsi, quand les dictionnaires de langue considèrent les synonymes comme relevant de l'axe paradigmatique, ils précisent plus clairement le sens et la portée de ces synonymes en fonction du contexte dans lequel tel ou tel synonyme peut apparaître ou non « Tel synonyme sera substituable au mot défini dans un certain contexte et ne le sera pas dans un autre.»[72]

Il n'en va pas de même pour les sciences et les techniques où la synonymie pourrait nuire à la diffusion des informations et entraîner beaucoup de confusion. C'est pourquoi il est souhaitable que l'existence d'une telle pléthore synonymique, comme nous l'avons déjà dit, ne soit pas permanente. Il faut espérer que la situation actuelle est provisoire. Il est sans doute inévitable que la période de formation d'un terme aboutisse à une pléthore synonymique, mais il faudrait qu'elle soit suivie d'une étape de définition unitaire et de choix normalisant des termes Il faudrait aboutir, spécialement dans les domaines des sciences et des techniques, à une définition de la synonymie qui serait basée sur l'identité référentielle, et rien que l'identité référentielle· un seul objet, un seul terme.

Nous pouvons schématiser ce que nous venons de constater de la façon suivante:

---

[71] Livret méthodologique du D. F. C , p. 06.

[72] Lexis, « Préface », p. XII

et à la communication technique et scientifique, laissant les domaines considérés en proie aux fantaisies industrielles et commerciales des artisans et industriels cherchant à se vendre mieux sur le marché. Cependant, l'idéal comme nous l'avons souligné à plusieurs reprises, serait d'exclure la synonymie du domaine scientifique et technique et de pratiquer une politique de normalisation constante, car une telle synonymie semble étrangère aux principes des activités terminologiques Le cas de l'exemple cité ci-dessus en parlant de la synonymie concurrentielle concernant le compartiment du réfrigérateur où l'on range les œufs, avec ses quatouze synonymes, est frappant. Nous sommes actuellement dans une situation terminologique complexe du fait de la multiplicité des termes ayant le même référent. Pour des raisons de commodité de communication, il faut espérer qu'il s'agit là d'une étape provisoire Il faut maintenant tendre vers une étape normalisante qui devrait aboutir au choix d'un seul terme pour un seul référent Ceci est particulièrement urgent et nécessaire pour faciliter la tâche du traducteur. Louis Guilbert, dans sa thèse, *La formation du vocabulaire de l'aviation*, fait allusion à cet état provisoire de synonymie qui, à notre avis, marque l'état d'hésitation ou d'incertitude dans lequel se trouvent les locuteurs de la communauté linguistique, ceux-ci désireraient un large consensus sur le choix des termes à adopter, et souhaiteraient l'intervention d'une commission terminologique compétente en la matière: « Dans la période de la formation d'un vocabulaire, les locuteurs ont recours à des procédés divers pour exprimer leur pensée et traduire leur expérience: métaphores, tours périphrastiques, synonymes. Le lexique d'une technique en voie de formation se ramène à une série d'emplois plutôt qu'à des unités lexicales dont la forme grammaticale et le contenu sémantique sont stables »[70].

---

[70] Louis Guilbert, La formation du vocabulaire de l'aviation, p. 27.

dictionnaires français-arabe trois synonymes français qui ont engendré par le biais de la traduction trois synonymes en arabe.

1- Emission fiduciaire[67]: ١ـ إصدار أوراق النقد

2- Emission de papier monnaie[68]: ٢ـ إصدار أوراق مالية

3- Emission de monnaie[69]: ٣ـ إصدار عملة (ضرب ـ صك)

4- Constatations

4-1 Après cet examen des différents types de synonymie, nous pouvons constater que celle-ci peut présenter dans un domaine technique soit un aspect diachronique comme c'est le cas de la synonymie temporelle, soit un aspect socio-linguistique comme c'est le cas de la synonymie géographique, soit un aspect «fantaisiste», comme c'est le cas de la synonymie concurrentielle ou encore un aspect discursif, comme c'est le cas de la synonymie professionnelle

4-2 Nous estimons que le cas de la pléthore synonymique constatée dans le lexique technique et scientifique est un cas stationnaire et inévitable dans la mesure où l'opération de la production d'un même objet est envisagée parfois, en même temps, par plusieurs producteurs, ceux-ci se trouvent obligés de nommer sans délai ce qu'ils fabriquent, souvent sans compétence en la matière, ce qui explique les nominations hasardeuses plus ou moins heureuses. La pléthore synonymique nuit à l'activité terminologique

---

[67] Mustafa Henni, Dictionnaire des Termes Economiques et Commerciaux, p 108.

[68] J. Abdel-Nour, S. Idriss, Al Manhal, p. 376.

[69] M. Hakki, Dictionnaire des Termes Juridiques et Commerciaux, p 93

sérielle » a facilement remplacé l'expression « musique dodécaphonique », car elle était d'un emploi plus aisé et d'un sens plus obvie.

3-2-6 Synonymes de fréquence

Dubuc, dans son *Manuel pratique de terminologie,* propose[64] différents critères de sélection quand il s'agit des termes synonymes de concurrence que nous venons d'examiner. Ces critères sont: la composition morphologique, la possibilité de dérivation, la maniabilité et la fréquence. Il souligne l'importance du dernier critère et la justifie par le fait que le langage repose fondamentalement sur une convention. Il juge, en effet, que « Plus le nombre d'usagers qui souscrivent à une convention est grand, plus l'indice de vitalité d'un terme qui en est l'objet est élevé.»[65].

Ce serait donc le terme le plus fréquent dans une série de synonymes qui devrait être adopté.

3-2-7 Synonymes par contamination

Au cours de la préparation de nos fiches terminologiques en exerçant le métier de traducteur de textes de spécialistés, nous avons constaté une certaine contamination terminologique par le biais de la traduction. Par exemple, le terme « Emission de billets »[66], dans le domaine: « Monnaie », « Multiplication de crédit », terme relevé dans le *lexique d'économie,* a dans trois

[64] Robert Dubuc, Manuel pratique de terminologie, p. 61.

[65] Id. Ibid. p. 61.

[66] Lexique d'économie, p. 170.

Si les synonymes professionnels sont justifiés du fait du « cloisonnement traditionnel des techniques et des sciences », il n'en va pas de même pour les synonymes de concurrence où la fantaisie des fabricants est extrême. Nous lisons ceci à propos des fabricants de réfrigérateurs: « les constructeurs d'appareils de même type mettent en circulation des pléthores de synonymes pour désigner les objets les plus simples C'est ainsi qu'on a relevé quatorze synonymes du mot œufrier, compartiment du réfrigérateur où l'on range les œufs. Tout y passe: casier, bac, panier, tiroir, plateau, alvéoles, balconnet, moule, tablette, galerie, niche, etc »[62]

Cette pléthore synonymique qui relève de la fantaisie des fabricants qui veulent être distingués les uns des autres n'est ni pertinente ni justifiée, mais elle est plutôt source de confusion et d'ambiguïté, et rend la tâche du terminologue-traducteur encore plus ardue. C'est dans ce domaine que l'intervention de la solution normalisante est souhaitable et même doit être exigée La règle serait d'identifier les objets, et si on parle du même objet, il faudrait utiliser un seul terme conformément à la définition de la synonymie proposée par Michel Le Guern. Répétons-la « Deux [termes] sont synonymes s'ils ont même référence »[63]. Evidement, si on laisse en usage tous les termes concurrents, certains seront plus utilisés que d'autres, et effectivement les chances de survie des termes en concurrence sont davantage lésés, à leur aspect linguistique, comme par exemple leur facilité de prononciation, leur transparence sémantique, leur longueur ou leur brièveté, et à leurs composants qu'à la terminologie. Ainsi, l'expression « musique

[62] Robert Dubuc, Manuel pratique de terminologie, p. 61, l'exemple est cité d'après Jean-Claude Corbeil, op. cit., pp. 53-58.

[63] Michel Le Guern, « Les descripteurs d'un système documentaire. Essai de définition », in Actes du Colloque Traitement automatique des langues naturelles et systèmes documentaires, p. 167.

Il s'agit de synonymes liés à l'exercice de professions différentes. Ainsi, nous dit Dubuc, le néologue, l'ingénieur minier et le chimiste, autour d'un même puits de pétrole, n'utilisent pas la même « appellation » pour tel procédé d'extraction, telle technique de craquage...[58]

Ainsi, les maçons appellent-ils « acide muriatique » ce que les chimistes appellent « acide chlorhydrique »[59] Selon Dubuc, ce phénomène est dû à ce qu'il appelle « cloisonnement traditionnel des techniques et des sciences » en soulignant que la « multidisciplinarité » est un phénomène relativement nouveau[60] Ce « parallélisme » entre certaines terminologies est justifié par Louis Guilbert qui, en effet, constate que: « chaque chose doit recevoir son nom et correspondre à une pratique Dans un vocabulaire technique on peut faire le tour des objets, des processus, des dénominations qui entrent dans une fabrication Cela n'exclut pas évidement qu'il puisse y avoir un problème de double dénomination, puisque ce sont des individus qui entrent dans ce processus de fabrication et qu'il y a une différenciation entre les individus dans leurs fonctions de travail. Mais même si l'on fait entrer en ligne de compte ces doubles dénominations et donc une certaine variété dans la désignation, on peut faire le tour, théoriquement, de ces désigntions »[61].

3-2-5 Synonymes de concurrence

[58] Id. Ibid. p. 60.

[59] Exemple cité d'après Jean-Claude Corbeil, « Problématique de la synonymie en vocabulaire spécialisé », in La Banque des mots, n° 7, pp. 53-58.

[60] Robert Dubuc, Manuel pratique de terminologie, p. 61.

[61] Louis Guilbert, « Séance plénière: Questions et Discussion », in Actes du Colloque international de terminologie. « Essai de définition de la terminologie », pp. 93-94.

Plus une langue est parlée sur une vaste étendue plus il y a de risque d'y trouver des variantes terminolgiques qui ne sont que des synonymes géographiques: une même notion reçoit des appellations différentes selon les régions[54] Ainsi, la motoneige québécoise est appelée en France tantôt motoluge, tantôt scooter des neiges[55].

3-2-3 Synonymes temporels

3-2-3-1 Il s'agit des termes qui ont connu un certain succès pendant un certain temps et qui ont été par la suite remplacés par d'autres termes parce qu'ils sont tombés en désuétude. Ainsi, le terme « Courrier » a remplacé le terme « malle », l'expression « maison de santé » a remplacé « asile d'aliénés » devenu trop péjoratif avant d'être lui même remplacé par « hôpital psychiatrique »: ces termes désignent la même chose, et se différencient par « leur âge » et non par « leur sens »[56]

3-2-3-2 De même, il paraît que le préfixe « mini » était peu utilisé avant la « mini-jupe » n'en généralise l'emploi, et cela jusque dans les domaines techniques, avec par exemple les mini-ordinateurs. On voit à cet égard combien la mode peut jouer un rôle dans l'utilisation d'un terme et son remplacement par un autre « Les mots en vogue autrefois sont aujoud'hui en perte de vitesse et seront oubliés demain »[57].

3-2-4 Synonymes professionnels

---

[54] Id. Ibid. p. 60.

[55] Id. Ibid. p. 60.

[56] Id. Ibid., p. 60.

[57] Robert Dubuc, Manuel pratique de terminologie, p. 60.

représente l'autre formulation de la question proposée par Catherine Orecchioni.

3-1-7 La langue technique donc, permet l'existence de la synonymie « complète et totale », « parfaite », « absolue et pleine » selon les terminologies de Lyons, Seuren, Imbs, Chomsky-Katz et Orecchioni. En ce qui nous concerne, pour éviter toute ambiguïté et toute confusion, nous gardons dans notre étude le terme « synonymie », appliqué aux synonymes « totaux et complets » et désignons les autres types de synonymes, que nous allons étudier tout de suite, par le terme « variantes terminologiques », que nous allons répartir dans les sections suivantes[51].

3-2 Variantes synonymiques

3-2-1 Synonymes de niveaux

Deux termes sont dits synonymes de niveaux s'ils désignent une même notion et s'ils appartiennent à deux niveaux de langue différents. Par exemple[52], les deux termes « Coryza » et « rhum de cerveau » désignent essentiellement la même infection virale des voies respiratoires. Le premier terme « Coryza » est un terme technique de médecine auquel correspond le deuxième « rhum de cerveau » dans la langue non technique. Il en va de même pour les deux termes suivants « Zoom » et « Objectif à distance focale variable ». Le premier terme appartient à la langue familière des techniciens de la photographie, le second est du ressort des exposés techniques articulés[53].

3-2-2 **Synonymes géographiques**

[51] Nous nous sommes inspirés ici de l'ouvrage de Robert Dubuc, Manuel pratique de terminologie, pp. 59-61.

[52] Exemple cité d'après Robert Dubuc Op. cit., p. 59.

[53] Id. Ibid., p. 59.

- Termaillage - Spéculation marchande	*Relations Internationales*
- Travail noir - Travail au noir	*Economie Générale*
- Travail passé - Travail mort	*Economie Générale*
V	
- Valeur actuelle - Valeur actualisée	*Financement Statistique*

Nous remarquons que, du fait que ces synonymes reliés sont interchangeables dans tous les énoncés relatifs à un même domaine et qu'ils se situent en plus à un même niveau de langue qui est la langue technique, ils sont synonymes totaux dans la perspective de John Lyons et de la formulation de Catherine Orecchioni car il s'agit bel et bien dans ce cas d'une interchangeabilité dans tous les contextes: ce qui représente la vision de John Lyons, et de l'identité de signifié: de l'ensemble des sémèmes attachés au signifiant. ce qui

- Production Intérieure Brute (P. I B) *Economie générale*
- Production Intérieure nette

- Protectionnisme Educateur *Relation Internationale*
- Argument des industies naissantes en faveur du protectionnisme *Historique*

R

- Revenu National par Habitant *Economie Générale*
- Revenu National moyen
- Revenu National par tête
- Revenu National par capital

S

- Syndicat ouvrier
- Syndicat salarié

- Syndicat patronal *Gestion*
- Syndicat professionnel

T

- Taxe à la valeur Ajouté (T. V. A.) *Financement Public*
- Taxe sur la valeur Ajouté

- Intensité travaillistique	*Economie Générale*
- Intensité du travail	

M

- Monnaie de crédit	*Monnaie*
- Monnaie de créance	
- Monnaie dirigeante	*Monnaie*
- Monnaie dominante	

O

- Optimum de peuplement	*Démographie*
- Optimum de population	

P

- Polygone des fréquences	*Méthode*
- Polygone effectif	
- Prélèvement libératoire	*Financement Public*
- Prélèvement forfaitaire	
- Prix de la vie humaine	*Economie Générale*
- Valeur de la vie humaine	*Politique Economique*

- Théorie du cycle du produit
- Théorie dynamique des avantages
  Comparatifs

E

- Elasticité monétaire	*Economie Générale*
- Elasticité de la monnaie	

- Exportation du chômage
- Beggar my Neihbow Policy

F

- Firmes Multinationales (F. M. N.)	*Gestion-Relation*
- Firmes transnationales	*Internationale*

I

- Input - Output
- Entrée - Sortie
- Intrant - Extrant

- Instrument de production	*Economie Générale*
- Instrument de travail	

- « Crawling-Peg »
- « Trotting-Peg »

- Chômage conjoncturel	*Economie Générale*
- Chômage cyclique	
- Chronique	*Méthode*
- Série chronologique	
- Colline du plaisir	*Economie Générale*
- Colline de l'Ophémilité	
- Communauté Economique Européenne (C. E. E.)	
- Marché Commun Européen	
- Courbe de Laplace-Gauss	*Méthode*
- Courbe de Gauss	
- Courbe en cloche	
- Croissance optimum	*Economie Générale*
- Croissance optimale	

de la terminologie économique pour justifier la constatation précédente. Nous avons relevé dans un dictionnaire spécialisé *Lexique d'économie*, tous les synonymes qui désignent rigoureusement une même notion, qui appartiennent au même domaine, et qui sont par la suite interchangeable dans tous les contextes, compte-tenu aussi d'absence des marques d'usage niveau de langue ou variantes régionales. Voici la liste complète que nous avons relevé de ces synonymes·

Synonymes	**Domaines**
B	
- Balance de la main d'œuvre	*Economie Générale*
- Balance de travail	
- Bilan de la main d'œuvre	
- Bourse d'enseignement	*Economie Education*
- Bourse d'études	
C	
- Capitalisation boursière	
- Valeur boursière	
- Changes glissants	*Monnaie-Relation*
- Système de mini-dévaluations	*Internationale*

3) Inclusion 4) Identité (inclusion mutuelle)

La parasynonymie correspond au cas (2), la synonymie partielle au cas (3) et la synonymie totale au cas (4) Si les deux termes sont liés par des rapports de disjonction ou de conjonction, ils seront ou parfaitement dissociés, ou parfaitement confondus Les deux termes sont synonymes s'ils sont liés par des rapports de disjonction sur le plan du signifiant et par des rapports de conjonction sur le plan du signifié, rapports de conjonction dans lequel entre toutefois une certaine différenciation, même si celle-ci est parfois très légère.

Deux termes sont, par contre, selon cette distinction, homonymes s'ils sont liés par des rapports de conjonction sur le plan du signifiant et par des rapports de disjonction sur le plan du signifié. Dans cette perspective, la synonymie en langue serait la conjonction des signifiés et la disjonction des signifiants.

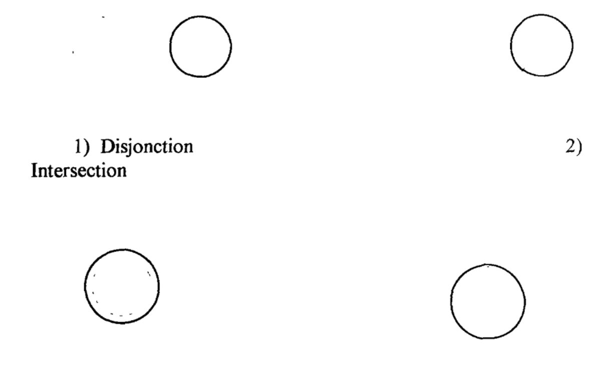
3-1-6 En fait, tous reconnaissent que la synonymie « complète et totale » de Lyons, « parfaite » de Seuren, « absolue » de Imbs, « pleine » de Chomsky-Katz, est extrêmement rare[49], et se rencontre: « Dans le cas de mots mono-sémémiques, généralement techniques »[50]. Nous allons donner quelques exemples qui relèvent

[49] « C'est presque un truisme, nous dit Ulmann, de dire que la synonymie totale est un phénomène extrêmement rare, un luxe que la langue ne peut guère se permettre ». Cité d'après Catherine Orecchioni, Id. Ibid., p 168

[50] Id. Ibid., p. 168.

Il n'y aurait donc pas, selon cette formulation de Eugen Wüster, de synonymes totaux et complets, bien qu'on puisse reprocher à cette formulation de ne pas mentionner le domaine et de ne pas préciser s'il s'agit du même domaine ou non. Pourtant, la mention du sens est reportée explicitement.

3-1-5 Toutes ces conceptions de synonymie, totale et complète, et de parasynonymie, peuvent être selon Catherine Orecchioni, schématisées en termes ensemblistes[47]. Elles se ramèneront toutes, parmi les différentes possibilités de relation entre ensembles[48], au cas (4):



[47] Catherine Orecchioni, Id. Ibid. p. 163

[48] Selon Catherine Orecchioni, la synonymie peut être observée à la lumière d'autres perspectives conceptuelles que celles des ensembles Id. Ibid. p. 165.

3-1-4 L'interchangeabilité dans tous les contextes du même domaine est liée donc à la synonymie « totale » ou « complète », qui, selon Catherine Orecchioni qui quantifie la synonymie en « distance sémantique », à la « distance nulle »[43]

Pour Y. Lebrun: « La synonymie n'implique pas nécessairement l'interchangeabilité. Etre synonyme signifie avoir le même signifié, et non avoir la même distribution »[44] « distribution » implique ici « paradigme », que l'on peut définir comme un ensemble de termes qui pourraient commuter dans un même énoncé Cela s'applique aux synonymes complets ou totaux qui sont interchangeables dans tous les énoncés du même domaine. Or, pour Y. Lebrun, cela n'implique pas que deux ou plusieurs termes soient synonymes; donc: « La pertinence de la perspective distributionnelle est contestée »[45].

Eugen Wüster va à l'encontre de cette idée en constatant que dans les domaines techniques les termes synonymes ne sont pas interchangeables à volonté: « On trouve dans les dictionnaires techniques des synonymes qui désignent de très nombreuses notions. Malheureusement, on ne met pas en garde l'utilisation contre le fait que ces synonymes ne sont pas interchangeables à volonté, bien qu'ils aient strictement le même sens »[46]

---

[43] Catherine Orecchioni, De la sémantique lexicale à la sémantique de l'énonciation, tome 1, p. 163.

[44] Y Lebrun, in Premier colloque international de la linguistique appliquée, cité d'après Catherine Orecchioni, Id. Ibid., p. 164.

[45] Id. Ibid., p. 167.

[46] Eugen Wüster, « La formation en terminologie et en lexicographie terminologique », Infoterm, p. 04.

constate à ce propos que: « Au niveau de la structure linguistique organisée, il n'y aurait donc pas de synonymie, puisque tout choix d'un terme du paradigme implique aussi ce choix d'un contenu voulu, différencié de tous les autres même si ce n'est que par une légère nuance de valeur stylistique[39] (possibilité d'identité sémiologique mais différence sémantique inévitable) »[40].

Cela est accrédité par H. Besse pour qui: « Au niveau de la langue, il n'y a pas de synonymie absolue. Si deux unités avaient exactement les mêmes sèmes [...], dans la mesure où l'on admet qu'une langue est un système d'oppositions rigoureuses, il est invraisemblable qu'il s'agirait de la même unité »[41]

La synonymie totale et parfaite serait donc inexistante en langue, et il s'agirait plutôt de « parasynonymie »[42], qui désigne la synonymie partielle et qui montre cette prise de conscience du caractère relatif de la synonymie.

---

[39] On peut d'ailleurs aller plus loin et dire que cette différence ne se situe pas seulement au niveau de la valeur stylistique, mais aussi au niveau de la valeur sémantique. En d'autres termes, la synonymie implique une diversité et de la forme, et du contenu, même si, en effet, ce n'est parfois que selon des nuances assez légères.

[40] Bertil Malmberg, « Contenu et référent. Synonymie », in Lignes et symboles, p. 367.

[41] H. Besse, « Problème de sens dans l'enseignement d'une langue étrangère », in Langue française, n° 8, p. 65.

[42] « On appelle parasynonymie un terme qui est presque synonyme d'un autre, c'est-à-dire qui présente une grande partie de traits pertinents en commun, ainsi, bois et forêt sont parasynonymes l'un de l'autre, la différence étant celle de « grandeur », Dictionnaire de linguistique, p. 356, qu'il s'agisse de la « grandeur » de la surface ou de la « grandeur » des arbres

degrés « C'est plutôt en termes de degrés qu'on peut parler de synonymie; celle-ci deviendra ainsi simplement la tendance des unités du lexique à avoir le même signifié et à être substituables les unes aux autres. La synonymie peut donc être complète ou non, totale ou non. »[36].

3-1-3 On peut se demander si la synonymie est indispensable à la langue. Peut-être pourrait-on exprimer tant ce que l'on voudrait exprimer sans recours à la synonymie. Mais il est probable que la langue y perdrait, tant en possibilités de variations stylistiques[37] qu'en richesse de nuances dans le contenu Par exemple, il pourrait n'y avoir en français qu'un seul mot « aimer », et nous dirions identiquement: j'aime ma mère, j'aime ma femme, j'aime mon chien, j'aime les sucreries... C'est naturellement possible, et c'est d'ailleurs ainsi que nous procédons souvent Mais c'est une richesse de la langue que de pouvoir exprimer avec davantage de précision certaines nuances et d'avoir les mots nécessaires pour dire j'ai de l'affection pour ma mère, j'adore ma femme, j'aime bien mon chien, j'apprécie les sucreries. Ainsi, dans la langue il n'y aurait pas de synonymie absolue puisque chaque terme implique une nuance différente[38] de l'autre même si celle-ci est légère Bertil Malmberg

[36] J. Dubois, Dictionnaire de linguistique, p. 476

[37] Id. Ibid. p. 447.

[38] **En 1855-1856 Hammer Purgstall, a recensé, dans un mémoire (5744) cinq mille sept cent quarante quatre termes pour désigner le chameau en arabe, variant selon le sexe, l'âge, ou telle caractéristique particulière de l'animal. Exemple cité d'après Louis Guilbert dans un exposé intitulé: « Terminologie et linguistique », in Actes du colloque international de terminologie· « Essai de définition de la terminologie », p. 17. On voit à quel point les nuances différentes même les plus légères peuvent engendrer des termes différentes Dans le cas de cet exemple le chiffre est frappant, même s'il peut paraître peut-être exagéré !**

A ce propos le *Dictionnaire de linguistique* constate que « Les mots de la langue quotidienne[32], à la différence du vocabulaire scientifique et technique, sont chargés d'associations affectives (connotations) en dehors de leur sens purement dénotatif »[33]

Ainsi, et si l'on inclut dans la compréhension d'un terme ses traits connotatifs, alors nous pouvons dire que deux termes pourront être équivalents en extension sans être synonymes en compréhension, comme l'affirme Catherine Orecchioni[34]

3-1-2 On peut noter que les synonymes désignant rigoureusement une même notion, interchangeables dans tous les contextes appartenant au même domaine et ayant la même référence, sont rares. La synonymie partielle est définie comme le rapport entre deux ou plusieurs termes qui désignent la même notion dans le même domaine, mais qui se distinguent l'un de l'autre par des marques d'usage, par le niveau de langue ou par des variantes, régionales. Les synonymes partiels forment comme une catégorie des synonymes totaux et complets. Les dictionnaires de langue donnent couramment des exemples de ces synonymes partiels, présentant des traits sémantiques communs[35].

Le Dictionnaire de linguistique quant à lui, distingue les synonymes totaux ou complets des synonymes partiels en termes de

---

Lyons: « On dira qu'il y a synonymie complète quand le sens affectif et le sens cognitif des deux termes sont équivalents ».

[32] Nous préférons « langue non technique » par opposition à « langue technique ».

[33] Dictionnaire de linguistique, p. 477.

[34] Catherine Orecchioni, De la sémantique lexicale à la sémantique de l'énonciation, tome 1, p. 161.

[35] G. Mounin, Dictionnaire de la linguistique, p. 317.

moindre changement dans la portée cognitive ou affective »[28] Cognitif implique ici dénotation par opposition à affectif qui implique commutation. La synonymie définie ici représente le plus haut degré de la synonymie que John Lyons appelle « totale et complète ». Il admet aussi d'autres types de synonymie qu'il identifie d'une façon binaire et sous deux axes:

A. Synonymie totale[29]	**non totale**
Interchangeabilité dans tous les contextes.	interchangeabilité dans certains contextes seulement.
B. Synonymie complète[30]	**Incomplète**
Identité des valeurs cognitive + affective.[31]	identité de la valeur cognitive seulement.

[28] Cité d'après John Lyons, Linguistique générale, p. 432.

[29] Catherine Orecchioni, dans le premier tome de sa thèse De la sémantique lexicale à la sémantique de l'énonciation, p. 167, nous propose une autre formulation de la question:

Synonymie totale	non totale
Identité de Sé de l'ensemble des sémèmes attachés au Sâ	identité d'un ou de quelques sémèmes seulement constitutifs du Sé

[30] Là aussi Catherine Orecchioni nous propose une modification sur cet axe « La valeur d'un terme n'étant qu'un cas particulier de l'ensemble de ses valeurs connotatives éventuelles, nous étendrons ainsi l'opposition:

[Synonymie complète]	[Synonymie non complète]
identité des valeurs dénotative + connotative.	identité de la valeur dénotative seulement ».

De la sémantique lexicale à la sémantique de l'énonciation, Tome 1, p 168.

[31] Remarquons que la définition suivante de la synonymie complète proposée par le Dictionnaire de linguistique, p. 477, rencontre celle proposée par John

2-6 Dans la perspective de la sémantique intentionnelle[24]: « X et Y seront synonymes s'ils se laissent analyser à l'aide des mêmes sèmes exactement, et définir par la même équation sémique[25] ». Tandisque dans la perspective de la sémantique extensionnelle la synonymie est définie comme: L' « identité des classes dénotatives de X et de Y »[26]

3- Différents types de synonymies

3-1 Synonymie «totale», «complète», «parfaite», «absolue» et « pleine »

3-1-1 La fameuse question de savoir s'il existe ou non de véritables synonymes (unités linguistiques de même sens bien que de formes différentes), est à l'origine de toute la réflexion théorique sur la question de la synonymie. Pour le *Dictionnaire de linguistique*, deux termes sont synonymes absolus quand ils sont interchangeables dans tous les contextes[27].

Ulmann, partage le point de vue de la définition précédente, et précise que: « On ne peut appeler synonymes que les mots qui peuvent se substituer l'un à l'autre dans tout contexte sans le

---

[24] Catherine Orecchioni insiste, à ce propos, sur le fait que ce qui est pris en considération, ce sont les traits dénotatifs jouant un rôle dans le mécanisme dénotatif. L'identité intentionnelle implique réciproquement l'identité extensionnelle De la sémantique lexicale à la sémantique de l'énonciation, Tome 1, p. 164.

[25] C'est la raison pour laquelle Bernard Pottier utilise le terme « homosémie » pour désigner la synonymie. Présentation de la linguistique, fondement d'une théorie, p. 63.

[26] Catherine Orecchioni, op. cit., Tome 1, p. 164.

[27] Dictionnaire de linguistique, p. 476.

partie de la définition de Josette Rey-Debove va de paire avec celle de John Lyons et celle du Dictionnaire de la linguistique, cités plus haut. La deuxième partie de la définition proposée met l'accent sur le référent, la chose, la fonction référentielle, c'est-à-dire sur le domaine de l'extra-linguistique. Pour justifier la synonymie, Josette Rey-Debove va jusqu'à la constatation suivante: « C'est l'identité des choses dénommées qui implique la synonymie et non l'inverse »[22].

Cette constatation va de pair avec la définition de Michel Le Guern et celle de Bertil Malmberg. C'est sur ce point particulièrement intéressant pour notre étude que nous allons nous arrêter. En effet, la pléthore synonymiques en terminologie en découle. L'identité référentielle engage l'extra- linguistique, à laquelle nous attachons la plus grande importance, pour des raisons qui relèvent de la communication scientifique et technique, la présence de plusieurs formes linguistiques pour un même référent n'est pas forcément justifiée, et n'est peut-être pas souhaitable

Bertil Malmberg constate dans Lignes et symboles que « L'identité des synonymes se trouve en dehors du système linguistique dans la mesure ou le signifié garde son indépendance structurale par rapport au réseau reliant les faits du référent C'est cette identité référentielle qui est responsable de l'interprétation des synonymes comme à la fois identiques (par leur référence) et différents (par leur forme sémiologique) »[23].

Remarquons que la constatation de Bertil Malmberg va dans le même sens que la deuxième partie de la définition de Josette Rey-Debove et celle de Michel Le Guern.

---

[22] Id. Ibid., p. 19.

[23] Bertil Malmberg, « Contenu et référent. Synonymie », in Lignes et symboles, p. 367.

« verre de vin », mais l'utilisation de l'une ou de l'autre expression dépend de contraintes telles qu'il y a peu de chances pour que ces expressions soient parfaitement et facilement interchangeables si l'on tient compte du contexte socio-culturel[18]. M Le Guern nous donne un exemple qui va dans le même sens que celui donné par le *Dictionnaire de linguistique:* « La planète Vénus est parfois désignée comme « l'étoile du soir », parfois « l'étoile du matin » ces deux syntagmes, désignant la même réalité, sont dans une relation de synonymie référentielle, alors que la seule prise en compte des signifiés linguistiques conduirait plutôt à y voir une certaine antonymie »[19]. De même, Napoléon est parfois désigné comme « le vainqueur d'Austerlitz », parfois comme « le vaincu de Waterloo »: les deux syntagmes nominaux, désignent la même réalité: Napoléon Bonaparte. Ils sont ainsi dans une relation de synonymie référentielle, alors que la seule prise en compte des signifiés linguistiques conduirait plutôt à y voir une sorte d'opposition. Reste ici à dire, s'agit-il dans cet exemple du même référent pour qui dit « Vainqueur », « Vaincu »?

2-5 Pour Josette Rey-Debove: « La synonymie est [.] soit la possibilité d'employer indifféremment deux éléments paradigmatiques dans l'encodage des phrases en discours (a X b ou a Y b), soit celle de les substituer dans un énoncé (a X b -- a Y b) Et cette équivalence n'est ni une identité de signes[20] ni une analyse de contenu, mais seulement une identité de signifiés référentiels correspondant en fait à une identité de choses »[21] La première

[18] Dictionnaire de linguistique, p. 476.

[19] M. Le Guern, op. cit, p. 167.

[20] A notre avis il n'y a pas d'identité de signes entre les synonymes X et Y puisque les signifiants ne sont pas identiques.

[21] Josette Rey-Debove, « Le domaine du dictionnaire », in Langages, n° 19, p 19.

synonymes si les phrases que l'ont obtient en substituant l'un à l'autre ont le même sens »[14].

En conséquence pour que deux items lexicaux soient substituables l'un à l'autre, ils doivent appartenir à la même catégorie grammaticale. Ainsi, à un singulier, on ne peut substituer qu'un singulier, à un syntagme, on ne peut substituer qu'un syntagme. De ce point de vue, l'équivalence des phrases peut fournir une définition valable à la synonymie: « Si on a deux phrases P1 et P2 différentes seulement par le fait que P1 a une unité X et P2 a une unité Y là où P1 a une unité X, et si P1 > P2 et P2 > P1 (double implication), on pourra dire que X et Y sont synonymes »[15]

2-4 Pour Bertil Malmberg: « sont synonymes deux signes qui, avec des expressions et des contenus différents, ont le même référent »[16]. En fait, la prise en compte de la fonction référentielle des unités terminologiques permet de poser la question de la synonymie en d'autres termes. En effet, pour Michel Le Guern « Deux [termes] sont synonymes s'ils ont même référence; il ne s'agit donc pas, dans une perspective documentaire de synonymie lexicale, mais de synonymie référentielle »[17].

Or, pour le *Dictionnaire de linguistique* deux signes peuvent avoir le même référent même s'ils s'emploient dans des contextes différents. Par exemple: Le « verre de rouquin » est bel et bien un

---

Dictionnaire de Mounin ignore, et il n'a pas tort, « item », et « item lexical », voir page 185.

[14] John Lyons, Linguistique générale, p. 328.

[15] Dictionnaire de linguistique, p. 328.

[16] Bertil Malmberg, « Contenu et référent. Synonymie », p. 373.

[17] Michel Le Guern, « Les descripteurs d'un système documentaire. Essai de définition », p. 167.

la question, c'est-à-dire sur la mise en relation d'un signifiant et de plusieurs signifiés, ce qui est le cas de la polysémie, qui est une relation entre un signifiant et plusieurs signifiés, relation qui se situe à l'intérieur d'un seul terme. Or, le signifiant d'un terme polysémique, comme nous l'avons constaté, contient plusieurs signifiés; l'existence de ces signifiés est réalisée par leur distribution et leur commutation sur l'axe paradigmatique

2-3 Selon le *Dictionnaire de la linguistique:*« sont dit synonymes deux (ou plusieurs) formes linguistiques, unités ou propositions, telles que la substitution de l'une à l'autre (à l'une des autres) ne modifie en rien pour l'observateur le contenu du message où elles figurent »[11].

On voit que cette définition met l'accent sur le fait que le contenu du message ne change pas quand les énoncés que l'on obtient en remplaçant une unité par l'autre ont le même contenu D'ailleurs, l'une des deux acceptions de la synonymie proposées par le *Dictionnaire de linguistique* va de pair avec la définition du *Dictionnaire de la linguistique:* « Deux termes sont dits synonymes quand ils ont la possibilité de se substituer l'un à l'autre dans un seul énoncé isolé »[12]. Dans son ouvrage *Linguistique générale* John Lyons formule une définition qui diffère de celle proposée par le dictionnaire de Mounin: « Deux ou plusieurs items[13] sont

---

[11] Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, p. 317.

[12] Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique, p 476.

[13] « Tout élément d'un ensemble (grammatical, lexical, etc), considéré en tant que terme particulier et ayant des propriétés sémantiques particulières est un item; ainsi père, frère, sœur, table, chaise sont chacun des items lexicaux, tandis que présent, passé sont des items grammaticaux ». Dictionnaire de linguistique, p. 271. Dans le cadre de notre article, nous retiendrons la signification de « item » aux items lexicaux. Il y a lieu de noter que le

média etc... On voit donc à quel point une solution normalisante est indispensable dans ce domaine; la solution idéale serait d'identifier chaque objet et de lui assigner un seul terme, lequel doit être défini à l'intérieur d'un seul système. Dans le cas d'une synonymie, il faudrait déterminer le degré de cette synonymie: est-elle totale ou complète ou partielle, para-synonyme, de niveau, professionnelle, concurrentielle ou de fréquence?

2- Essai de définition de la synonymie

2-1 Le ***Dictionnaire de linguistique*** **considère** comme synonyme « Des mots de même sens, ou approximativement de même sens et de formes différentes »[8]. Cette définition de la synonymie est imprécise et cela à notre avis pour deux raisons la première concerne l'expression « approximativement de même sens » qui pose le problème des synonymes « totale », « complète », « parfaite », « absolue », « pleine » et « partielle » qui seront examinées ici; la deuxième concerne l'expression « de formes différentes », car, dans le domaine des sciences et des techniques l'appartenance d'un terme à plusieurs domaines nous met en présence de véritables homonymes.[9]

2-2 Selon Catherine Orecchioni: « Deux signes X et Y seront dits synonymes si, leurs signifiants étant différents, leurs signifiés sont identiques: sâ (X) = sâ (Y); sé (X) = (Y) sâ 1, sâ 2 → sé »[10]. Cette définition qui met en relation deux signifiants et un signifié nous permet d'ouvrir une parenthèse sur le cas inverse de

[8] J. Dubois, Dictionnaire de linguistique, p. 476.

[9] Louis Guilbert, Op. Cit, p. 10.

[10] Catherine Orecchioni, De la sémantique lexicale à la sémantique de l'énonciation, Tome 1, p. 162.

problèmes insolubles »[5]. Une fois l'unité terminologique définie dans un domaine donné, elle ne peut se définir que par rapport à la totalité des termes de ce domaine. Nous pourrions dire, le cas échéant, que la signification d'un terme est inhérente à son usage dans le domaine précis défini préalablement, et ce n'est que dans cette acception de domaine que l'on peut assigner à un terme l'adjectif « monosémique » ou « monoréférentiel »: « Le terme technique tend à être monosémique ou plutôt monoréférentiel dans chaque domaine particulier de la connaissance »[6]. Donc, la règle dans les domaines scientifiques et techniques, comme le but poursuivi, devrait être la monosémie terminologique Or, la langue technique, comme nous allons le constater, n'est pas à l'abri de l'homonymie, de la polysémie qui nuisent à la communication technique: « Les principales difficultés des communications techniques découlent de l'homonymie, de la polysémie et de la synonymie »[7]. Nous limiterons ici notre étude ux problèmes de la synonymie, et précisément à ce qu'on peut appeler les « variations terminologiques » qui peuvent être propres à la langue de départ (LD). C'est ce que nous allons voir tout de suite dans le cas de la synonymie régionale ou géographique, dans le cas des synonymies professionnelles, concurrentielles, de fréquence et de niveau, ou encore dans le cas des « variations terminologiques » propres à la langue d'arrivée (LA), ou provoquées par le biais de la traduction à partir de plusieurs langues de départ, ou encore provoquées par des inventeurs de terminologie, qu'il s'agisse d'institutions spécialisées en la matière comme les banques de terminologie, les commissions terminologiques, les traducteurs de textes de spécialités ou des mass

[5] Alain Rey, « préalable à une définition de la terminologie », p. 36.

[6] L. Guilbert, id. ibid, p. 10.

[7] Helmut Felber, « Quelques questions fondamentales au sujet de la terminologie », p. 15.

1- Introduction

La synonymie est un des problèmes majeurs de la diffusion de la terminologie scientifique et technique. La situation idéale en terminologie serait l'univocité : un seul terme pour chaque objet « Interdire toute possibilité de polysémie et de synonymie, ce serait quasi établi une relation directe entre chaque chose réelle et le nom »[1]. Donc, l'unité terminologique devrait être monoréférentielle[2] : elle devrait désigner une seule chose. Or, il peut arriver que l'unité terminologique, pour diverses raisons, désigne en fait plusieurs choses. Dans ce cas, il est nécessaire qu'une définition précise l'unité terminologique et la situe par rapport à son domaine de référence. En effet, chaque domaine doit avoir sa terminologie, Michel Le Guern constate, en effet, que « Les mots n'échappent à la polysémie que si l'on reste à l'intérieur des limites d'une discipline particulière, d'une spécialité bien déterminée Le même terme technique aura des valeurs différentes dans des disciplines différentes: à chacune de ces valeurs devra correspondre un terme distinct. Le problème devient aigu quand on veut regrouper en une seule base de données plusieurs systèmes d'information spécialisés dans des disciplines différentes »[3] Alain Rey accrédite cette idée quand il constate à son tour que « Le terminologue doit considérer le terme dans un seul système[4], sinon il ne pourrait pas travailler en monosémie et serait devant des

[1] Louis Guilbert, « La spécificité du terme scientifique et technique », p 9

[2] Il y a lieu de noter que pour Louis Guilbert, « monoréférentiel » et « monosémique » sont synonymes; id, ibid, p. 10.

[3] Michel Le Guern, « Discours », in Actes du colloque Traitement automatique des langues naturelles et systèmes documentaires, p. 170.

[4] « système » est pris ici dans le sens de « domaine », « spécialité », « discipline ».

un instrument parmi d'autres. Ibn 'Arabi va aussi, prêcher un Dieu différent du dieu adoré dans les cultes. Car le dieu adoré dans ali culte est une création humaine. Car chaque croyant le conçoit en fonction de son aptitude, de son bagage intellectuel ou de sublimation spirituelle.
Quant au Dieu d'Ibn 'Arabi, il est indéfinissable par la raison, car il est adoré tel qu'Il est dins sa vraie réalité, dans toute chose adorée. Il est aimé tel qu'Il est dans sa vraie réalité dans touté chose aimée.
Dieu selon Ibn 'Arabi transcende le dieu adoré darts le culte. On peut dire, ici, qu'Ibn 'Arabi tentait la construction d'une doctrine de toléance en matiére de religiosité qui maîtrise toutes les luttes religieuses ou sectaires. Telles celles qui ont conduit les fils de l'Humanité à s'entietuer à travers leur histoire dramatique, Dieu selon Ibn 'Arabi est celui de la tolérance, de la miséricorde totale et de l'amour absolu.

For the paper in Arabic language see the pages (٢٩٤ _ ٢٥٥)

Pléthore synonymique et besoins terminologiques en matière de traduction technique

Dr. Nabil Allao
Département de français
Faculté des Lettres
Université de Damas

Résumé

La pléthore synonymique est un des problèmes majeurs de la diffusion et de l'utilisation des terminologies scientifiques et techniques au niveau du même système linguistique, et au niveau des différents systèmes linguistiques en contact par le biais de la traduction. La règle dans les domaines scientifiques et techniques devrait être la monosémie terminologique: un seul terme pour chaque objet, mais l'usage prouve que la langue technique n'est pas à l'abri du phénomène de la synonymie et de la polysémie. Confronter différentes définitions de la synonymie s'avère donc indispensable pour aboutir à une définition approfondie de la synonymie. Différents types de synonymies sont étudiés pour en déduire des constatations. La conclusion de l'étude constate que la prolifération des synonymes, souvent anarchique, entraîne nombre de difficultés et complique la tâche du traducteur de textes de spécialités. Le traducteur-linguiste a un rôle d'analyse, mais pourrait toutefois jouer le rôle d'un normalisateur des termes.

La doctrine de l'Unicité de l'être chez Ibn 'Arabi et sa signification humain et sociale

Dr. Mahmoud Khadra
Départment de Philosophie
Faculté of letters
Université de Damas

Résumé

Dans sa doctrine de l'Unité de l'être Ibn 'Arabi nie d'une façon catégorique de vouloir prêcher deux vérités discontinues: Dieu et le mond.
de même, il nie de professer un seul aspect de la vérité (Dieu) ou (le mond). Or Dieu et le mond sont pour lui deux aspect d'une même vérité ontologique. Ibn 'Arabi refuse, en effet, le pricipe d'une séparation absolue entre Dieu et le monde.
De même, il ne souscrit pas la doctrine des docteurs de la Loi religieuse comme un intermédiaire unique et immuable du rapport de Dieu à l'homme. Ceci refléte à mon avis, le refuse d'Ibn 'Arabi d'une idéologie du Califat fondée sur la séparation asbolue entre le Calif, représentant de Dieu sur terre, et ses sujets; ceux-ci n'ayant pas le droit de s'popposer à sa façon de gouverner.
Ainsi Ibn 'Arabi, une fois établies sa doctrine de l'Unicité de l'être et sa croyance en une seule vérité ontologique, va enseigner premiérement, l'universalité de l'homme (l'homme parfait théosophe).
Sans aucune considération de couleur, de race ou de religion, l'homme en tant que tel, en tart que vérité anthropologique, l'homme adamique aux théophanies infinies. De cette façon Ibn 'Arabi se dresse contre les docteurs de la loi qui ont réduit l'Islam à des questions purment jurisconsultes réduisant l'homme à un objet ou

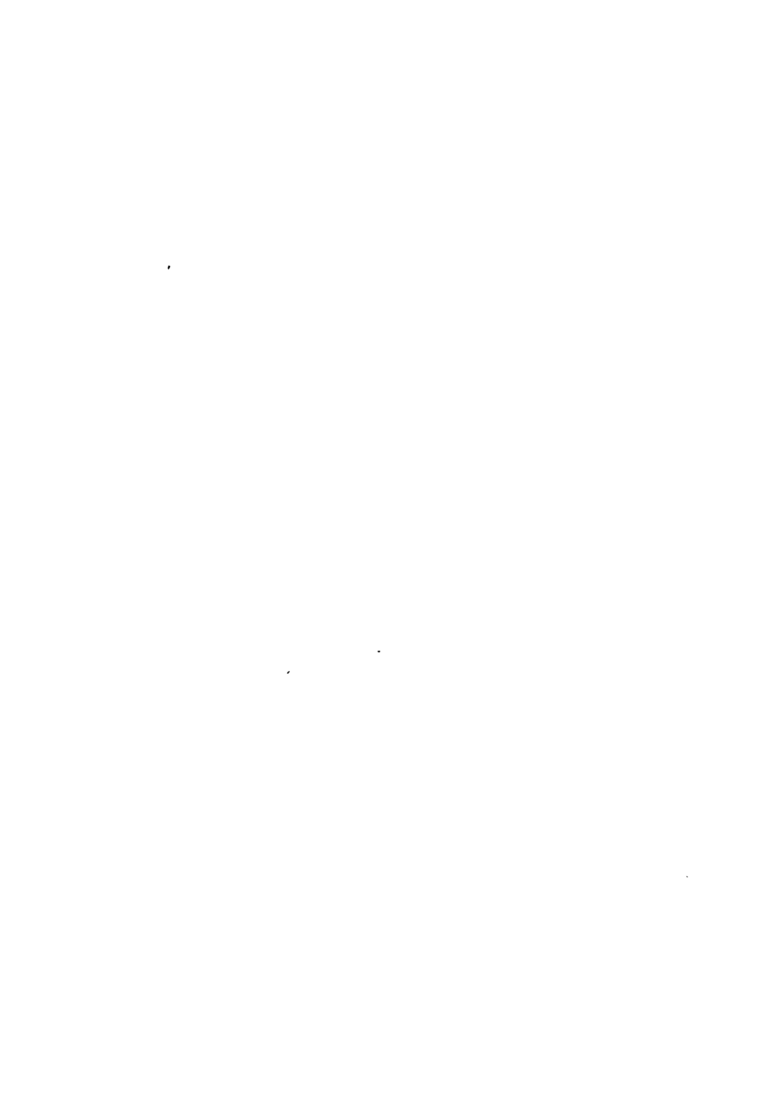
Attitudes of Yarmouk University student toward recreation and free time activities

Dr. Walid H. Mardini
Faculty of Physical Education
Yarmouk University

Abstract

This study aimed at investigating the attitudes of Yarmouk University Students towards recreation and free time activities and to study the effect of the students' families social, economical, and educational variables on their attitudes.
A questionnaire was especially designed as a tool for collecting the data from 200 students selected randomly as a research sample.
The results indicate that the students have positive attitudes towards recreation and free time activities, and there are significant differences among the students according to the educational level of their parents, and there were no significant differences among the students according to the monthly income of the family and the real participation in recreational activities.

For the paper in Arabic language see the pages (٢٥٤ _ ٢٢٩)



The learning habits of the secondary school students

Dr. Muhammed Al-Sheikh Hammoud
Faculty of Education
Damascus University

Abstract

The research deals with one of the most important questions which affects the students' level of achievement in their Learning stages. The research is limited to the study of student' learning habits in the secondary stage because of its significance in deciding the students' destiny, and electing his learning and professional future. Hence, this study has its own significance.

This research, by using especial test, aims at Knowing the wrong learning habits and the right ones on which the students depend in their study.

Theoretically, this research deals with the definitions of learning and its habits; and explains the right and wrong habits and the causes of the last one. Also, it deals with the right methodology of good learning and the role of the parents, school, and students in achieving the perfect Learning.

After that, the researcher briefly mentions a number of previous studies which delt with the same subject, then he presents the method of the research: its medium, confines, sample, and its application. Then the results are presented and interpreted.

Finally, the researcher treats the hypothesis from which the research starts, and presents some suggestions relevant to the subject, concerning the application of such studies on more comprehensive standards, and making use of its results in improving the learning habits of students.

For the paper in Arabic language see the pages (٢٨٨ ـ ١٩١)



Obscurity in contemporary Arab poetry and the aesthetics of reading

Dr. Khalil Musa
Department of Arabic
Faculty of Letters
Damascus University

Abstract

This research attempts to deal with the phenomenon of obscurity in contemporary Arab poetry. Obscurity is seen as a healthy phenomena if the form of the poem is organic and functional and if obscurity has came as a result of the technical as pects of the contemporary poem and the developments which took place in like, literature and the arts in this age.

The researcher explores the causes as well as the techniques of obscurity and concludes by illuminating the aesthetic mysteries of the poem and the appeal of the rich poetic text to the reader, and by making clear that obscurity is a relative matter.

For the paper in Arabic language see the pages (١٩٠ — ١٦١)



Excavations of Magharet-Mazar Al-Waly and the religious importance of the region of Mu'tah in the Mid-to Late Islamic Periods.

Dr. Jum'ah Mahmoud Kareem
Archaeological section
Mu'tah University – Jordan

Abstract

This research is an archaeological field work that consists of two Parts: the first Part is a survey of 120 dunms around the site, and the second is excavations of the site of Magharet-Mazar Al-Waly. The aim of this research is to recover and to document one of the Islamic monuments in the region. Excavations on the site have revealed that this Mazar (mosque) represents an Islamic Mazar dated to the Mamluk Period.

Fatimid, Ayyubid, and Mamluk governors in this area paid ttention to the Islamic Mazarat found in Mu'tah region. Based on historical and archaeological data, Sultan Mohammed Ibn Qalawun (13lo-1340 A.D.) Paid special attention to the Niabat at Karak and Shoubak, and this resulted in the construction of several architicturaI monuments in the region. Therefore, it is possible that this Mazar was constructed in the first half of the fourteenth century A.D.

For the paper in Arabic language see the pages (١٥٩ — ١٠١)



The Arabs' Sayings in Sibawaihi's Book

Dr. Awad Al-Qouzi
Department of Arabic Language
King Soud University

Abstract

Sibawaih's book rapresents a distinct stage in the development of Arabic Grammer Studies. It is unique in the sense that no previous written grammatical sources were available. It drew on the purest sources of the language- the oral statements of the bedouins in their recitation of poetry, their daily exchange and their proverbs. The book; enbodies the direct hearing (Samac) of Sibawaih which includes the utterances of the eloquent and articulate bedouins as well as those of reilable scholars and narrators (ruwah).

Sibawaih is narratran exceeded mone than 500 utterances, which he used to support his views on Arabic grammer, Quranic readings and tribal didlects. Aiming at a comprehensive theory of Arabic language, he studied the syntax, morphology, phonetics, dialects and other aspects of the language system of Arabic, depending in all of this on the Arabs' sayings, a practice which makes his book truly. The most comprehensive work in Arabic Grammer Studies.

For the paper in Arabic language see the pages (١٩ ـ ٥٣)

The research stands in the lead of the psychological researches via the comparative cultural ones in the research environment. It also opens wide scopes for getting ahead in these researches needed by the specialized field. The research sheds the light on the impact of the cultural status in the human behavior as relates to understanding, diagnosis and treatment.

For the paper in Arabic language see the pages (٥٢ _ ٩)

Psychological Security for Academic Youth A Cross- Cultural Psychological Field Research

Dr. Ali Saad
Faculty of Education
Damascus University

Abstract

The research, in identifying its subjects, touches upon the history of cross- cultural psychological sciences, the stages of their development, and the spreading of those studies which adopt the cultural approach. The research illustrates the ultimate ends of these studies and the methods used for concluding the required information.
The research defines its subject within the framework of its title, and highlights its importance. The sample of the research is selected from the second and final-year students at the Faculties of Education in Damascus, Kuwait, Edinburgh (Britain). In the theoretical framework, the research reviews the concept of psychological security and its status on the way for defining the special concept of psychological security as an integrative accumulative, psychological, cognitive, philosophical, and quanta - social.
The research, then, moves to talk about the psychological security elements in light of the multi-reference frameworks. Then, it reviews the previous studies in this regard so as to define later the research aims, hypotheses, approach and instruments. The research adopts the Maslow inventory for psychological security.
As for the field framework, the research reviews the results and analyses them. The results led to rejection of the hypotheses: The First (B, C), the second (A) the third (B, C), the fourth (B, C'), the seventh (A, B), the ninth(C). All other hypotheses were accepted.

CONTENTS

Damascus – University Journal
For Arts and Human and Educational Sciences V15 – Number (1) 1999



DAMASCUS UNIVERSITY

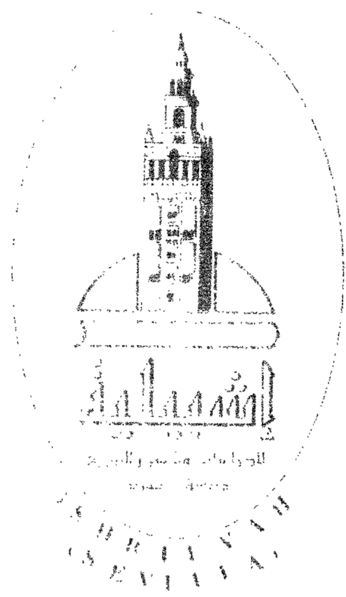
JOURNAL

FOR THE ARTS AND HUMAN AND EDUCATIONAL SCIENCES



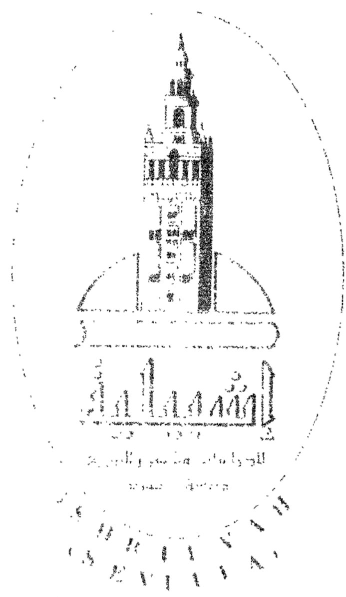
A Refereed Research Journal

VOL. 15 – NO. 1- 1999



Studies. Publication & Distribution

DAMASCUS P.O. Box 1363 SYRIA



Studies. Publication & Distribution
DAMASCUS P.O. Box 1363 SYRIA

